

جامعة عين شمس

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم

دراسة أسلوبية تداولية

إعداد/ عبد المنعم عبد الله عبد المنعم محمود السيوطي

إشراف

أ.د. إبراهيم محمود عوض

أستاذ الأدب والنقد بكلية الآداب- جامعة عين شمس

د. هدى عطية عبد الغفار

مدرس النقد الأدبي الحديث بكلية الآداب- جامعة عين شمس

رسالة دكتوراه

٢٠٢٠م



جامعة عين شمس

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

صفحة العنوان

اسم الباحث: عبد المنعم عبد الله عبد المنعم محمود

عنوان الرسالة: جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية تداولية)

الدرجة العلمية: (دكتوراه)

القسم التابع له: اللغة العربية وآدابها

اسم الكلية: كلية الآداب

اسم الجامعة: جامعة عين شمس

سنة التخرج: ٢٠٠٩م

سنة المنح: ٢٠٢٠م



جامعة عين شمس

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة دكتوراه

اسم الباحث: عبد المنعم عبد الله عبد المنعم محمود

عنوان الرسالة: جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية تداولية)

الدرجة العلمية: (دكتوراه)

القسم التابع له: اللغة العربية وآدابها

اسم الكلية: كلية الآداب

لجنة الإشراف

أ.د. إبراهيم محمود عوض
أستاذ الأدب والنقد بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب- جامعة عين شمس

د. هدى عطية عبد الغفار
مدرس الأدب والنقد بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب - جامعة عين شمس

لجنة المناقشة

أ.د. إبراهيم محمود عوض
أستاذ الأدب العربي والنقد
كلية الآداب- جامعة عين شمس
(عضوا ومشرفا)

أ.د. مصطفى عبد الشافي الشورى
أستاذ الأدب العربي والنقد
كلية الآداب- جامعة عين شمس
(رئيسا ومناقشا)

أ.م.د. أشرف محمد علام
أستاذ الأدب العربي والنقد المساعد
كلية الآداب- جامعة حلوان
(عضوا ومناقشا)

تاريخ المناقشة: ٢٤ / ١٢ / ٢٠٢٠م   **تقييم اللجنة:**

الدراسات العليا

أجيزت الرسالة بتاريخ
/ / ٢٠م

ختم الإجازة
/ / ٢٠م

موافقة مجلس الكلية
/ / ٢٠م

موافقة مجلس الجامعة
/ / ٢٠م

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر وخالص العرفان لأستاذي العالم الجليل: **الأستاذ الدكتور/ إبراهيم محمود عوض**، على ما بذله لي من نصح وتوجيه وإرشاد وعطاء لا يَنْضُبُ على كثرة الورود، فلا أملك إلا أن أدعو الله –جل في علاه– أن يجزيه عني خير الجزاء. كما أتوجه بالشكر والامتنان لأستاذتي الفاضلة: **دكتورة/ هدى عطية عبد الغفار**.

كذلك أتقدم بمحض الشكر والتقدير للعالمين الجليلين:

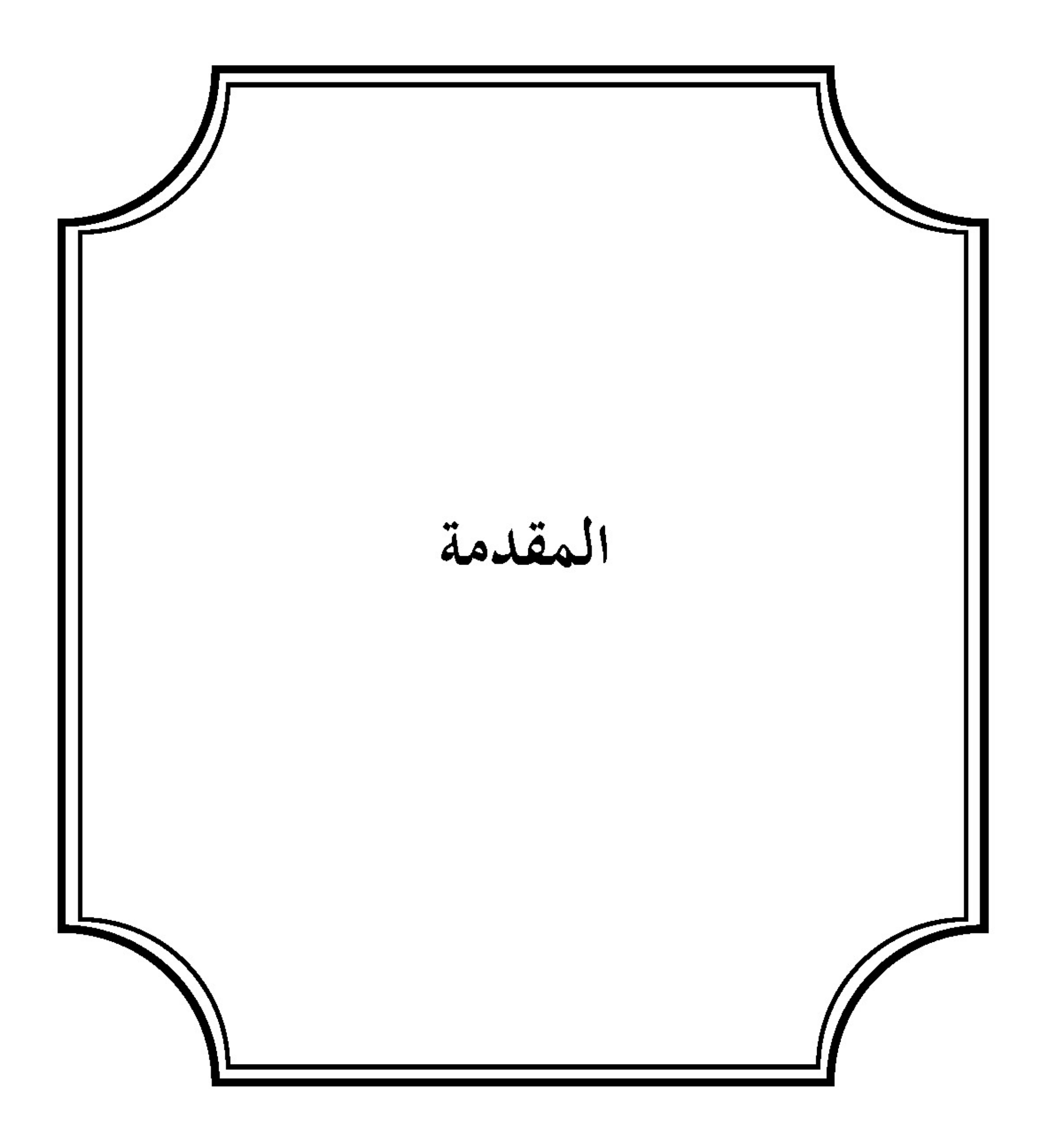
الأستاذ الدكتور/ مصطفى عبد الشافي الشورى

أستاذ الأدب العربي والنقد – كلية الآداب – جامعة عين شمس

الأستاذ الدكتور/ أشرف محمد علام

أستاذ الأدب العربي والنقد – كلية الآداب – جامعة حلوان

اللذين تفضلا عليَّ ثم على البحث بقبول قراءته ومناقشته وتقويمه، وكلي ثقة بعظيم ما سأجني من ملاحظاتهما، نفعني الله بعلمهما، وجزاهما عني خير الجزاء



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾[١]، والصلاة والسلام على رسوله الآمين القائل عن القرآن العظيم: «**لا تنقضي عجائبُه، ولا يَخْلَق عن كثرة الردِّ**»[٢].

وبعدُ، فإن القرآن معجزة الله الخالدة، أرسله هدايةً لعباده من الظلمات إلى النور، وأَنزل فيه آيات بينات، فحثَّهم على تدبرها والتفكر فيها. ولقد عكف المسلمون على القرآن العظيم منذ نزوله دراسةً وتدبرًا، وأَتَوه من كل حَدَبٍ وصَوْبٍ: رسمًا وأداءً وتأويلًا وبلاغةً... إلى آخره من علوم القرآن العظيم، وهو مع ذلك لا يَخْلَق عن كثرة الردِّ ولا تنقضي عجائبُه.

---

(١) [الزمر:٢٣].

(٢) الجامع الكبير=سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة (المتوفى: ٢٧٩هـ)، دار التأصيل، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ح (٣١٢٦). وصحح الحديث الحاكم في "مستدركه"، وتابعه المنذري في "الترغيب والترهيب". انظر: المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله بن محمد (المتوفى: ٤٠٥هـ)، دار التأصيل، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ح (٢٠٦٦). الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، المنذري عبد العظيم بن عبد القوي (المتوفى: ٦٥٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ح (٢٢٠٨).

ومن تلك الجوانب الثرية في القرآن الكريم: التعبير عن المقصود بطريق غير مباشر، ولقد تَنبَّه البلاغيون الأوائل لصورٍ من هذا الفن في ثنايا حديثهم عن علوم البلاغة، بيد أنهم لم يستقرئوا صورَه ولم يحيطوا بها، فضلًا عن أن يضعوا له نظريةً جامعةً أو مبدأً عامًّا يَلُمُّ شَعَثَه من بين علوم البلاغة.

ومِن إشاراتهم لهذا الفن: قولُ عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١هـ): «الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلُّك اللفظُ على معناه الذي يقتضيه موضوعُه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالةً ثانيةً تصل بها إلى الغرض»[(١)].

ومِن إشاراتهم كذلك: قولُ أبي يعقوب السكاكي (ت:٦٢٦هـ): «إذا عرفتَ أن دلالةَ الكلمة على المعنى موقوفةٌ على الوضع، وأن الوضعَ تعيينُ الكلمة بإزاء معنى بنفسها، وعندك علم أن دلالة معنى على معنى غير ممتنعة؛ عرفتَ صحة أن تستعمل الكلمة مطلوبًا بها نفسها تارةً: معناها الذي هي موضوعة له. ومطلوبًا بها أخرى: معنى معناها بمعونة قرينة»[(٢)].

---

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد (المتوفى: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة/جدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص (٢٦٢/١) باختصار.

(٢) مفتاح العلوم، السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (المتوفى: ٦٢٦هـ)، تحرير: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص (٣٥٨).

ومع بزوغ التداولية في الدرس اللساني وعنايتها الفائقة بالمعنى المقصود والمعنى السياقي، بدأت الأنظار تتجه نحو هذه المعاني المعبَّر عنها بطريق غير مباشر، وكيفية الوقوف على مقاصدها من خلال السياق. ومن تلك الجهود الرائدة في محاولة الكشف عن نظرية تستوعب التعبير عن المقصود بطريق غير مباشر وفق إطار منطقي جامع: نظرية الاستلزام الحواري لصاحبها هربرت بول جرايس (Herbert Paul Grice) (١٩١٣-١٩٨٨م)[1]؛ ولذلك آثرتُ أن يكون بحثي عن التعبير عن المقصود بطريق غير مباشر في القرآن الكريم طبقًا لنظرية الاستلزام الحواري، وهو بعنوان:

جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم

(دراسة أسلوبية تداولية)

---

(١) هربرت بول جرايس (Herbert Paul Grice): فيلسوف إنجليزي، ولد عام ١٩١٣م، وتلقى تعليمه بجامعة أكسفورد (Oxford)، ثم أصبح أستاذًا بها عام ١٩٣٩م، وفي عام ١٩٦٧م هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وعمل بجامعة بيركلي (Berkeley)، ثم تقاعد عام ١٩٨٠م. وقد كرَّس جرايس جلَّ أبحاثه للتأكيد على النظرية القصدية في فهم المعنى حيث يشغل مقصد المتكلم دورًا رئيسًا في فهم المعنى. توفي جرايس عام ١٩٨٨م، وقد جُمع كثير من مقالاته الفلسفية بعد مماته (١٩٨٩م) في كتاب بعنوان: "Studies in the Way of Words"، وكذلك نشر له في عام ١٩٩١م كتاب بعنوان: "The Conception of Value".

See: The Oxford Dictionary of Philosophy, Simon Blackburn, Oxford University Press, 2 Edition, 2008. P.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن ينقسم البحث إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة:

*** المقدمة:**

أعـرِّف فيهـا بـ: عنـوان البحـث، ومصـطلحاته الرئيسـة، وأسـباب اختيـاره، وأهدافه، ومشكلته، وحدوده، ومنهجه، والدراسات السابقة عليه، وهيكله.

*** الفصل الأول: الاستلزام الحواري في الدرس اللساني والبلاغي:**

وأعرض في هـذا الفصـل لمنطلقـات نظريـة الاسـتلزام الحـواري، فـأنواع الاسـتلزام الحواري وقواعـده وآلياتـه وأغراضـه وأسـاليبه، ثم علاقاتـه بالتداوليـة والأسـلوبية والبلاغـة العربية.

*** الفصل الثاني: الانزياح الكمي في القرآن الكريم:**

يوضح هذا الفصل نماذج من الآيات القرآنية التي وقع فيها انزياح عن القاعدة الأولى من قواعد مبدأ التعاون، وهي قاعدة الكم التي تدعو المتكلم ألَّا يقدم معلومات أكثر مما يطلبه هدف التواصل، ولا أقل. وقد قسمت هذه النماذج حسب الأغراض الداعية إلى الانزياح عن هذه القاعدة.

*** الفصل الثالث: الانزياح الكيفي في القرآن الكريم:**

يبين هذا الفصل نماذج من الآيات القرآنية التي حدث فيها انزياح عن القاعدة الثانيـة مـن قواعـد مبـدأ التعـاون، وهـي قاعـدة الكيـف الـتي تحث المتكلم ألَّا يخبِر بما يخالف الحقيقةَ أو لا دليل عليه. وقد رتبت هذه النماذج طبقًا للأغراض الداعية إلى الانزياح عن هذه القاعدة.

*** الفصل الرابع: انزياح المناسبة في القرآن الكريم:**

ويتعرض هذا الفصل إلى نماذج من الآيات القرآنية التي جاء فيها انزياح عن القاعدة الثالثة من قواعد مبدأ التعاون، وهي قاعدة المناسبة التي تدعو المتكلم أن تكون مساهمته مناسبة للحوار، وقد صنفت هذه النماذج إلى الأغراض الداعية إلى الانزياح عن هذه القاعدة.

*** الفصل الخامس: انزياح الأسلوب في القرآن الكريم:**

ويعرض هذا الفصل لنماذج من الآيات القرآنية التي حدث فيها انزياح عن القاعدة الرابعة والأخيرة من قواعد مبدأ التعاون، وهي قاعدة الأسلوب التي توعز إلى المتكلم أن يساهم في المحادثة بطريقة منظمة وأن يتجنب اللبس والإسهاب والغموض. وقد قسمت هذه النماذج وفق الأغراض الداعية إلى الانزياح عن هذه القاعدة.

* **ويعقب ذلك كله خاتمة** تشتمل على ما يتوصل إليه البحث من نتائج، ثم فهارس ثلاثة: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الآيات القرآنية، وفهرس المحتويات.

أولا: المصطلحات الرئيسة:

١- التداولية والاستلزام الحواري[1]:

يعدُّ الاستلزام الحواري من أهمِّ مباحث الدرس التداولي الذي يُعنى بدراسة «العلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم، مما يطلق عليه سياق النص»[2]، فهو دراسة للغة من حيث علاقتها بمستعمليها[3].

---

(١) مصطلح "الاستلزام الحواري" هو ترجمة للمصطلح الإنجليزي "Conversational Implicature"، وقد اختلف الباحثون في ترجمته إلى ثلاث ترجمات رئيسة: الاستلزام الحواري، والاستلزام التخاطبي، والاقتضاء التخاطبي. وقد اختار البحث أكثرها شيوعًا في الدرس التداولي؛ رغبةً في إرساء المصطلح، وهو مصطلح "الاستلزام الحواري". ومن تلك البحوث التي اعتمدت هذه الترجمة:

- الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، منشورات الاختلاف، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- الاستلزام الحواري في رائية عمر بن أبي ربيعة (دراسة تداولية)، د. عبدالباقي يوسف، حولية كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، مصر، العدد الثاني والثلاثون، المجلد الثالث، ص (٢٨٩١-٢٩٨٩).
- الاستلزام الحواري وطاقاته الحجاجية في حوار موسى صلى الله عليه وسلم مع فرعون (سورة الشعراء: ١٠-٣١) (مقاربة تداولية بلاغية)، د.أحمد يوسف، حولية كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، العدد السابع والثلاثون، المجلد الأول، يوليو، ٢٠١٤، ص (١-٦٣).

(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، القاهرة، ١٩٩٢م، (ص٢٠).

(٣) انظر: المقاربة التداولية، فارنسواز أمينكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ١٩٨٧م، (ص٧).

وتختص نظرية الاستلزام الحواري بدراسة طرق إيصال المقصود بطريق غير مباشر وأنواعه وآلياته. ويُقصد بالاستلزام: اقتضاء الكلام لمعنى غير معناه الحرفي، ويكون هذا المعنى المقتضى هو المقصود الأول، وقد عرَّف جرايس كيفية إجراء استلزام في الحوار بقوله: «إن قام شخص ما باستلزام "ض" عندما قال القضية "ق"؛ فإنه يعتبر قائمًا باستلزام محادثي»[(١)]. وقيل هو: «لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر»[(٢)].

٢- مبدأ التعاون وقواعده الفرعية الأربعة:

سعى جرايس إلى الإجابة عن: كيف يَقصد المتكلمُ ما لم يقله؟ وبعبارة أخرى: كيف يوصل المتكلمُ مقصودَه إلى المخاطب دون أن يصرّح باللفظ المباشر؟ فوَضع فرضيتَه التي تنصُّ على وجود مبدأ عامٍّ يحكم عمليةَ الحوار يلتزم به المتحاورون ضمنيًّا، وهو "مبدأ التعاون"، حيث يتعاون أطرافُ الحوار على إنجاحِ حوارهم وإيصالِ مقصودهم[(٣)].

ويَضم مبدأُ التعاون أربعَ قواعد فرعية يراعيها المتحاورون، وتدور هذه القواعد حول ضبط الحوار وجعله مثمرًا: فقاعدة الكم تفرض على المتكلم ألَّا يقدم معلومات أكثر مما يطلبه هدف التواصل ولا أقل. وقاعدة الكيفية تدعوه ألَّا يخبر

---

(١) المنطق والمحادثة، بول جرايس، ترجمة: د. محمد الشيباني ود.سيف الدين دغفوس، ضمن كتاب إطلالات على النظرية اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص (٦٢٤/١).

Logic and Conversation, H. P. Grice, in Studies in the Way of Word, the president and fellows Harvard college, 1995, p.30.

(٢) النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، صلاح إسماعيل، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، الحولية الخامسة والعشرون، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص (٧٨).

(3) See: Logic and Conversation, Grice, p. 26.

بما يعتقد أنه كذب أو لا دليل عليه. وقاعدة المناسبة تحثه إلى أن تكون مساهمته مناسبة، وقاعدة الأسلوب توعز إليه أن يساهم في المحادثة بطريقة منظمة، وأن يتجنب اللبس والإسهاب والغموض[١].

٣- الانزياح[٢]:

ويقصد بالانزياح في نظرية الاستلزام الحواري: ما يحدثه المتكلم من خرق لقواعد مبدأ التعاون الفرعية؛ بغية أن يوصل مقصوده بطريق غير مباشر، ومن ثم يتولد لدينا أربعة انزياحات عن القواعد الفرعية الأربعة، وهذه الانزياحات الأربعة هي: الانزياح الكمي، والانزياح الكيفي، وانزياح المناسبة، وانزياح الأسلوب.

---

(1) See: Logic and Conversation, Grice, p.26-28.

(٢) يستخدم جرايس الدال (violate) للدلالة على الخرق أو الانتهاك الذي يحدثه المتكلم عن قصد للقواعد الأربعة لمبدأ التعاون، كما يستخدم أيضًا الدال (flout/ازدرى) للدلالة على المدلول نفسه، ولعل جرايس آثر التعبير بهذه الكلمات رغم حدتها لتلبسها وتأكيدها على مفهوم القصد الذي هو لب نظرية جرايس.

See: Logic and Conversation, Grice, p.30.

وقد اصطلح البحث على أن يعبر بالمصطلح "انزياح" عن الدالين (violate & flout) رغم كون الدال العربي (خرق) أو (انتهك) هو الأقرب إلى لفظ جرايس الإنجليزي؛ لما فيهما من حدة لا تناسب منزلة القرآن العظيم المقدسة، وموافقةً لما يستلهمه البحثُ -إضافةً إلى النظريةِ التداوليةِ- من النظرية الأسلوبية التي يُعدُّ الانزياح فيها حجر أساس كما سيأتي بيانه. وعلى الرغم من أن البحث قد اختار مصطلح الانزياح فإنه قد يعبر عنه في بعض السياقات بمصطلح "العدول" مرادفًا له دون أدنى تفرقة بينهما.

٤- الأسلوبية:

انبثقت الأسلوبية من الدراسات اللسانية الحديثة، لاسيما تفرقة دي سوسير بين اللغة بعدِّها نظامًا مجردًا، وبين الكلام أو الخطاب الذي هو التمثل الفردي لاستخدام اللغة[١]. وإذا كان دي سوسير قد خصَّ موضوع اللسانيات باللغة المجردة فإن الأسلوبية قامت على «دراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية»[٢]، مستمدةً من اللسانيات إجراءاتها وأدواتها العلمية.

ثانيًا: أهمية البحث:

١- الدراسة البينية للاستلزام الحواري في القرآن الكريم من زاويتين مختلفتين تكمل إحداهما الأخرى: التداولية ومراعاتها للجانب التواصلي اللساني، والأسلوبية وبحثها عن الجانب التأثيري الجمالي.

٢- استقصاء أساليب التعبير عن المقصود بطريق غير مباشر الواردة في القرآن الكريم، ومن ثم تصنيفها وفقًا للقواعد الأربعة للاستلزام الحواري، ثم حسب غرضها التأثيري والجمالي.

٣- ربط الاستلزام الحواري بفنون البلاغة العربية وبيان العلاقات بينهما.

٤- دراسة أسلوبية القرآن الكريم في استخدامه للاستلزام الحواري، ومن ثم شمول الدراسة للقرآن الكريم كله.

---

(١) انظر: علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف، دار آفاق عربية، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، ص (٢٧).

(٢) الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م، ص (١٦).

ثالثًا: أسباب اختيار البحث:

١- الإسهام في الدراسات الحديثة للقرآن الكريم، وبيان عظمته، وتجدد عطائه، وكونه لا يخلق عن كثرة الرد والتدبر.

٢- عدم وقوف الباحث على دراسةٍ للاستلزام الحواري تبين أسلوبية القرآن الكريم في استخدامه للاستلزام الحواري، أو تتخطى الجانب التداولي إلى الجانب الأسلوبي والجمالي، أو تستقصي مظاهر الاستلزام الحواري جميعها، سواء في القرآن الكريم أو في غيره من النصوص الأدبية.

٣- شمولية نظرية الاستلزام الحواري وإحاطتها بجميع أساليب التعبير عن المقصود بطريق غير مباشر، وثراء القرآن الكريم بهذه الأساليب.

٤- الاستفادة العلمية التي سيجنيها الباحث من دراسته للاستلزام الحواري في القرآن الكريم دراسة أسلوبية تداولية، وتعرضه للمصادر التراثية الأصيلة، لاسيما أن أطروحتي للماجستير كانت دراسة لنصوص حداثية بعنوان: "الشخصيات الرئيسة في الرواية المصرية دراسة سيميولوجية".

رابعًا: أهداف البحث:

١- اختبار آليات الاستلزام الحواري ومدى فعاليتها في استكشاف أساليب التعبير عن المقصود بطريق غير مباشر في القرآن الكريم.

٢- الوقوف على الأغراض التداولية للاستلزام الحواري في القرآن الكريم.

٣- رصد السمات الجمالية للاستلزام الحواري في القرآن الكريم.

خامسًا: مشكلة البحث:

يسعى البحث -في كل فصل من فصوله الخمسة على حدة- أن يجيب عن الأسئلة التالية:

١- ماهية الاستلزام الحواري وأنواعه وقواعده وآلياته، وعلاقاته بالتداولية والأسلوبية والبلاغة العربية؟

٢- شواهد الانزياح عن قاعدة الكم الواردة في القرآن الكريم وأغراضها التداولية وأسلوبيتها الجمالية؟

٣- شواهد الانزياح عن قاعدة الكيف الواردة في القرآن الكريم وأغراضها التداولية وأسلوبيتها الجمالية؟

٤- شواهد الانزياح عن قاعدة المناسبة الواردة في القرآن الكريم وأغراضها التداولية وأسلوبيتها الجمالية؟

٥- شواهد الانزياح عن قاعدة الأسلوب الواردة في القرآن الكريم وأغراضها التداولية وأسلوبيتها الجمالية؟

سادسًا: حدود البحث:

نطاق البحث هو القرآن الكريم كاملًا، وليس الحوار القصصي منه فحسب كما اقتصرت كثير من الدراسات[١]، فالاستلزام يبحث في الحوار بمفهومه العام أي: الخطاب الموجه إلى الآخر، والقرآن الكريم خطاب الله إلينا: فكما قص علينا فيه من نبأ الاولين، أمرنا فيه ونهانا كذلك، ووعظنا وأرشدنا، ووعدنا وأوعدنا... إلى غير ذلك من أنواع الخطابات القرآنية[٢].

سابعًا: منهج البحث:

يعتمد البحث في دراسته للاستلزام الحواري في القرآن الكريم على المنهج الوصفي التحليلي، ذلكم المنهج الذي لا يكتفي بوصف الظاهرة ورصدها، وإنما يُعنى كذلك ببيان علتها وخصائصها وتأثيرها.

---

(١) انظر مثلًا: الاستلزام الحواري من خلال خطابات سيدنا إبراهيم عليه السلام (دراسة تداولية)، حمو كوثر، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح-ورقلة، الجزائر، ٢٠١٧م. الاستلزام الحواري وطاقاته الحجاجية في حوار موسى صلى الله عليه وسلم مع فرعون، د.أحمد يوسف، ص (١-٦٣).

(٢) ومن تلك الدراسات التي اعتمدت في دراستها للاستلزم في القرآن الكريم مفهومه العام: الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني (مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة)، عيسى تومي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، العدد الأول، المجلد الثامن، ٢٠١٩م. الاستلزام الحواري في سورة الحجرات (دراسة تحليلية تداولية)، لينة عفة الرفقي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة مولانا إبراهيم، إندونيسيا، ٢٠١٧م.

ثامنًا: الدراسات السابقة:

تناولت عدة دراسات موضوع الاستلزام الحواري في القرآن الكريم، ويمكن تصنيف هذه الدراسات على النحو التالي:

أ- دراسات لسور محددة أو بعض آيات من القرآن الكريم، ومنها:

١- الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني (مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة)، عيسى تومي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد الثامن، العدد الأول، ٢٠١٩م، ص (٤٣-٦٢).

٢- الاستلزام الحواري في القرآن الكريم (آيات من سورة مريم أنموذجًا)، د. سامية محصول، مجلة اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ربيع الأول ١٤٣٩، ديسمبر ٢٠١٧م، ص (٢٣-٤٤).

٣- دلالة الاستلزام الحواري في القرآن الكريم (سورة الكهف أنموذجًا)، بابا حيدة زليخة وبوتدراة حسناء، رسالة ماجستير مشتركة، كلية الآداب واللغات، جامعة أدرار، ٢٠١٧م.

٤- الاستلزام الحواري في سورة طه (تحليل تداولي وفق نظرية غرايس)، ميرود سعاد، مجلة المدونة، الجزائر، العدد الأول، المجلد الخامس، شهر يونيو، ٢٠١٨م، ص (٣١٩-٣٣٨).

٥- الاستلزام الحواري في سورة البقرة في القرآن الكريم (دراسة وصفية تحليلية تداولية)، حجر نورما وحيدة، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والثقافة، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية، مالانج، أندونيسيا، ٢٠١٠م.

٦- الاستلزام الحواري في سورة الحجرات (دراسة تحليلية تداولية)، لينة عفة الرفقي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة مولانا إبراهيم، إندونيسيا، ٢٠١٧م.

٧- الاقتضاء التخاطبي (دراسة تداولية في آيات من سورة الأنعام)، د. نور وليد، مجلة التداولية في البحث اللغوي والنقدي، تحرير: د. بشرى البستاني، مؤسسة السياب، لندن، العدد الأول، ٢٠١٢م، ص (٤١٥-٤٥٤).

ب- دراسات لخطابات معينة من القرآن الكريم، ومنها:

٨- الاستلزام الحواري من خلال خطابات سيدنا إبراهيم عليه السلام (دراسة تداولية)، حمو كوثر، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، الجزائر، ٢٠١٧م.

٩- الاستلزام الحواري وطاقاته الحجاجية في حوار موسى صلى الله عليه وسلم مع فرعون (سورة الشعراء: ١٠-٣١) (مقاربة تداولية بلاغية)، د. أحمد يوسف، حولية كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، العدد السابع والثلاثون، المجلد الأول، يوليو، ٢٠١٤م، ص (١-٦٣).

ج- دراسات لأحد تفاسير القرآن الكريم، ومنها:

١٠- قواعد التخاطب اللساني في كتاب معاني القرآن للنحاس (ت ٣٣٨هـ) (مقاربة تداولية)، د. علاء سامي، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، العدد التاسع عشر، المجلد العاشر، ٢٠١٦م، ص (٤٠٩-٤٣٤).

١١- قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧ هـ) (دراسة تداولية)، زينب عادل الشَّمريّ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، كلية الدراسات القرآنية، جامعة بابل، العدد الثاني والثلاثون، نيسان، ٢٠١٧م، ص (٤٢٠-٤٤٢).

ويلاحظ على هذه الدراسات ما يلي:

- لم تتعرض دراسة لاستقراء الاستلزام الحواري في القرآن الكريم كله.
- وقوف الدراسات عند الحد التداولي للاستلزام الحواري، دون بيان أثره الجمالي التأثيري.
- خلت الدراسات من كثير من الأبواب التي يدخلها الاستلزام الحواري، مثل: الاستعارة والتشبيه البليغ وغيرها.
- الدراسات (١، ٢، ٣) خلطت بين مفهوم الاستلزام الحواري عند بول جرايس، وبين الأفعال الكلامية غير المباشرة عند جون روجرز سيرل (John R. Searle) (١٩٣٢-)[1]، فجاءت بحوثهم خالصةً في الأفعال الكلامية غير المباشرة! وهو خلط شائع عند كثير من الباحثين[2].
- الدراسات (٨، ٩، ١٠، ١١) اضطربت في فهم الاستلزام الناتج عن الانزياح عن قاعدة الكيف (الصدق)، فأوردوا فيه كل ما كان كذبًا من أقوال المشركين ونحوه[3]،

---

(١) انظر: الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني (مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة)، عيسى تومي، ص (٤٣-٦٢). الاستلزام الحواري في القرآن الكريم (آيات من سورة مريم أنموذجًا)، د. سامية محصول، مجلة اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ربيع الأول ١٤٣٩، ديسمبر ٢٠١٧م، ص (٢٣-٤٤). دلالة الاستلزام الحواري في القرآن الكريم (سورة الكهف أنموذجًا)، بابا حيدة زليخة وبوتدراة حسناء، رسالة ماجستير مشتركة، كلية الآداب واللغات، جامعة أدرار، ٢٠١٧م.

(٢) انظر: ص (٥٠) من هذا البحث.

(٣) انظر: الاستلزام الحواري من خلال خطابات سيدنا إبراهيم عليه السلام، حمو كوثر، ص (٤٦). الاستلزام الحواري وطاقاته الحجاجية في حوار موسى صلى الله عليه وسلم مع

بينما الانزياح عن قاعدة الكيف يُشترط له أن يعي المخاطب أن المتكلم عدل عن الحقيقة، فهو ليس كذبًا على المخاطب، وإنما مجاز يدركه المخاطب[١]، فقول الكافرين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[٢] هو كذب محض وليس من الاستلزام في شيء.

- الدراسات (٤، ٥، ٨، ٩، ١٠، ١١) جانبها الصواب في فهم الاستلزام الحاصل من الانزياح عن قاعدة الكم زيادة ونقصانًا، فأدخلوا فيه مبحثي الإطناب والإيجاز[٣]، وبينهما بون؛ فإن تقديم معلومات زائدة عن توقع المخاطب لا يدخل في الاستلزام إلا إذا قُصد بالزيادة نفسها التلويح بقول آخر لا يفهم من لفظها، وكذلك النقصان[٤]؛ ولذلك فإن قول الله عز وجل: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٥] من باب الإيجاز لا الاستلزام؛ لأن المقصود منه مفهوم من دلالة اللفظ مباشرة لا من دلالة الاستلزام.

فرعون، د. أحمد يوسف، ص (٣٢). قواعد التخاطب اللساني في كتاب معاني القرآن للنحاس، د. علاء سامي، ص (٤١٦). قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء، زينب الشَّمريّ، ص (٤٢٥).

(١) انظر: ص (٣٨) من هذا البحث.

(٢) [البقرة: ١١].

(٣) انظر: الاستلزام الحواري في سورة طه، ميرود سعاد، ص (٣٣٥). الاستلزام الحواري في سورة البقرة، حجر نورما، ص (٨١). الاستلزام الحواري من خلال خطابات سيدنا إبراهيم عليه السلام، حمو كوثر، ص (٤٠). قواعد التخاطب اللساني في كتاب معاني القرآن للنحاس، د. علاء سامي، ص (٤١٤). قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء، زينب الشَّمريّ، ص (٤٢٣). الاستلزام الحواري وطاقاته الحجاجية في حوار موسى صلى الله عليه وسلم مع فرعون، د. أحمد يوسف، ص (٢٧).

(٤) انظر: ص (٣٧) من هذا البحث.

(٥) [البقرة: ١٢٤].

- الدراسات (٥، ٦، ١٠، ١١) اضطربت في فهم الاستلزام الناتج عن الانزياح عن قاعدة الأسلوب: حيث خلطت الأولى والثانية بينه وبين الانزياح عن قاعدة المناسبة[١]، بينما خصَّته الثالثة بمثل تقديم المفعول على الفعل[٢]، وجعلته الرابعة لما كان ملغزًا لا يظهر وجهه[٣]، والصواب أن الانزياح عن قاعدة الأسلوب يختلف عن الانزياح عن قاعدة المناسبة[٤]، وأنه يختص بالانزياح الاستبدالي لا التركيبي[٥]، وأن الملغز والغامض لا يُعدُّ من باب الاستلزام إلا إذا استلزم معنى غير مباشر مقصودًا[٦]، فقول ملكة سبأ ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾[٧] لا يقتضي قولًا غير مباشر، وإنما هو محاولة منها للإجابة بطريقة ملغزة كما أُلغز عليها في السؤال: ﴿أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ﴾[٨]، ولذلك قال سليمان عليه السلام ردًّا على إجابتها: ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾ [٩].

---

(١) انظر: الاستلزام الحواري في سورة البقرة، حجر نورما، ص (٩٧). الاستلزام الحواري في سورة الحجرات، لينة الرفقي، ص (٥٤).

(٢) انظر: قواعد التخاطب اللساني في كتاب معاني القرآن للنحاس، د. علاء سامي، ص (٤١٨).

(٣) انظر: قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء، زينب الشَّمريّ، ص (٤٢٧).

(٤) انظر: ص (٤٠) من هذا البحث.

(٥) انظر: ص (٥٤) من هذا البحث.

(٦) انظر: ص (٤٠) من هذا البحث.

(٧) [النمل: ٤٢].

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير (المتوفى: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ص (٨/٣٠٨).

(٩) [النمل: ٤٢].

- الدراسات (٨، ١١) خلطت بين الاستلزام الحواري المخصص والمعمم[١]، وبينهما بون شاسع، فالأول هو الذي ينتج عن الانزياح عن قواعد التعاون الأربعة، بينما الثاني هو الذي ينتج من احترام قواعد التعاون الأربعة[٢].

تاسعًا: هيكل البحث:

*** المقدمة**

*** الفصل الأول: الاستلزام الحواري في الدرس اللساني والبلاغي**

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الاستلزام الحواري في الدرس التداولي والأسلوبي

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: منطلقات نظرية الاستلزام الحواري

المطلب الثاني: الاستلزام الحواري أنواعه وآليته وسماته

المطلب الثالث: الاستلزام الحواري والأفعال الكلامية غير المباشرة

المطلب الرابع: أسلوبية الاستلزام الحواري

المطلب الخامس: المعنى المستلزم وجماليته

---

(١) انظر: الاستلزام الحواري من خلال خطابات سيدنا إبراهيم عليه السلام، حمو كوثر، ص (٤١). قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء، زينب الشَّمريّ، ص (٤٢٣).

(٢) انظر: ص (٣٤) من هذا البحث.

- المبحث الثاني: الاستعطاف

- خاتمة الفصل

*** الفصل الخامس: انزياح الأسلوب في القرآن الكريم**

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: التلطف

- المبحث الثاني: الإيضاح

- خاتمة الفصل

* الخاتمة

* الفهارس

وفيها ثلاثة فهارس:

- فهرس المصادر والمراجع

- فهرس الآيات القرآنية

- فهرس المحتويات



الفصل الأول

الاستلزام الحواري في الدرس اللساني والبلاغي

المبحث الأول: الاستلزام الحواري في الدرس التداولي والأسلوبي

المطلب الأول: منطلقات نظرية الاستلزام الحواري

تعدُّ نظرية الاستلزام الحواري (Conversational Implicature) أحد أهم محاور الدرس التداولي، وهي تُعنى بدراسة طرق إيصال المقصود بطريق غير مباشر وآلياته.

ويرجع فضل تأسيس هذه النظرية إلى هربرت بول جرايس (Herbert Paul Grice) (١٩١٣-١٩٨٨م) أحد فلاسفة أكسفورد الذين اتخذوا من التحليل اللغوي للغة العادية (ordinary language) مدخلًا إلى الفلسفة[١].

وقد كرَّس جرايس جلَّ أبحاثه للتأكيد على النظرية القصدية في فهم المعنى حيث يشغل مقصد المتكلم دورًا رئيسًا في فهم المعنى[٢].

بدأ جرايس التأسيس لنظريته عام (١٩٥٧م) في مقاله: "Meaning" حيث قسم الدلالة إلى قسمين: الدلالة الطبيعية (natural sense)، والدلالة غير الطبيعية (non natural sense):

- **الدلالة الطبيعية:** هي ما دُلَّ عليها بطريق غير مقصود. فهو المعنى الذي تملكه الأشياء في الطبيعة دون تواضع أو اصطلاح. ومثاله: البقع (Spots) تدل على

---

(١) انظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص (١٧).

(٢) انظر: النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، د. صلاح إسماعيل، ص (١٧).

مرض الحصبة(١).

- **الدلالة غير الطبيعية**: هي ما قصد شخص ما الدلالة عليه. فهي دلالة قصدية اصطلاحية، مثل الدلالة على امتلاء الحافلة بطرق الجرس ثلاث مرات، وهذه الدلالة غير الطبيعية هي التي يقع بها التواصل(٢).

ويختلف المعنى الذي يقصده المتكلم (المعنى غير الطبيعي)، عن معنى الكلمة (word's meaning)، ومعنى الجملة (sentence's meaning). فمعنى الكلمة هو المعنى غير الزمني (timeless) مجردًا من أي سياق، ومعنى الجملة هو معاني الكلمات مضمومة إلى بعضها في جملة مفيدة، بينما معنى المتكلم قد يختلف عنهما حين يقصد المتكلم ذلك(٣)، فجملة "جاء زيد" قد يقصد المتكلم منها غير إثبات المجيء لزيد، كأن يقصد استهجان تأخر مجيء زيد.

فإذا كان معنى المتكلم ومقصده قد يختلف عن معنى الكلمة والجملة، فما هي الآلية التي يتبعها المتكلم لإيصال مقصوده إلى المخاطب؟ وكيف يتسنى للمخاطب أن يصل إلى مقصود المتكلم عندما يقصد أكثر مما يقول أو عكسه؟

حاول جرايس أن يجيب عن هذه الأسئلة من خلال تقديم نظريته الجديدة "الاستلزام الحواري" عام (١٩٦٧م) في مقاله الشهير "المنطق والمحادثة" (Logic and Conversation).

---

(1) See: Meaning, H. P. Grice (1913-1988), in The Philosophical Review, Vol. 66, No. 3., Jul., 1957, p. 377.

(2) See: Ibid, p. 377-378

(3) See: Utterer's meaning, sentence-meaning, and word-meaning, H. P. Grice (1913-1988), Philosophy, Language, and Artificial intelligence, Kluwer Academic Publishers, 1968, p. 49. Logic and Conversation, Grice, p. 78.

لقد افترض جرايس وجود مبدأ عام متفق عليه ضمنيًّا بين المتحاورين، ألا وهو "مبدأ التعاون" (Cooperative Principle)، وخلاصته: «اجعل مساهمتك في الحوار حسب ما يُرجى لها: موافقةً لأهداف الحوار ووجهته»(١).

وقد قسم جرايس هذا المبدأ العام "مبدأ التعاون" إلى أربع قواعد فرعية(٢):

١- قاعدة الكم (Maxim of Quantity).

٢- قاعدة الكيف (Maxim of Quality).

٣- قاعدة المناسبة (Maxim of Realtion).

٤- قاعدة الأسلوب (Maxim of Manner).

وقد اقتدى جرايس في تقسيمه الرباعي هذا -كما صرح جرايس نفسه(٣)- بالفيلسوف الألماني إيمانويل كانط (Immanuel Kant) (١٧٢٤-١٨٠٤م) في تقسيمه للمبادئ العامة التي يقوم عليها العقل المحض(٤)، والجامع بينهما لطيف، فكما أن مقولات كانط قبلية تسبق الخبرة وتنظم الحدوس الحسية، فكذلك قواعد جرايس حيث يفترض لها أن تسبق أي محاورة لتنظمها.

---

(1) Logic and Conversation, Grice, p. 26.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) See: Critique of pure reason, Immanuel Kant (1724-1804), translated and edited by Paul Guyer and Allen W. Wood, Cambridge University Press, first published, 1998, p. 212.

أولًا: قاعدة الكم:

وتختص هذه القاعدة بكمية المعلومات المقدمة إلى المخاطب، حيث يجب على المتكلم -مراعاةً للتعاون ووصول مقصوده- أن يقدم القدر المناسب من المعلومات إلى المخاطب بلا زيادة أو نقصان(١).

وتتفرع عن هذه القاعدة قاعدتان -حسب تقسيم جرايس(٢)-:

١- اجعل مساهمتك في الحوار متضمنة للمعلومات على قدر الحاجة.

٢- لا تجعل مساهمتك في الحوار متضمنة لمعلومات أكثر مما يحتاج إليه.

ويبدو أن قاعدة جرايس الأولى تغني عن الثانية، بل هي مستلزمة لها؛ فكون المعلومات على قدر الحاجة (as it is required) يعني ألا نقص فيها ولا زيادة، ولعل هذا هو سبب آخر يضاف إلى السبب الأصلي الذي جعله جرايس علة قوية لتردده في هذه القاعدة، إذ ذكر أن قاعدة المناسبة التالية قد تغني عنها(٣).

وقد ضرب جرايس مثالًا لهذه القاعدة من الحياة الواقعية، إذ يفترض أن سيارته تعطلت وأن شخصًا ما يريد أن يساعده، فيقول جرايس له: «إذا كنت ستساعدني في إصلاح سيارتي فإنني أتوقع أن تكون مساعدتك لي ليست أقل أو أكثر مما هو مطلوب، فلو كنت أحتاج مثلًا أربعة براغ فإني أتوقع أن تمدني بأربعة وليس ستة أو اثنين»(٤).

---

(1) See: Logic and Conversation, Grice, p. 27.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) Ibid, p. 28.

ثانيًا: قاعدة الكيف:

تتعلق هذه القاعدة بصدق المعلومات المقدمة إلى المخاطب، حيث يجب على المتكلم -مراعاةً لمبدأ التعاون في الحوار- أن يقدم للمخاطب معلومات صادقة[1]. وقد لخص جرايس هذا القاعدة في قوله: «اجعل مساهمتك في الحوار صادقة»[2].

ويتفرع عن قاعدة الكيف قاعدتان فرعيتان:

١- «لا تقل ما تعتقد كذبه.

٢- لا تقل ما لا تملك له أدلة كافية»[3].

ويضرب جرايس مثالًا توضيحيًّا لهذه القاعدة وإن كان من خارج نطاق الحوار والمخاطبة، لكنه يفي بمقصوده التوضيحي، حيث يقول: «أتوقع أن تكون مساعدتك لي صادقة غير مراوغة، فإذا احتجت إلى السكر لإعداد كعكة فإنني لا أتوقع أن تعطيني ملحًا، وإذا احتجت إلى ملعقة معدنية فإنني لا أتوقع أن تعطيني ملعقة من المطاط»[4].

---

(1) Logic and Conversation, Grice, p. 27.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) Ibid, p. 28.

ثالثًا: قاعدة المناسبة:

وقد أجمل جرايس المراد من هذه القاعدة في قولة واحدة ولم يفرِّعه مثل بقية القواعد، فلخصها بقوله: «قل ما كان مناسبًا للحوار»(١)، فالمتحاورن يلتزمون بقول ما يناسب الحوار.

يقول جرايس ممثلًا لهذا القاعدة من الحياة الواقعية: «أتوقع أن تكون مساعدة شريكي مناسبة لاحتياجاتي حسب كل مرحلة من مراحل العمل، فلو كنت أخلط مكونات كعكة، فإني لا أتوقع أن تمدني بكتاب جيد أو بقفاز طهي (وإن كان القفاز سيكون مناسبًا في مرحلة لاحقة»(٢).

رابعًا: قاعدة الأسلوب:

وتتعلق هذه القاعدة بكيفية القول، لا بما قيل. وقاعدتها الرئيسة: «كن واضحا»(٣).

وتتضمن قاعدة الأسلوب القواعد الفرعية التالية:

١- «ابتعد عن غموض التعبير.

٢- ابتعد عن عدم الوضوح.

٣- كن مختصرا.

---

(1) Logic and Conversation, Grice, p. 27.

(2) Ibid, p. 28.

(3) Ibid.

٤- كن مرتبا»[١].

يقول جرايس ممثلًا لهذ القاعدة: «أتوقع أن يوضح لي شريكي كيفية مساعدته لي، وأن ينفذ مساعدته لي بسرعة مقبولة»[٢].

إن المنعم النظر في هذه القواعد وطريقة عرض جرايس لها ليتبين له أن هذه القواعد لم تُوضع من أجل ضبط الحوار أصالةً، وإنما وُضعت لتفسير ظاهرة التعبير عن المقصود بطريق غير مباشر، وغالب الظن أن جرايس جمع تمثلات هذه الظاهرة أولًا، ثم حاول أن يستخرج منها قواعد تحيط بهذه التمثلات، لا أن القواعد وضعت أولًا لضبط الحوار ثم طُبقت على هذه الظاهرة، وفهم الأمر على هذا الأساس يشهد أن كل من أتى من بعد جرايس وحاول أن يطور في نظريته إنما جرفها عن مجراها الأصلي وهو ظاهرة التعبير عن المقصود بطريق غير مباشر، إلى مجرى فرعي لها وهو قواعد الحوار[٣] التي استُنبطت من هذه الظاهرة لأجل تكييفها وتقنينها.

---

(1) Logic and Conversation, Grice, p. 28.

(2) Ibid.

(٣) ظهرت بعد جرايس عدة محاولات لتطوير قواعده الحوارية وصقلها أو استبدالها بغيرها: فمن ذلك محاولة هورن (Laurence Robert Horn) (١٩٤٥م-) حيث دمج القواعد في قاعدتين: قاعدة الكمية والمناسبة، وعنهما تتفرع بقية القواعد. ومنها: محاولة لفنسن (Stephen C. Levinson) (١٩٤٧م-) ، فقد قال بقاعدتي الكمية والبيان. ومنها: نظرية النسبة التي طرحها سبيربر (Dan Sperber) (١٩٤٢م-) وولسن (Deirdre Wilson) (١٩٤١م-) بديلًا عن نظرية جرايس. ومنها: مبدأ التصديق لطه عبدالرحمن (١٩٤٤م-).

انظر: نظرية التلويح الحواري، هشام عبدالله خليفة، مكتبة لبنان ناشرون، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص (٩٨). الاستلزام الحواري في الدرس اللساني الحديث (طه عبدالرحمن

وهكذا أُهمل الهدف الأساسي من النظرية وهو تقنين ظاهرة التعبير عن المقصود بطريق غير مباشر، في وقت كانت في أمس الحاجة فيه إلى الصقل والإحكام والتهذيب والتوضيح.

ويأتي هذا البحث خطوةً في سبيل الدفع بهذه النظرية إلى مجراها الأصلي، ومحاولةً لصقل هذه النظرية من خلال استكمال بعض أدواتها النظرية كالأغراض والسمات، وبيان وجهتها الجمالية والأسلوبية، وتقاطعاتها مع التداولية والبلاغة العربية، ومن ثم السعي إلى تمثلها تطبيقيًّا لاختبار آلياتها وإمكانياتها في رصد ظاهرة التعبير عن المقصود بطريق غير مباشر.

أنموذجًا)، د. ليلى كادة، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، الجزائر، العدد الثلاثون، ٢٠١٤م، ص (١٨٥).

See: The Handbook of Pragmatics, edited by Laurence R. Horn, and Gregory Ward, Blackwell Publishing, U.K., 2006, p. 12.

Minimization and Conversational Inference, Stephen C. Levinson (1947-), in Pragmatics Critical Concepts, vol. IV, edited by Asa Kasher, Routledge, London., 2011, p.548.

المطلب الثاني: الاستلزام الحواري أنواعه وآليته وسماته

يستطيع المتكلمُ اعتمادًا على مبدأ التعاون المتقدم والالتزام بقواعده الأربعة أن يوصل مقصودَه إلى المخاطب بطريق مباشر دون معوقات، ويكون ما يُستلزم عن مقصوده المباشر هو ما يُعرف بالاستلزام الحواري المعمم (generalized conversational implicature).

وقد لا يلتزم المتكلم بهذه القواعد في عدة حالات، من أهمها:

١- أن يقصد المتكلم أن يضلل المخاطب.

٢- أن ينسحب المتكلم عن المحاورة ويرفض التواصل.

٣- أن يبتغي المتكلم أن يوصل مقصوده بطريق غير مباشر، وعليه حينئذ أن ينحرف عن جادة الطريق المباشر حيث احترام القواعد الأربعة، لينزاح عن إحدى هذه القواعد أو بعضها، فيصبح هذا الانزياح الستارَ المباشر الذي يخفي خلفه المقصود غير المباشر، وهو ما يُعرف بالاستلزام الحواري المخصص (Particularized Conversational Implicature)[(١)].

(١) قامت نظرية الاستلزام الحواري على دراسة التعبير عن المقصود بطريق غير مباشر، وهو ما يُعرَف تحديدًا بـ"الاستلزام الحواري المخصص"، أما ما يُعرف بـ"الاستلزام الحواري المعمم" فما تطرقت إليه النظرية إلا لاستبعاده وإقصائه عنها؛ ولذلك عندما يطلق مصطلح "الاستلزام الحواري" فإنما يقصد منه هذا النوع المخصص، وهو ما انتهجه البحث في اصطلاحه.

أولًا: الاستلزام الحواري المعمم

(Generalized Conversational Implicature)

الاستلزام الحواري المعمم هو "ما يلزم عن القول"، وينشأ من الالتزام بقواعد الحوار الأربعة، وهو ما يُعرف بالاستلزام المنطقي أو دلالة المفهوم عند الأصوليين، ولذلك قدَّمه الفلاسفة -بعد جرايس- على المخصص وأولوه اهتمامهم[(١)].

وما تطرقت نظرية جرايس في الاستلزام الحواري إلى الاستلزام الحواري المعمم إلا لاستبعاده وإقصائه عنها، وكذلك ذكره البحث هنا تمييزًا له عن المخصص موضوع بحثنا.

ومن الأمثلة التي ضربها جرايس على الاستلزام الحواري المعمم: ما يدور من حوار بين شخص يقف بجانب سيارته المعطلة، وآخر يقترب منه مستفهمًا عن سبب وقوفه هكذا:

- صاحب السيارة: لقد نفد وقود سيارتي.
- الآخر: توجد محطة وقود في نهاية الزاوية[(٢)].

فصاحب السيارة يعلم أن الآخر يريد مساعدته (مبدأ التعاون)، وأنه سيذكر ما له علاقة بمشكلته (قاعدة المناسبة)، ومن ثم سيستنتج من قوله أن محطة الوقود مفتوحة الآن، وأنها تبيع الوقود.

---

(١) انظر: نظرية التلويح الحواري، هشام عبدالله خليفة، ص (١٥٥).

(2) Logic and Conversation, Grice, p. 32.

ثانيًا: الاستلزام الحواري المخصص
(Particularized Conversational Implicature)

يُعنى الاستلزام الحواري المخصص بإيصال المقصود بطريق غير مباشر، ويُقصد بالاستلزام: اقتضاء الكلام لمعنى غير معناه الحرفي، ويكون هذا المعنى المقتضى هو المقصود الأول، وقد عرَّف جرايس كيفية إجراء استلزام في الحوار بقوله: «إن قام شخص ما باستلزام "ض" عندما قال القضية "ق"؛ فإنه يعتبر قائمًا باستلزام محادثي»(١). وقيل هو: «لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر»(٢).

وينشأ الاستلزام الحواري من انزياح المتكلم عن إحدى قواعد الحوار الأربعة السابقة، مع التزامه بالمبدأ العام للتعاون.

ويشترط لوقوع الاستلزام الحواري: أن يكون المتكلم ملتزمًا بالمبدأ العام للمحاورة وهو التعاون، مدرِكًا لما يستلزمه قولُه، معتقدًا أن المخاطب سيدرِك مقصودَه المستلزَم(٣).

وحتى يستطيع المخاطب الوصول إلى مقصود المتكلم يجب أن يكون ملمًّا بمعاني الكلمات ومرجعياتها، والسياقات اللغوية وغير اللغوية للكلام، مدركًا للانزياح الذي أحدثه المتكلم في قواعد الحوار، ومعتقدًا أن المتكلم أراده أن يعلم أنه أحدث انزياحًا(٤).

---

(١) المنطق والمحادثة، بول جرايس، ص (١/٦٢٤).

Logic and Conversation, Grice, p.30.

(٢) النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، صلاح إسماعيل، ص (٧٨).

(3) See: Logic and Conversation, Grice, p. 30-31.

(4) See: Ibid, p. 31.

ويتبادر إلى الذهن استفهامٌ عن سبب لجوء المتكلم إلى التعبير عن مقصوده بطريق غير مباشر، ويختلف السبب من سياق إلى آخر، ومن أهم هذه الأسباب -من وجهة نظر البحث الفنية- ما يكتنفه من أغراض جمالية تبتغي التأثيرَ في وجدان المخاطب، وإيصالَ المقصود إليه بشكل أعمق وأكثر تأثيرًا من مخاطبته بالمقصود مباشرةً.

وإذا كان الاستلزام الحواري ينشأ من انزياح المتكلم عن إحدى قواعد الحوار الأربعة، فإنه يمكننا أن نقسم الانزياحات إلى أربعة:

١- الانزياح الكمي:

وهو أن يعدل المتكلم عن تقديم القدر المناسب من المعلومات زيادةً أو نقصانًا، مستلزِمًا لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويُفهم من السياق. فهذه شروط ثلاثة في غاية الأهمية؛ إذ تخلُّف أحدها يقتضي انتفاءَ وقوع الانزياح الكمي.

وقد مثَّل جرايس لهذا الانزياح زيادةً ونقصانًا بعدة أمثلة، فمن أمثلة الزيادة:

- إطالة المتكلم الملحوظة في الاستدلال على مسألة لا تحتاج جهدًا في إيضاحها؛ مستلزمًا التشكيك في صحتها[1].

---

(1) See: Logic and Conversation, Grice, p.33-35.

وقد عَرَّب د. عادل الفاخوري مثال جرايس بقوله: «إذا أراد شخص مجرد الاستفسار عن صحة خبر ما، ولم يكتف المجيب بالتصديق على الخبر، بل راح يتكلف الإدلاء برأي وراء الآخر لا يترك شاردة ولا واردة، مصرًّا على صحة كلامه بشكل لا يقبل النقض، فمن المتوقع أن يلفت مثل هذا الهذر -إن كان مقصودًا- انتباه السامع إلى أن المجيب يلمح بذلك إلى أنه غير موقن من صحة الخبر». الاقتضاء في التداول اللساني، د. عادل الفاخوري، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، ١٩٨٩م، ص (١٥٣).

ويبدو أن تحقق انزياح الزيادة من الصعوبة بمكان؛ لأنك إذا أطلت بما لا يلائم السياق فإن هذا من باب انزياح المناسبة، وإذا أطلت بما يلائم السياق دون أن تستلزم معنى آخر غير المعنى الحرفي للكلام فإن ذلك من باب الإطناب، أما إذا أطلت بما يلائم السياق واستلزمت معنى غير المعنى الحرفي فإن هذا هو انزياح الزيادة، ومن الصعب تحققه؛ فإن من يطيل الكلام ويسترسل غالبًا ما يضع قصده في هذه الإطالة لا في الاستلزام، بل إنه لو أطال بما يناسب السياق ليستلزم معنى غير الذي أطال بسببه فهذا من باب الهذر! ولذلك خلا القرآن العظيم -فيما يراه البحث- من انزياح الزيادة، وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل القادم(١).

ولندرة تحقق هذه النوع من الانزياح أدخل فيها كثير من الباحثين ما ليس منه: فأدخلوا فيه الإطناب، وما كان من أصل الكلام، وبعض أنواع انزياح المناسبة، وقد خصصنا مبحثًا لمناقشة ما أدخلوه وبيان صوابه(٢).

ومن أمثلة انزياح النقصان التي ذكرها جرايس:

- أستاذ يُسأل عن مستوى أحد طلابه في مادة الفلسفة فيقول عنه: هو ممتاز في اللغة الإنجليزية ويحضر دروسه بانتظام، مستلزمًا لضعفه في مادة الفلسفة(٣).

- قول القائل: "الحرب هي الحرب". وقوله: "النساء هن النساء"(٤)(٥).

---

(١) انظر: ص (٩٤) من هذا البحث.

(٢) انظر: ص (٩٦) من هذا البحث.

(٣) للتفصيل في وجه الاستلزام في هذا المثال انظر: ص (٤٢) من هذا البحث.

(4) Logic and Conversation, Grice, p.33-35.

(٥) للتفصيل في وجه الاستلزام في هذين المثالين انظر: ص (٧٤) من هذا البحث.

٢- الانزياح الكيفي:

وهو عدول المتكلم عن قول الصدق (الحقيقة)، مستلزِمًا لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويُفهم من السياق. فهذه ثلاثة شروط إذا تخلف أحدها انتفى وقوع الانزياح الكيفي.

ولما كانت قاعدة الكيف تحتوي على قاعدتين فرعيتين ضرب جرايس لكل انزياح منهما أمثلته.

أما أمثلة الانزياح عن القاعدة الأولى: (لا تقل ما تعتقد كذبه)، فهي:

١- **التهكم**: شخصان تربطهما علاقة صداقة، فيفشي الأول سرًّا للثاني، فيقول الثاني عن الأول في محفل من أصدقائهما الذين يعلمون بحادثة إفشاء السر: "إنه لصديق أمين حقًّا"!

٢- **الاستعارة**: قول القائل: "أنت كريمة قهوتي".

٣- **التلطيف**: يُقال عن رجل حطم أثاث البيت: "لقد كان مخمورًا قليلًا".

٤- **المبالغة**: قول القائل: "كل فتاة جميلة تحب بحّارًا"(١).

وقد جانب الصواب كثيرًا من الباحثين فأدخلوا في هذا النوع من الانزياح كلَّ ما كان كذبًا(٢)! بينما الانزياح الكيفي يُشترط له أن يعي المخاطبُ أن المتكلم عدل عن الحقيقة، فهو ليس كذبًا على المخاطب، وإنما مجاز يدركه المخاطب.

---

(1) Logic and Conversation, Grice, p. 34.

(٢) انظر: ص (١٨) من هذا البحث.

وأما مثال الانزياح عن القاعدة الثانية: (لا تقل ما لا تملك له أدلة كافية)، فهو:

- «أقول في شأن زوجة "س": "من المرجح أنها بصدد خيانته هذه الليلة"، وقد يتضح في مقام مناسب وبحركة ما أو نبرة محددة أو لهجة ملائمة أنه لا شيء على وجه التحديد يجعلني أفترض أن الأمور تجري على هذا النحو. ثم إن شريكي يفترض -حتى يبقي على فرضية أن لعبة المحادثة لا تزال قائمة- أني ألمح إلى قضية قريبة منها يتعين علي -حتى تُقبل- تقديم حجج معقولة. والأرجح أن هذه القضية القريبة هي: لقد سبق لها أن خانت زوجها، ولعلها من النوع الذي لا يكف عن مثل هذا السلوك»[(١)].

ويبدو أن هذا النوع من الانزياحات معقد ويبعد حدوثه، وقد استشعر جرايس ذلك وصرَّح به حيث قال: «قد لا نجد مثالًا على هذه القاعدة بسهولة»[(٢)].

وملخص هذه القاعدة والانزياح عنها: أن تعرية قول ما من دليله الواجب الذكر، قد يستلزم التعريض بامتلاكنا هذه الأدلة. ولم أقف على نماذج من هذا الانزياح في القرآن الكريم.

---

(١) المنطق والمحادثة، بول جرايس، ص (١/٦٢٩).

(٢) السابق.

٣- انزياح المناسبة:

وهو عدول المتكلم عن قولٍ ما يناسب الحوار، مستلزِمًا لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويُفهم من السياق. فهذه ثلاثة شروط إذا تخلف أحدها انتفى وقوع انزياح المناسبة.

وقد ذكر جرايس مثالًا لهذا النوع من الانزياح حيث يَذكُر أحد الحاضرين في حفل ما سلوكًا مشينًا عن شخص ما، فيرد عليه آخر بأن الطقس رائع اليوم[(١)]. فالمعنى المستلزم: علينا ألا نتكلم في هذا الأمر ولنتحدث في أي شيء آخر.

٤- انزياح الأسلوب:

وهو عدول المتكلم عن القول الواضح، مستلزِمًا لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويُفهم من السياق. فهذه ثلاثة شروط إذا تخلف أحدها انتفى وقوع انزياح الأسلوب.

ويندرج تحت قاعدة الأسلوب (الوضوح) كل ما يناقض الوضوح، وقد ذكر جرايس عدة أمثلة مبينًا جهة نقض الوضوح:

١- **اللبس**: استولى أحد القادة العسكريين البريطانيين على مدينة "السند"، فأرسل اعترافًا بالذنب صوتيًّا إلى قادته لمخالفته الأوامر يقول فيه: (I have sinned) أي لقد أذنبت، وصوتيا يحتمل أيضا: (I have sind) أي: لقد استوليت على الهند، وهو مقصوده[(٢)].

(1) See: Logic and Conversation, Grice, 35.

(2) Ibid, p. 36.

٢- **الغموض**: شخصان يتحادثان في حضور طفل، فيجعلان كلامهما غامضًا حتى لا يعي الطفل كلامهما، كأن ينطقان الكلمات بحروف مقطعة[(١)].

٣- **الإطناب والتطويل**: ناقد استمع إلى أغنية فيحكم عليها بقوله: "لقد أصدرت المغنية سلسلة من الأصوات توافق أغنية: الوطن ما أروع الوطن"[(٢)]. المعنى المستلزم: غناؤها ليس بشيء، فبدلًا من أن يقول الناقد: "غنت أغنية"، عمد إلى صياغتها بطريقة تخالف الإيجاز؛ ذمًّا لغنائها ونفيًا لاستحقاقه لاسم أغنية.

وقد ربط جرايس مفهوم الوضوح بكيفية القول وليس القول نفسه[(٣)]، على الرغم من أن القول نفسه أولى بهذه المفهوم من كيفيته؛ لذلك اعتمد البحث وضوح القول نفسه وكيفيته.

---

(1) Logic and Conversation, Grice, 36.

(2) Ibid, p. 37.

(3) Ibid, p. 27.

ثالثًا: آلية الاستلزام الحواري

ويُقصد بآلية الاستلزام الحواري: الإجراءات التي يقوم بها المتكلم والمخاطب لإنشاء استلزام حواري وإيصاله وتلقيه وفهمه.

ولنذكر مثالًا من أمثلة جرايس السابقة لبيان الآلية تطبيقيًا: أستاذ يُسأل عن مستوى أحد طلابه في مادة الفلسفة فيقول عنه: "هو ممتاز في اللغة الإنجليزية ويحضر دروسه بانتظام"(١).

١- يتفق الأستاذ والسائل ضمنيًّا على إيصال مقصودهم وإنجاح حوارهم، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة (مبدأ التعاون).

٢- قام الأستاذ بالانزياح عن قاعدة الكم التي تنص على تقديم المعلومات الكافية إلى السائل، حيث لم يبين مستوى طالبه في مادة الفلسفة خاصة، رغم معرفته بها وإرادته إفادة السائل بما يحتاجه.

٣- يعلم الأستاذ أن هذا الانزياح سيُستلزم منه معنى غير مباشر هو مقصوده، وهو ضعف الطالب في مادة الفلسفة.

٤- يعتقد الأستاذ أن السائل يستطيع أن يصل إلى مقصوده، وأنه سيدرك لا محالة أن الطالب ضعيف في مادة الفلسفة.

٥- يتلقى السائلُ جوابَ الأستاذ ولا يجد فيه ما سأل عنه.

---

(1) Logic and Conversation, Grice, p.33.

٦- يعلم السائل أن الأستاذ قام بانزياح كمي بالنقصان، إذ يمتلك إجابة سؤاله بحكم أستاذيته للطالب، ولأنه لم يصرح بعدم معرفته، ويعلم أيضًا أن الأستاذ متعاون في الحوار، ولا يريد أن يضلله، وأن الإجابة كامنة في جواب الأستاذ وإن لم تظهر له.

٧- ينتقل السائل إلى البحث عن المعنى بشكل أعمق، فيتدبر الإجابة وسياقها فيجد أن مقصود الأستاذ ليس في لفظ الإجابة، وإنما يكمن مقصوده فيما يستلزم من إجابته، حيث يُستلزم من امتناع الأستاذ عن الإجابة عن مستوى طالبه في مادة الفلسفة مع علمه بها، ثم تصريحه بمستواه في غيرها وبانتظامه في الحضور، مع كونه متعاونًا في الحوار؛ يُستلزَم منه أن الطالب ضعيف في مادة الفلسفة، وإنما أراد الأستاذ أن يوصل مقصوده بطريق غير مباشر؛ ربما لحفظ ماء وجه الطالب إذا كان حاضرًا، أو تأدبًا في العبارة، أو لغيره من الأغراض التي يكشف عنه السياق الكامل للحوار.

ومن تطبيق آلية الاستلزام الحواري على الشواهد القرآنية ما يلي:

📖 قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾[1].

آلية الاستلزام: حين يطالع المخاطب هذه الآية الكريمة يجد نفسه أمام صورة مجازية/غير حقيقية (انزياح عن قاعدة الكيف)، فالغضب لا يُعقل منه سكوت أو تحدث، والقرآن الكريم كتاب الله منزه عن قول غير الحقيقة والصدق، وهو كتاب نزل

---

(١) [الأعراف: ١٥٤].

بلسان عربي مبين ليهدي الناس إلى سواء السبيل (مبدأ التعاون)، فيعلم المخاطب أن هذه الصورة غير الحقيقية قُصد منها شيء آخر غير ظاهرها، فينتقل للبحث عن المعنى بشكل أعمق حيث الصورة وإيحاءاتها، فيستدل منها على المعنى المستلزم وهو سكون غضبه بعد فورته(١).

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾(٢).

آلية الاستلزام: يجد المخاطب أن الجواب غير مناسب ظاهريًّا للسؤال (انزياح المناسبة)، فالمسئول عنه سبب زيادة أجرامها ونقصانها، وكونها مواقيت للناس والحج لا يبيّن سببَ زيادة أجرامها ونقصانها، والقرآن الكريم كتاب الله تعالى المنزل لهداية الناس وتزكيتهم (مبدأ التعاون)، فيعلم المخاطب أن الجواب يُقصد به أمر غير ظاهره، فينتقل للبحث عن المقصود بشكل أعمق، فيتدبر السؤال والجواب مرة أخرى، فيجد أن الجواب عُدل فيه عن جواب سؤالهم الحقيقي لعدم فائدته للسائل، إلى جواب ما كان يفترض بهم أن يسألوه وما يحقق لهم النفع والفائدة، وهو ما الحكمة من ذلك(٣).

(١) لمزيد من التفصيل حول الاستلزام الحواري في هذه الآية الكريمة انظر: ص (١٧٥) من هذا البحث.

(٢) [البقرة:١٨٩].

(٣) لمزيد من التفصيل حول الاستلزام الحواري في هذه الآية الكريمة انظر: ص (٢٢٧) من هذا البحث.

📖 قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[١].

آلية الاستلزام: عندما يقرأ المخاطب قوله تعالي: ﴿ٱلرَّفَثُ﴾ يعلم أن المعنى الحرفي غير مقصود (انزياح عن قاعدة الأسلوب)، فالرفث يفضي إلى الجماع فكيف يحل الرفث دون الجماع! ثم إن الذي كان محرَّمًا قبل نزول الآية هو الجماع وما يفضي إليه، فضلًا عن أن سياق الآية التالي يؤكد أن المباح ليس هو الرفث نفسه، والقرآن الكريم كتاب الله منزه عن قول غير الحقيقة والصدق، وهو كتاب نزل بلسان عربي مبين ليهدي الناس إلى سواء السبيل (مبدأ التعاون)، فينتقل المخاطب للبحث عن المعنى المقصود بشكل أعمق، فيجد أن التعبير عن الجماع مما يُتلطف في التعبير عنه تأدبًا وتهذبًا، وما جاء في الآية الكريمة (الرفث) أحد لوازمه، فيستدل بهذا على أن المعنى المستلزم هو حلُّ الجماع[٢].

---

(١) [البقرة:١٨٧].

(٢) لمزيد من التفصيل حول الاستلزام الحواري في هذه الآية الكريمة انظر: ص (٢٥٥) من هذا البحث.

رابعًا: سمات الاستلزام الحواري

تكمن أهمية هذه السمات في كونها مقياسًا حاسمًا لما يدخل ضمن الاستلزام الحواري أو يقع خارجه، فضلًا عن كشفها لخصائص الاستلزام الحواري.

وقد ذكر جرايس في ختام مقاله عن الاستلزام الحواري عدة سمات لهذا الاستلزام الحواري، وقد غلب على جرايس طابعه الفلسفي فجاءت هذه السمات في لَبُوس منطقي، فمما ذكره من سمات: كون الاستلزام الحواري يمكن إبطاله بإضافة شرط ينقضه، وعدم انفكاكه عن اللفظ وإن بُدِّل، وأنه عرفي لا وضعي، وأنه يتولد من كيفية القول لا القول نفسه[1].

ومن الزاوية الفنية للاستلزام الحواري يمكننا أن نتلمس فيه السمات التالية:

١- الاستلزام ينتج من الانزياح عن إحدى قواعد التعاون:

وهذه السمة من الأهمية بمكان، فإن انتقال المخاطب من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم يجب أن يسبقه إشارة توضح هذا الانتقال، وإلا فإن المخاطب لن ينتقل من المعنى الحرفي. هذه الإشارة هي الانزياح عن القواعد المتفق عليها ضمنيًّا.

(1) See: Logic and Conversation, Grice, 39-40.

٢- انزياح الاستلزام انزياح دلالي أو استبدالي:

انزياح الاستلزام ليس انزياحًا تركيبيًّا؛ لأن الانزياح التركيبي ليس في الأصل انزياحًا حقيقيًّا، وإنما هو انزياح عن المثال النموذجي الذي افترضه اللغويون، فالحذف والتقديم والتأخير والتنكير وغيرها من مباحث علم المعاني هي انزياح عن الأصل اللغوي الذي افترضوه بناء على المألوف في اللغة، وإنما غرضهم من هذا الفرض تقنين ما شذ عن أصلهم، فهو تقسيم شكلي[١].

أما الانزياح الدلالي فهو انزياح عن المعنى نفسه كما في الاستعارة والمجاز وغيره، وقد حدَّت نظريةُ الاستلزام الحواري هذا الانزياح بتقسيمه إلى أربعة أنواع كما سبق بيانه[٢].

٣- انزياح الاستلزام مقصود لدى المتكلم به أن يُعلمه للمخاطب:

حتى يُوصل المتكلمُ مقصودَه المخفي وراء عبارته يجب أن يقصد أن يقف المخاطبُ على هذا الانزياح، لينتقل إلى مستوى أعمق من البحث عن المقصود، فإذا أخفى المتكلم هذا الانزياح عن المخاطب، ولم يضع له في خطابه ما يبينه؛ فهو من باب الكذب لا الاستلزام.

وقد نتج من سوء فهم هذه السمة أن أدخل كثير من الباحثين في الاستلزام كل كذب جاء على ألسنة المشركين ونحوهم في القرآن الكريم[٣].

---

(١) انظر: نظرات في أسلوب العدول في النص القرآني لدى البلاغيين، د. حسن منديل العكيلي، مجلة المعرفة، العدد السابع عشر، السنة التاسعة، ١٧ ديسمبر، ٢٠١٤م، ص (٩٢).

(٢) انظر: ص (٣٦) من هذا البحث.

(٣) انظر: ص (١٧، ٣٨) من هذا البحث.

٤- المعنى المستلزم في استطاعة المخاطب الوصول إليه:

المتكلم عندما استلزم معنى بانزياحه فهو يعلم أن في كفاءة المخاطب واستطاعته الوقوف عليه.

٥- المعنى المقصود في الاستلزام هو المعنى المستلزم:

وليس المعنى الحرفي، أو المعنى الحرفي مضافًا إليه معنى ثانوي.

٦- المعنى المستلزم يُفهم من السياق:

المعنى المستلزم ليس جزءًا من المعنى الوضعي للفظ، وإنما يدل عليه اللفظُ من خلال سياقه.

٧- الاستلزام متغير تبعًا للسياق:

فربما العبارة نفسها التي أفادت الاستلزام في سياق لا تحمل استلزامًا في سياق آخر.

المطلب الثالث: الاستلزام الحواري والأفعال الكلامية غير المباشرة

نشأت نظرية الأفعال الكلامية على يد جون أوستين (J.Austin) (١٩١١-١٩٦٠م) عندما حاول أن يفرق بين الجملة الخبرية ذات الطابع الخبري والجملة الخبرية ذات الطابع الإنشائي، فقسم الجملة الخبرية إلى وصفية وإنشائية، ووضع معايير للتفرقة بينهما، ثم وجد أن هذه المعايير غير جامعة ولا مانعة، فوضع نظريته في الأفعال الكلامية مصنفًا الجمل تصنيفًا آخر غير الخبري والإنشائي[1].

إننا حين نقول جملة: "إنها ستمطر" نقوم بثلاثة أفعال:

١-**فعل القول**: وهو النطق بالجملة مستقيمة نحويًّا.

٢-**فعل متضمن في القول** -وهو الفعل الإنجازي وهو لب النظرية-: وهو ما تؤدية الجملة من وظيفة في الاستعمال، فقد تكون هذه الجملة استفسارًا أو استفهامًا أو تحذيرًا... إلخ.

٣-**الفعل التأثيري**: وهو ما يحدثه القولُ في المستمع[2].

ثم جاء جون روجرز سيرل (J.R.Searle) (١٩٣٢م-) ليكمل مسيرة أوستين ويقنن عمله ويضعه في إطاره النظري، فأعاد تقسيم الأفعال الكلامية والفعل الإنجازي.

---

(1) See: How to do Things with Words, J.L.Austin (1911-1960), E.d. by J.O. Urmson and Marina Sbisa, Harvard University Press, second edition, 1975, p.5.

(2) See: Ibid, p. 94-107

ومن إسهامات سيرل المهمة: التفرقة بين الأفعال الإنجازية المباشرة (direct) وغير مباشرة (un direct): فالفعل الإنجازي المباشر هو ما وافقت قوتُه الإنجازية المعنى الحرفيَّ، والفعل الإنجازي غير المباشر ما خالفت فيه القوةُ الإنجازية المعنى الحرفيَّ، فقولك: "هل تناولني الملح"، قوته الإنجازية المقصودة: الطلب، وهي تخالف المعنى الحرفي للجملة حيث الاستفهام(١).

وقد استفاد سيرل من نظرية جرايس في الاستلزام الحواري، حيث استعار منه آلية الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم، ليطبقها على الأفعال الكلامية غير المباشرة حيث الانتقال من القوة الإنجازية الحرفية إلى القوة الإنجازية غير المباشرة(٢).

ونظرًا لأوجه الشبه والتَّماس بين الأفعال الكلامية غير المباشرة والاستلزام الحواري اضطرب كثير من الباحثين في التفرقة بينهما، فجاءت بحوثهم التطبيقية تحمل عنوان الاستلزام الحواري بينما هي خالصة في الأفعال الكلامية غير المباشرة(٣)!

والحقيقة أن بين الاستلزام الحواري والأفعال الكلامية غير المباشرة علاقة وطيدة اختلف الدارسون في تكييفها على أقوال: فقد ذهبت طائفة إلى كون الأفعال الكلامية غير المباشرة فرعًا عن الاستلزام الحواري، بينما قالت طائفة أخرى بالعكس،

---

(1) See: Expression and Meaning, John R. Searle (1932-), Cambridge University Press, first published, 1979, p.30.

(2) See: Ibid, p.31.

(٣) انظر مثلًا: الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني (مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة)، عيسى تومي، ص (٤٣-٦٢). الاستلزام الحواري في كتاب إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول للشوكاني، زهوة عاشور. الاستلزام الحواري في القرآن الكريم (آيات من سورة مريم أنموذجًا)، د. سامية محصول، ص (٢٣- ٤٤).

والذين قالوا بالقول الأول اختلفوا: هل هو استلزام حواري معمم أو مخصص[١].

ومرجع هذه العلاقة الوطيدة بين الأفعال الكلامية غير المباشرة والاستلزام الحواري إلى عدة أشياء: فكلاهما يدرس ظاهرة واحدة وهي قصد المتكلم ما لم يقله، والمؤسِّسان ينتميان إلى مدرسة فكرية واحدة، بل متعاصران كذلك، واستعارة سيرل من "جرايس" آلية الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المقصود مع تصريحه بذلك[٢].

ورغم هذه العلاقة الوطيدة فإن بينهما اختلافات واضحة، منها:

١- أوستين وسيرل انطلقا بحثًا عمَّا يقلق الفلاسفةَ من قديم الأزل: الخبر أو القضية واتصافه بالصدق والكذب، وكيف يميزونه عن الطلب والإنشاء الذي لا يصح كونه قضية، بينما جرايس انطلق بحثًا عن معنى المتكلم ومقصده وكيف يصل المخاطبُ إليه.

٢- سيرل يسعى إلى تجريد المعنى غير المباشر وصياغته منطقيًّا في غرض إنجازي يتكون من كلمة واحدة، بينما يسعى "جرايس" إلى كشف هذا المعنى وشرحه؛ ولذلك عبَّر سيرل عن نظريته باللغة الصورية الرمزية، بينما لم يفعل جرايس.

٣- هدفُ سيرل تصنيف أغراض المتكلم إلى الأفعال الكلامية: إخباريات، وعديات، أمريات، إيقاعيات، بوحيات. بينما يهدف جرايس إلى الإحاطة بأشكال قصد المتكلم ما لم يقله.

---

(١) انظر: نظرية التلويح الحواري، د. هشام عبدالله خليفة، ص (٤٢٠-٤٢٦). التداولية اليوم، آن روبول وجاك موشلار، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس ود. محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص (٥٨-٦٢).

(2) See: Expression and Meaning, Searle, p.31.

٤- تناولُ سيرل لقصد المتكلم ما لم يقله جاء عرَضًا لما شذَّت عن نظريته، بينما نظرية جرايس موضوعها بالأصالة هو قصد المتكلم ما لم يقله.

٥- أخرج سيرل من نظريته النص التخييلي، بينما استوعبته نظرية جرايس؛ لذلك هي أقرب للنصوص الأدبية والجمالية، بينما تصلح الأولى للنصوص الرسمية والتقريرية.

٦- لم يقدم سيرل أي تصنيف لنظريته في الأفعال غير المباشرة تحيط بصورها وتنوعاتها، بينما أقام جرايس بنيانًا نظريًّا ومنطقيًّا يستوعب ذلك ويصنفه.

هذه هي أهم أوجه الاتفاق والاختلاف بين الاستلزام الحواري والأفعال الكلامية غير المباشرة، أما تكييف العلاقة بينهما فإن البحث يرى أن الأفعال الكلامية غير المباشرة من باب الاستلزام الحواري المعمم، لا المخصص موضوع بحثنا، وسيأتي تفصيل هذا الرأي من خلال مناقشة موازي الأفعال الكلامية غير المباشرة في البلاغة العربية: "خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر"[(١)].

---

(١) انظر: ص (٦٤) من هذا البحث.

المطلب الرابع: أسلوبية الاستلزام الحواري

نشأت الأسلوبية من رحم الدراسات اللسانية الحديثة، لاسيما تفرقة دي سوسير بين اللغة بعدِّها نظامًا مجردًا وبين الكلام أو الخطاب الذي هو التمثل الفردي لاستخدام اللغة(١). وإذا كان دي سوسير قد خص موضوع اللسانيات باللغة المجردة فإن الأسلوبية قامت على «دراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية»(٢)، مستمدةً من اللسانيات إجراءاتها وأدواتها العلمية.

ويُعدُّ الانزياح أهم مباحث الأسلوبية إن لم يكن هو الأسلوب نفسه كما صرَّح به بول فاليري (Paul Valéry) وطائفة من النقاد(٣)، والانزياح خروج الكلام عن نسقه المألوف، فبه ينتقل الكلام من مستواه العادي المألوف إلى الإبداع الفني وطاقاته التأثيرية والجمالية(٤).

---

(١) انظر: علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ص (٢٧).

(٢) الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، ص (١٦).

(٣) انظر: بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، مكتبة الأدب المغربي، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص (١٦). علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته)، د. صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص (٢٠٨).

(٤) انظر: الانزياح في القواميس العربية والفرنسية، زكية يحياوي، مجلة الممارسات اللغوية، الجزائر، المجلد السادس، العدد الثاني والثلاثون، ص (٦٦).

وإذا كانت الأسلوبية قد استعارت من لسانيات دي سوسير ثنائيته الشهيرة: التركيب والاستبدال[١]، وجعلتهما معيارًا للقيمة الأسلوبية؛ فإن الانزياح كذلك يمكن تقسيمه إلى: انزياح على المحور التركيبي، وآخر على المحور الاستبدالي.

ويقصد بالمحور التركيبي: الترتيب الأفقي الذي تتوالى وفقه الكلمات داخل الجملة، ويتميز هذا المحور بكونه محدودًا، أما المحور الاستبدالي فهو يختص بالعلاقات الرأسية بين الكلمات في الذاكرة، فإذا كان المحور الاستبدالي خاصًّا باستدعاء الكلمات من الذاكرة فإن المحور التركيبي هو الخاص بترتيبها؛ ولذلك جعل جاكبسون الوظيفة الجمالية للأدب إسقاط محور الاستبدال على محور التركيب[٢]. ومن أمثلة الانزياح على المحور التركيبي: الحذف والتقديم، ومن أمثلة الانزياح على المحور الاستبدالي: المجاز والاستعارة.

وإذا كان الاستلزام الحواري انزياحًا عن القواعد التعاون الأربعة كما سبق بيانه، فإنه يمكننا أن نعدَّه انزياحًا على المحور الاستبدالي، لكنه انزياح له سماته وجمالياته ومميزاته المختلفة عن الانزياحات الاستبدالية الأخرى.

وقد اختار البحث أن يدرس ظاهرة الاستلزام الحواري من زاويتين تكمل إحداهما الأخرى: فإذا كان جهد التداولية أوصلنا إلى المعنى المقصود من الاستلزام من خلال العمليات الاستدلالية، فإن الأسلوبية ستتولى الكشف عن الجانب الجمالي للاستلزام.

---

(١) انظر: علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ص (١٤٠-١٤٦).

(٢) انظر: الأسلوبية، بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، ص (١١٧).

المطلب الخامس: المعنى المستلزم وجماليته

تتكون جملة الاستلزام الحواري مما يلي:

١- **اللفظ**: وهو الكلام المنطوق به في الجملة.

٢-**المعنى الحرفي**: وهو المعنى المعجمي للفظ، وليس هو مقصود المتكلم في جملة الاستلزام الحواري.

٣-**المعنى المعدول عنه**: وهو المعنى المباشر الذي عدلت عنه الجملة بغية إثرائه وإكسابه دلالات إضافية.

٤-**المعنى المستلزم**: وهو المعنى المستلزم من السياق، وهو مقصود المتكلم، ويتكون من المعنى المعدول عنه وما أضافه المعنى الحرفيُّ من دلالات.

ولنضرب مثالًا على ذلك: قال الله عز وجل: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ ﴾[1].

- **اللفظ**: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ ﴾.

- **المعنى الحرفي**: وتحصنوا بحبل الله.

- **المعنى المعدول عنه**: وتحصنوا بدين الله.

- **المعنى المستلزم**: وتحصنوا بدين الله الذي يقيكم من الزلل وينقذكم من السقوط ويرفعكم إلى العلا[2].

---

(١) [آل عمران: ١٠٣].

(٢) لمزيد من التفصيل حول المعنى المستلزم في هذه الآية الكريمة وجماليته انظر: ص (١٧١) من هذا البحث.

ويجب ألا نخلط بين المعنى المعدول عنه والمعنى المستلزم، وإلا لما كان هناك فرق بين التعبير بقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ وقولنا: "اعتصموا بدين الله".

وتكمن جماليةُ المعنى المستلزم الرئيسةُ في هذه الدلالات الثرية التي اكتسبها المعنى المستلزمُ المقصودُ من ملابسته للمعنى الحرفي غير المقصود واحتكاكه به.

ومن جمالياته كذلك:

- إيصال المقصود بطريق غير مباشر ينحرف عن جادة المباشرة ورتابتها.
- كسر أفق توقع المخاطب لما سيقوله المتكلم وأسلوبه في التعبير عنه.
- مشاركة المخاطب في صنع المعنى المقصود المستلزم من خلال بحثه عنه وإعادة تركيب ما فرّقه المتكلم وأخفاه خلف ستار المعنى الحرفي.
- ما يكتنف هذا الاستلزامَ من ظواهر أسلوبية جمالية أخرى .

إن المنعم النظر في أسلوب الاستلزام الحواري ليجد أن عموده هو هذه الجمالية، بل هو مطلوبه الأول من جهة المخاطب، فالمخاطب يسأل نفسه لا محالة بعد أن يصل إلى معنى المتكلم المقصود: لماذا لجأ المتكلم إلى التعبير عن مقصوده بهذا الأسلوب، وما الجديد الذي زاده التعبير بهذا الأسلوب على التعبير عنه مباشرة؟ والإجابة ما هي إلا بيان وتفصيل لجمالية هذا الأسلوب.

وقد وقف الدرس التداولي -طبقًا لاهتماماته التواصلية- في تناوله للاستلزام الحواري عند تفسير كيفية حدوثه وآليات استيعابه، ولم يتطرق إلى دوره الجمالي لما كان خارجًا عن مجال عمله؛ ومن ثم رأي البحث أن يتقدم خطوة بالاستلزام الحواري ليوظف الأسلوبية في الكشف عن جمالياته كما سيأتي بيانه في المطلب التالي.

◆ وعلى الرغم من كون اهتمامات التداولية تواصلية في المقام الأول فإنه يمكننا أن نتلمس بعض أوجه الجمال في تناوله للاستلزام الحواري وإن لم تلق الحفاوة الكبيرة، وتظهر هذا الجمالية فيما أطلق عليه أوستن: "لازم الفعل الكلامي" أو "الفعل التأثيري"، وهو ما يحدثه القول في المستمع، فهو «أثر جمالية النص في متلقيه وحملها إياه على تغيير مواقفه وآرائه ومسلماته»[(١)].

ولعل سبب خفوت ضوء الجمالية في التداولية الحفاوةُ الكبيرة التي تُلقِّف بها الفعل الإنجازي، ومن ثم إهمال الفعل التأثيري لا من قِبل المؤسس للنظرية أوستن فحسب[(٢)]، وإنما أيضًا ممن قنَّن نظريته وأحكمها سيرل، وقد علل سيرل هذا الإهمال بزعمه أنه ليس بواجب أن يدفع الفعل الإنجازي المتلقي إلى التأثر والقيام بفعل إنجاز آخر، ولئن صح تعليله هذا فإن هذا الفعل لهو واجب في حق النص الأدبي، وهو ما تلقفته بدورها نظرية "جماليات التلقي" وأدارت حوله نظريتها.

وسيسعى البحث في فصوله التطبيقية التالية أن يقف على مظاهر جمالية الاستلزام الحواري وتجلياتها في القرآن الكريم.

---

(١) جملية النص الأدبي ووجوه توظيفها، عبدالله الصولة، مجلة علامات في النقد الأدبي، جدة، المجلد العاشر، العدد السابع والثلاثون، ٢٠٠٠م، سبتمبر، ص (٣٠). وفيه مبحث لطيف عن "الجمالية بما هي ذات أبعاد براغماتية".

(2) See: How to do Things with Words, Austin, p.108-119.

المطلب السادس: أغراض الاستلزام الحواري

نشأت نظرية الاستلزام الحواري بحثًا عن مقصود المتكلم حين يختلف عن المعنى الحرفي للكلام، وأَوْلته عنايتها الكاملة، ولم تلتفت إلى أغراض المتكلم التي أولته نظرية الأفعال الكلامية كل اهتمامها تأويلًا وتصنيفًا وتفريعًا تحت مسمى "الأغراض الإنجازية"(١).

والفرق بين مقصود المتكلم وغرضه فرق دقيق: فقد فرقت نظرية الأفعال الكلامية عند سيرل بين المعنى القضوي للكلام وبين غرضه، أما المعنى القضوي فهو معنى المتكلم، أما الغرض فهو تصنيف تجريدي لهذه المعاني ليضم كل صنف منها طائفة من معاني المتكلم، فالاعتذار مثلا غرض إنجازي للمتكلم يعبر عنه بألفاظ مختلفة وأساليب متنوعة، والهدف من هذا التقسيم الإحاطة بمقاصد الكلام الكلية، فكل كلام فعل كلامي، وكل فعل كلامي له غرض إنجازي.

ولم يهتم جرايس بتصنيف المعاني المستلزمة من نظريته في الاستلزام الحواري إلى أغراض كلية، وربما يرجع ذلك إلى اختلاف منطلقه عن منطلق نظرية الأفعال الكلامية التي تبحث أساسًا عن منظومة منطقية لتصنيف الكلام الخبري ومنه الطلبي، بينما يسعى جرايس لمعرفة كيف يقصد المتكلم ما لم يقله.

ولقد اختار البحث أن يكمل عمل جرايس في تصنيف المعاني المستلزمة إلى أغراض كلية وفق ما ورد منها في القرآن الكريم -محل الدراسة- فحسب، أما عن منهجية هذا التصنيف فقد وقع البحث بين خيارين:

---

(١) انظر: ص (٤٩) من هذا البحث.

الأول: أن يكون وفق منهجية سيرل في تصنيف الأغراض الإنجازية، حيث صنفها إلى خمس شعب رئيسة: الإخباريات، والوعديات، والأمريات، والإيقاعيات، والبوحيات، ويقع تحت كل شعبة منها طائفة من الأغراض الإنجازية، وهو تصنيف لن يقدم للاستلزام الحواري شيئًا ذا بال، ففي الاستلزام الحواري قد يكون الفعل الكلامي الذي عُدل عنه من الإخباريات وكذلك الفعل الكلامي الذي عُدل إليه، بل قد يكون كلاهما من الفعل الكلامي الفرعي نفسه كالعدول عن وصف الشيء بلفظ مباشر إلى وصفه بلفظ غير مباشر.

الثاني: أن يكون وفق منهجية تتلاءم مع طبيعة الاستلزام الحواري الجمالية، وكونه آلية للانزياح عن المعنى المباشر إلى المعنى غير المباشر، وأن يقدم شيئًا جديدًا للنظرية نفسها، وهو ما يراه البحث متمثلًا في الصعود درجة في سلم المعاني المقصودة للبحث عن الغرض الذي دفع المتكلم للاستلزام.

وهذا الغرض الثاني الذي اختاره البحث يختلف تمامًا عن أغراض سيرل الإنجازية التي هي تجريد للمعنى غير المباشر وصياغته منطقيًّا في كلمة واحدة، أما الغرض الذي اختاره البحث فهو غرض المتكلم من لجوئه إلى التعبير عن مقصوده بطريق غير مباشر. كذلك يتوافق اختيار البحث لهذا التصنيف (الغرض الذي دفع المتكلم للاستلزام) مع أحد أهدافه الرئيسة وهي الجمالية، فإن هذه الأغراض تكشف عن كثير من أوجه الجمال في النصوص.

وهذا الغرضُ هو عمود الاستلزام الحواري وأساس جماليته، أما كونه عموده فإن وجودَ غرضٍ من الخروج على أصل التعبير عن المقصود بطريق مباشر، يمثل شرعية هذا الخروج ومبرره، وأما كونه أساس جماليته فلأن هذا الغرض هو غرض جمالي بما يضفيه من دلالات ومعانٍ ثرية تؤثر في المخاطب.

إن الوقوف على غرض الاستلزام الحواري يتضمن الإجابة عن سؤالين:

- لماذا لجأ المتكلم إلى التعبير عن مقصوده بطريق غير مباشر؟

- ما الجديد الذي أضافه التعبير عن المقصود بهذا الطريق؟

المبحث الثاني: الاستلزام الحواري بين الأصالة والمعاصرة

الاستلزام الحواري نظرية حديثة تختص بدراسة طرق إيصال المقصود بطريق غير مباشر وأنواعه وآلياته. فهل عرفت البلاغة العربية مثل هذه النظرية، أو مبدأ عامًّا يكرس لظاهرة التعبير عن المقصود بطريق غير مباشر؟

باستقراء المباحث التي كتبها البلاغيون لم أقف على مثل هذه النظرية أو المبدأ العام، بيد أني وجدت محاولةً لشيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني (٤٠٠-٤٧١هـ) جمع فيها بعض صور إيصال المقصود بطريق غير مباشر تحت مفهوم واحد وهو "معنى المعنى"، كما وقفت على محاولاتٍ أخرى لبعض الدارسين رام بعضهم الربطَ بين الاستلزام الحواري ومفهوم "إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر" عند السكاكي (٥٥٥-٦٢٦هـ)، وقَصَرَ بعضُهم الآخر الاستلزامَ الحواري على "فن التعريض" فحسب، وفيما يلي تفصيل ذلك.

المطلب الأول: "معنى المعنى" عند عبدالقاهر الجرجاني

يقول عبد القاهر الجرجاني (٤٠٠-٤٧١هـ): «الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن "زيد" مثلًا بالخروج على الحقيقة فقلت: "خرج زيد"، وبالانطلاق عن "عمرو" فقلت: "عمرو منطلق"، وعلى هذا القياس.

وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل.

أَوَلا ترى أنك إذا قلت: "هو كثير رماد القِدْر"، أو قلت: "طويل النجاد"، أو قلت في المرأة: "نؤوم الضحى"، فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى -على سبيل الاستدلال- معنى ثانيًا هو غرضك، كمعرفتك من "كثير رماد القِدْر" أنه مضياف، ومن "طويل النجاد" أنه طويل القامة، ومن "نؤوم الضحى" في المرأة أنها مترفة مخدومة، لها مَن يكفيها أمرها.

وإذ قد عرفت هذه الجملة فههنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: "المعنى" و"معنى المعنى"، تعني بـ"المعنى": المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة. وبـ"معنى المعنى": أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسرت لك»[1].

---

(١) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص (٢٦٢/١) باختصار.

وعبارة عبدالقاهر في غاية الدقة والإحكام:

١- فمعنى المعنى هو المعنى المستلزم الذي تقوم عليه نظرية الاستلزام الحواري.

٢- والغرض هو المعنى القصدي الذي جاءت نظرية الاستلزام الحواري من أجله.

٣- والاستدلال بالمعنى الأول على معنى المعنى يقترب من آلية الوصول إلى المعنى المستلزم في نظرية الاستلزام الحواري وإن كان موجزًا عنها.

ولكن عبدالقاهر قصر "معنى المعنى" على الكناية والاستعارة والتمثيل نظريًّا وتطبيقيًّا وإن زعم البعض وجود إشارات عند عبدالقاهر يفهم منها التعميم[1]، فقد ترك عبدالقاهر ألوانًا بلاغية كثيرة تنطوي تحت "معنى المعنى"، وهو ما جمعته نظرية الاستلزام الحواري بقواعدها الأربعة. ولعل هذا القصر من عبدالقاهر هو ما جعل هذا المصطلح يخفت عند لاحقيه من مدرسة السكاكي وشرَّاحه، إذ اقتصروا على ما ذكره من فروع وتناولوه تحت باب المجاز دون مصطلح "معنى المعنى"[2].

---

(١) انظر: الاستدلال البلاغي، د. شكري المبخوت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص (٤٨-٤٩). معنى المعنى عند عبدالقاهر الجرجاني قراءة تداولية، محمد لمين مقرود، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، الجزائر، المجلد الحادي عشر، العدد الأول، ص (١٥٣).

(٢) انظر: الاستدلال البلاغي، د. شكري المبخوت، (٢٧، ٤٩).

المطلب الثاني: "إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر" عند السكاكي وشرَّاحه

حاول د. يوسف رحايمي الربط بين نظرية الاستلزام الحواري والمصطلح البلاغي "إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر" عند السكاكي (٥٥٥-٦٢٦هـ)[1]، بيد أنه خالف السكاكي في مصطلحه فقصره على أحد أنواعه فحسب وهو "تنزيل خالي الذهن والمتردد والمنكر منزلة غير منزلته"، بينما مصطلح "إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر" عند السكاكي يشمل ثمانية فنون بلاغية، فضلًا عن أنه جعل "تنزيل خالي الذهن والمتردد والمنكر منزلة غير منزلته" انزياحًا عن قاعدة الصدق[2]، وهو ليس منه وسيأتي بيانه[3]؛ لذلك سنناقش القضية من خلال كلام السكاكي نفسه ووفق ما اختاره لمصطلحه من حدود.

قسم السكاكي الخبر في الفن الأول (أحوال الإسناد الخبري) من القانون الأول (الخبر) باعتبار حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام:

- **الخبر الابتدائي**: «إذا ألقى [المتكلم] الجملة الخبرية على من هو خالي الذهن عما يُلقى إليه تستغني الجملة عن مؤكدات الحكم»[4].

---

(١) انظر: مبدأ التعاون عند غريس وتجليات حضوره عند السكاكي (خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر نموذجًا)، د. يوسف رحايمي، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، الجزائر، العدد الثاني والثلاثون، يوليو، ٢٠١٧م، ص (٨٣-٧١)

(٢) انظر: السابق، ص (٧٨).

(٣) انظر: ص (٦٩) من هذا البحث.

(٤) مفتاح العلوم، السكاكي، ص (١٧٠) باختصار.

- **الخبر الطلبي**: «إذا ألقاها على طالب لها متحير طرفاها عنده دون الاستناد، فهو منه بين بين؛ لينقذه عن ورطة الحيرة، استُحسن تقوية المنقذ بإدخال "اللام" في الجملة أو "إن"، كنحو: "لزيد عارف" أو "إن زيدًا عارف"» [(١)].

- **الخبر الإنكاري**: «إذا ألقاها على حاكم فيها بخلافه؛ ليرده على حكم نفسه، استَوجب حكمُه -ليترجَّح- تأكيدًا بحسب ما أُشرب المخالفُ الإنكارَ في اعتقاده، كنحو: "إني صادق" لمن ينكر صدقك إنكارًا، و"إني لصادق" لمن يبالغ في إنكار صدقك، و"والله إني لصادق"»[(٢)].

ثم يقول السكاكي بعد هذا التفصيل: «وإخراج الكلام في هذه الأحوال على الوجوه المذكورة يُسمى "إخراج مقتضى الظاهر"، ثم إنك ترى المُفْلِقِين السحرة في هذا الفن ينفثون الكلام "لا على مقتضى الظاهر" كثيرًا، وذلك إذا أحلُّوا المُحِيطَ بفائدة الجملة الخبرية وبلازم فائدتها عِلْمًا محلَّ الخالي الذهن عن ذلك؛ لاعتبارات خطابية مرجعها تجهيله بوجوه مختلفة»[(٣)].

وفي الفن الثاني الخاص بأحوال المسند إليه، وبعد أن فصَّل السكاكي في أحواله من حيث الحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والتقييد والإطلاق، والتقديم والتأخير؛ قال: «واعلم أن جميع ذلك هو مقتضى الظاهر، ثم قد يخرج المسند إليه لا على مقتضى الظاهر: فيوضع اسم الإشارة موضع الضمير، ويوضع المضمر موضع المظهر، كما يوضع المظهر موضع المضمر، وتترك الحكاية إلى المظهر. واعلم أن هذا النوع -

---

(١) مفتاح العلوم، السكاكي، ص (١٧٠) باختصار.

(٢) السابق.

(٣) السابق، ص (١٧١-١٧٤) باختصار.

أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة- لا يختص المسند إليه ولا هذا القدر، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر، ويُسمَّى هذا النقل "التفاتًا" عند علماء علم المعاني»(١).

وفي الفن الثالث الخاص بأحوال المسند من حيث الذكر والترك، والإظهار والإضمار، والتقييد والإطلاق، وكونه اسمًا وفعلًا، ومعرفة ونكرة، والتقديم والتأخير، وبعد ذكره تنكير المسند قال: «وأما ما جاء من نحو قوله: "ولا يك موقف منك الوداعا" فمحمول على منوال: "عرضت الناقة على الحوض"، وأصل الاستعمال: "ولا يك موقفًا منك الوداع"، وإن هذا النمط مُسمّى فيما بيننا بـ"القلب" و[هو] شعبة من "الإخراج لا على مقتضى الظاهر"»(٢).

وفي ختام تقديم وتأخير المسند قال: «خاتمين الكلام بأن جميع ما وعت أذناك من التفاصيل في هذه الأنواع الثلاثة من فصل التقديم والتأخير هو مقتضى الظاهر فيها، وقد عرفت فيما سبق أن إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر طريق للبلغاء يسلك كثيرًا بتنزيل نوعٍ مكانَ نوعٍ باعتبار من الاعتبارات، فليكن على ذكر منك»(٣).

وفي القانون الثاني (الطلب) فصَّل السكاكي في أنواع الطلب الخمس (التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء)، ثم قال: «واعلم أن الطلب كثيرًا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر، وكذلك الخبر، فيُذكر أحدهما في موضع الآخر، ولا يُصار

---

(١) مفتاح العلوم، السكاكي، ص (١٩٧-١٩٩) باختصار.

(٢) السابق، ص (٢١٠-٢١١) باختصار.

(٣) السابق، ص (٢٣٩).

إلى ذلك إلا لتوخي نكتٍ قلَّما يتفطن لها مَن لا يرجع إلى دربة في نوعنا هذا، ولا يعض فيه بضرس قاطع.

ولهذا النوع -أعني: إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر- أساليب متفننة، ولكل من تلك الأساليب عرق في البلاغة يتشرب من أفانين سحرها، ولا كأسلوب الحكيم فيها! وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب، أو السائل بغير ما يتطلب»(١).

وفي الفصل الثالث من تكملة علم المعاني -وهو فصل ذكره بعد علم البيان إلحاقًا بالمعاني- تكلَّم السكاكي عن المستثنى منه، وهل هو مجاز أو حقيقة، وفيه قال: «وأما المصير على فروع هذه الأصول عند البلغاء، فمن باب الإخراج لا على مقتضى الظاهر بتنزيلها منزلة أصولها بوساطة جهة البلاغة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾(٢)، ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾(٣)، بناء على التغليب فيهما»(٤).

وحاصل الأبواب التي ذكرها السكاكي في "إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر" ثمانية:

١- تنزيل خالي الذهن والمتردد والمنكر منزلة غير منزلته.

٢- وضع المضمر موضع المظهر، والعكس.

---

(١) مفتاح العلوم، السكاكي، ص (٣٢٣-٣٢٧) باختصار.

(٢) [البقرة:٣٤].

(٣) [النساء:١٥٧].

(٤) مفتاح العلوم، السكاكي، ص (٥٠٧).

٣- الالتفات.

٤- القلب.

٥- تأخير ما حقه التقديم من المسند، والعكس.

٦- التغليب.

٧- وضع الطلب موضع الخبر، والعكس.

٨- الأسلوب الحكيم.

ثم تتابع شراح المفتاح على إدخال ما يرونه مناسبًا في مصطلح السكاكي "إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر"، فمن ذلك إضافة جلال الدين القزويني (٦٦٦ -٧٣٩هـ) "التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي والعكس"(١)، وكذلك بهاء الدين السبكي (٧١٩-٧٧٣هـ) حيث قال: «أهمل المصنف أمورًا كثيرة من إتيان الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، كل منها يصلح أن يكون من أبواب المعاني إذا اعتبرت فيه نكتة لطيفة، منها: انتقال الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع لخطاب الآخر، ذكره التنوخي وابن الأثير»(٢).

---

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين (المتوفى: ٧٣٩هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م، ص (٧٧).

(٢) انظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي أبو حامد أحمد بن علي بن عبدالكافي (المتوفى: ٧٧٣هـ)، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص (١/٢٩٣).

ويبدو أن كلام السكاكي وشراحه في فن خروج الكلام لا على مقتضى الظاهر فيه اضطراب وعدم اطِّراد في تطبيق الأحكام! فإن معيار خروج الكلام لا على مقتضى الظاهر -عندهم- هو مخالفته للأصل النحوي الذي أقرَّه النحاة، فالأمر مثلًا لطلب حصول الفعل، فإذا جاء لغيره كالدعاء مثلًا عدوه من خروج الكلام لا على مقتضى الظاهر، وطردًا للقاعدة كان يجب أن يجعلوا الخبر إذا حُذف خلافًا للأصل من خروج الكلام لا على مقتضى الظاهر، لكنهم لم يفعلوا ذلك! بل عدوا أنواعًا بعينها إذا خرجت عن أصلها اللغوي هي التي تكون من خروج الكلام لا على مقتضى الظاهر تحكمًا.

أيًّا ما كان الأمر فإن الفنون الستة الأوَل من خروج الكلام لا على مقتضى الظاهر (تنزيل خالي الذهن والمتردد والمنكر منزلة غير منزلته، ووضع المضمر موضع المظهر والعكس، والالتفات، والقلب، وتأخير ما حقه التقديم من المسند والعكس، والتغليب) بعيدة كليًّا عن الاستلزام الحواري: فهن عدول لغوي تركيبي، بينما الاستلزام عدول استبدالي دلالي[1]، وعدولهن ليس ينتج عنه معنى مستلزم، وإنما ينتج عنه معانٍ ثانوية تحيط بالمعنى الحرفي المقصود كزيادة الاهتمام به أو تخصيصه، بينما الاستلزام يشترط له أن ينتج عنه معنى مستلزم.

أما فن "خروج الطلب إلى الخبر والعكس" فهو خارج أيضًا عن باب الاستلزام الحواري ويأتي تفصيل ذلك[2]، وأما "أسلوب الحكيم" فيدخل ضمن فنون الاستلزام الحواري، ويأتي بيانه كذلك[3].

---

(١) انظر: ص (٤٧، ٥٧) من هذا البحث.

(٢) انظر: ص (٨٢) من هذا البحث.

(٣) انظر: ص (٨٠) من هذا البحث.

المطلب الثالث: التعريض

يُعرِّف جار الله الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ) فن التعريض بقوله: «أن تذكر شيئًا تدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: "جئتك لأسلم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم"»[1].

وقد حاول د. هشام عبدالله الدمج بين نظرية الاستلزام الحواري وفن التعريض البلاغي، حيث قال: «إن التعريض عند العرب مفهوم واسع جدا... فهو يغطي مفهوم التلويح المخصص لدي غرايس»[2]، ثم استطرد في تلمس أوجه التشابه بينهما في الدلالة وفي التأصيل النظري لهما عند البلاغيين وجرايس.

والحقيقة أن قوله هذا ذو شقين: الأول: كون التعريض يتفق مع مفهوم الاستلزام الحواري (التلويح المخصص حسب اصطلاحه)، فهذا لا خلاف فيه، فإن التعريض أولى الأفراد بالاستلزام.

الشق الثاني: أن التعريض يستوعب الاستلزامَ أو على الأقل يغطيه ويساويه، وهذا فيه نظر، فإن الاستلزام أعم وأشمل؛ حيث يشمل ما لا يدخل بحال تحت التعريض، مثل المجاز والاستعارة كما نص عليه صاحب النظرية نفسه جرايس[3].

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل=تفسير الزمخشري، الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ص (١/٢٨٣).

(٢) نظرية التلويح الحواري، هشام عبدالله خليفة، ص (٤١١).

(٣) انظر: ص (٣٨) من هذا البحث.

المبحث الثالث: أساليب الاستلزام الحواري

خلص البحث في المبحث السابق إلى أن البلاغة العربية لم تَعرِف نظرية أو مبدأ عامًّا يجمع فنون التعبير عن المقصود بطريق غير مباشر ويؤصل لها، وهو ما جاءت نظرية الاستلزام الحواري لتتصدى له، وليس معنى هذا أن البلاغة لم تعرف هذه الفنون مطلقًا، فلقد عرفت البلاغة العربية بعضًا من هذه الفنون وأشادت بما فيه من تعبير غير مباشر مثل فن "معنى المعنى" عند عبدالقاهر الجرجاني، وفن التعريض، وقد سبق تناولهما، كما غفلت البلاغة العربية عما يوجد في البعض من تعبير غير مباشر، فنظرت إليه من وجهة جمالية أخرى كما في الاستعارة وما فيها من جمال المجاز.

وسيسعى البحث في هذا المطلب إلى إعادة تقسيم خارطة البلاغة العربية وفق معيار التعبير عن المقصود بطريق غير مباشر، ليعيد ترتيبها وفق أنواع انزياح الاستلزام الحواري الأربعة، مبيِّنًا لعلة اندراجها ضمن الاستلزام الحواري.

المطلب الأول: أساليب الانزياح الكمي

الانزياح الكمي هو: عدول المتكلم عن تقديم القدر المناسب من المعلومات زيادةً أو نقصانًا، مستلزِمًا لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويُفهم من السياق[١].

وينقسم الانزياح الكمي إلى نوعين: انزياح الزيادة وهو يختص بتقديم معلومات أكثر مما يحتاجه المخاطب، وانزياح النقصان ويتعلق بتقديم معلومات أقل مما يحتاجه المخاطب.

أما انزياح الزيادة فلم أجد فنًّا بلاغيًّا يمكن أن يندرج تحته، لصعوبة تصوره فضلا عن تحققه في الواقع كما سبق بيانه[٢]؛ ولذلك خلا القرآن العظيم -فيما يراه البحث- من انزياح الزيادة، وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل القادم[٣].

ولندرة تحقق هذا النوع من الانزياح بالزيادة أدخل فيه كثير من الباحثين ما ليس منه: فأدخلوا فيه الإطناب، وما كان من أصل الكلام، وبعض أنواع انزياح المناسبة، وقد خصصنا مبحثًا لمناقشة ما أدخلوه فيه وبيان صوابه[٤].

---

(١) انظر: ص (٣٦) من هذا البحث.

(٢) انظر: ص (٣٧) من هذا البحث.

(٣) انظر: ص (٩٤) من هذا البحث.

(٤) انظر: ص (٩٦) من هذا البحث.

وأما انزياح النقصان فينقسم إلى قسمين رئيسين -حسب نوع نقصان المعلومات-:

القسم الأول: الإبهام:

وفيه تقدم معلومات مبهمة الدلالة؛ استلزامًا للمقصود، ومن أساليب هذا القسم: أسلوب "ما التعظيمية"، والتعظيم من عظَّم الأمر إذا كبَّره[١]، وتعظيم الشيء قد يكون تهويلًا وتفزيعًا منه وقد يكون إجلالًا وتكريمًا له.

وأسلوب "ما التعظيمية" نوعان: النوع الأول تكون فيه "ما" موصولة، وتكون صلتها التي توضح معناها تكرارًا لما جاءت "ما" لتوضحه فيما يشبه "الدور"، لتستلزم صلة "ما" من السياق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[٢]، فـ"ما" اسم موصول جاء ليوضح ماهية الشيء الذي غشيهم (الفاعل) عبر صلته، فإذ بصلته لا تقدم توضيحًا إلا إعادة ما جاءت "ما" لتوضحه؛ استلزامًا للمقصود من خلال السياق[٣].

---

(١) انظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، ص (٢/ ٩١). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص (٥/ ١٩٨٧).

(٢) [طه:٧٧-٧٩].

(٣) لمزيد من التفصيل حول هذا الشاهد القرآني انظر: ص (١١٩) من هذا البحث.

النوع الثاني تكون فيه "ما" استفهامية، ويكون خبرها تكرارًا لما جاءت "ما" لتوضحه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝﴾[1]، فجملة "ما" جاءت لتوضح خبر المبتدأ (الحاقة) الأولى، فإذ بخبرها هو تكرار لمبتدئها[2].

وعلة دخول أسلوب "ما التعظيمية" في انزياح النقصان كونه لم يقدم ما يحتاجه القارئ من صلة الموصول أو الخبر بطريق مباشر، وإنما اكتفى بتكرار ما جاء ليوضحه، مستلزما للمقصود من خلال السياق. وما أشبه هذا الأسلوب بما ضربه جرايس من أمثلة على انزياح النقصان: "الحرب هي الحرب"، "النساء هن النساء"[3].

القسم الثاني: الحذف:

وفيه يُحذف جزء من المعلومات، ويكون المعنى المقصود مستلزمًا، ويصل إليه المخاطب من خلال السياق.

وليس كل باب الحذف داخلًا في الاستلزام الحواري وانزياح النقصان، وإنما ما كان منه مستلزِمًا لمعنى فحسب، وتحقيقه أن هناك أنواعًا من الحذف:

- **حذف نحوي**: اقتضته الصنعة النحوية وقواعد اللغة المفترضة لا الحقيقة، كنصبهم الاسم المتصدر جملة الاشتغال بفعل محذوف دلَّ عليه المذكور في نحو قولهم: "زيدًا ضربته"[4].

---

(١) [الحاقة: ١-٣].

(٢) لمزيد من التفصيل حول هذا الشاهد القرآني انظر: ص (١٢٨) من هذا البحث.

(3) See: Logic and Conversation, Grice, p.33-35.

(٤) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف (المتوفى: ٧٦١هـ)، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م، ص (١٥٨/٢). شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن

- **وحذف منطقي**: يستدل عليه منطقيًّا ولا تتم فائدة الكلام إلا به، وهو نوعان:

حذف عرفي: وهو حذف متعارف عليه، يعلمه المخاطب دون شحذ ذهن، مثل ما حُذف لسبق ذكر أو كثرة استعمال أو لتعينه أو لبداهته ونحوه، كحذف جملة القول قبل المقول.

وحذف استلزام: وهو حذف يستنبطه المخاطب من السياق بعد تأمل وتدبر، مثل: حذف جواب الشرط، وحذف جواب القسم، وحذف المعادل في الجملة الاستفهامية(١).

(المتوفى: ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار التراث ودار مصر للطباعة، القاهرة، الطبعة العشرون، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص (٢/١٢٨).

(١) يقصد بحذف المعادل في الاستفهام: الأساليب الاستفهامية التي تستخبر عن حقيقة التسوية أو المعادلة بين طرفين وحُذف أحد طرفيها، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢]، ولم يأت هذا الأسلوب في القرآن الكريم إلا مصدَّرًا بالهمزة دون بقية أدوات الاستفهام. انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق وشرح: د. عبداللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ص (١/٧٢). دراسات لأسلوب القرآن الكريم، د.محمد عبد الخالق عضيمة (المتوفى: ١٤٠٤هـ)، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ص (٨/ ٣٠١). وأطلق عليه مصطفى عبدالسلام مصطلح "حذف المقابل" في كتابه: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص (١٣٢). ولعله أخذه من قول أبي حيان الأندلسي في هذا

وكون المخاطب لا يقف على عين المقصود في انزياح النقصان، لا ينافي وصوله إلى حقيقة المقصود، فقوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾﴾[1] على الرغم من عدم وقوفنا على عين هذا الشيء الذي يغشى السدرة، فإن المعنى المقصود من عظم هذا الشيء الذي يغشاها قد حقق المعنى وأتم الفائدة[2].

الأسلوب: «ويحسن حذف هذا الخبر كون المبتدأ يكون مقابله الخبر المحذوف» البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف أثير الدين (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، (٣٩٢/٦).

(١) [النجم: ١٦].

(٢) لمزيد من التفصيل حول هذا الشاهد القرآني انظر: ص (١٢٢) من هذا البحث.

المطلب الثاني: أساليب الانزياح الكيفي

الانزياح الكيفي هو: عدول المتكلم عن قول الصدق (الحقيقة)، مستلزِمًا لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويُفهم من السياق.

ويشمل الانزياح الكيفي من الأساليب والفنون البلاغية ما يلي:

أولا: المجاز:

استخدمت البلاغة العربية مصطلحي الحقيقة والمجاز مقابلًا لمصطلح الصدق والانزياح عن الصدق في نظرية الاستلزام الحواري، وقد عرَّف القزويني الحقيقة والمجاز بقوله: «الحقيقة: الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب»[1]، «والمجاز: مفرد ومركب، أما المفرد فهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب على وجه يصح، مع قرينة عدم إرادته»[2]، «وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شُبِّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه»[3].

وقد اتفق البلاغيون على أن المجاز يشمل من الفنون البلاغية: الاستعارة، والمجاز المرسل، والاستعارة التمثيلية، والمجاز العقلي[4]. بينما اختلفوا في التشبيه

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص (٢٥٠).

(٢) السابق، ص (٢٥٢).

(٣) السابق، ص (٢٨٤).

(٤) الاستعارة: هي الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب، لعلاقة المشابهة بين المعنى الأول الوضعي والثاني المجازي، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول.

البليغ[1]، والمشاكلة[2].

وإذا كان الخلاف قائمًا في التشبيه البليغ والمشاكلة بين البلاغيين في كونهما من المجاز أو الحقيقة، فهو منتف في نظرية الاستلزام الحواري، فالتشبيه البليغ والمشاكلة من الانزياح الكيفي، حيث عُدل فيهما عن قاعدة الكيفية (الصدق)، فقولنا في التشبيه البليغ: "زيد أسد"، يخالف الصدقَ؛ إذ ليس زيد بأسد حقيقي، وكذلك الأمر في المشاكلة.

ومن النصوص النفيسة لعبدالقاهر الجرجاني التي تبين الاستلزام في باب الاستعارة قوله عنها: «إنك تثبت بها [أي: الاستعارة] معنى لا يعرف السامع ذاك

والمجاز المرسل: هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب، لعلاقة غير المشابهة بين المعنى الأول الوضعي والثاني المجازي، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول. والاستعارة التمثيلية: هي التركيب المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب، لعلاقة المشابهة بين المعنى الأول الوضعي والثاني المجازي، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول. والمجاز العقلي: هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقةٍ، مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي. والتشبيه البليغ: هو تشبيه حُذفت أداته ووجه شبهه. والمشاكلة: هي أن يُعبر عن شيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته. انظر: المفصل في علوم البلاغة العربية، د.عيسى العاكوب، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص (٤٥٢، ٥٠٠، ٥١٣، ٥٢٤، ٣٥٦، ٥٦٨).

(١) انظر: التشبيه البليغ هل يرقى إلى درجة المجاز؟ (عرض ونقد)، د. عبدالعظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٢) انظر: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، محمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ص (٤/٣٥).

المعنى من اللفظ، ولكنه يعرفه من معنى اللفظ»(١).

ثانيًا: التجريد:

وهو «أن ينتزع من أمر ذي صفة أمرًا آخر مثله في تلك الصفة؛ مبالغةً في كمالها فيه»(٢).

ثالثًا: الغلو في المبالغة:

وهو «أن يدعي لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدًّا مستحيلًا، كقول أبي نواس: [بحر الكامل]

وأخفتَ أهلَ الشركِ حتى إنه ... لتَخافُك النطفُ التي لم تُخلَقِ»(٣).

ولم أقف على نماذج له في القرآن الكريم.

(١) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص (١/٤٣١).

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص (٣٣٨).

(٣) انظر: السابق، ص (٣٤٠).

المطلب الثالث: أساليب انزياح المناسبة

انزياح المناسبة: هو عدول المتكلم عن قول ما يناسب الحوار، مستلزِمًا لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويُفهم من السياق.

وعلى الرغم مما سبق في الانزياح الكمي والكيفي من شمولهما للفن البلاغي الواحد كاملًا، فإن انزياح المناسبة يشمل بعضًا من الفن الواحد دون بعضه الآخر، وتفصيل الأمر فيما يلي:

أولًا: أسلوب الحكيم:

وهو نوعان:

الأول: «تلقي المخاطب بغير ما يترقب»[(١)]، «كقول القَبَعْثَرَى للحجاج -لما قال له متوعدًا بالقيد: لأحملنك على الأدهم-: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب. فإنه أبرز وعيده في معرض الوعد وأراه بألطف وجه أن من كان على صفته في السلطان وبسطة اليد فجدير بأن يُصْفِد [أي: يعطي] لا أن يَصْفِد [أي: يوثق]»[(٢)]. وهذا مع ما فيه من المفاجأة للمخاطب وكسر أفق توقعه فإن معناه الحرفي مراد ومناسب للكلام، وليس فيه انزياح.

---

(١) مفتاح العلوم، السكاكي، ص (٣٢٧).

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص (٧٦).

الثاني: «تلقي السائل بغير ما يتطلب»[١]، وفيه يعدل المتكلم عن الإجابة عن سؤال السائل إلى الإجابة عن سؤال آخر يراه أولى بالمخاطب أن يسأله، وهذا النوع هو الذي يدخل في باب الاستلزام الحواري وانزياح المناسبة، وقرينته أن المعنى الحرفي لا يناسب السياق.

ثانيًا: التعريض:

قسم السكاكي فن التعريض إلى قسمين بقوله: «اعلم أن التعريض تارة يكون على سبيل الكناية، وأخرى على سبيل المجاز: فإذا قلت: "آذيتني فستعرف" وأردت المخاطب، ومع المخاطب إنسانًا آخر، معتمدًا على قرائن الأحوال كان من القبيل الأول، وإن لم ترد إلا غير المخاطب كان من القبيل الثاني»[٢].

أما القسم الأول وهو ما كان على سبيل الكناية فيقصد به السكاكي ما كان مستفادا من اللفظ الأول بدلالة مفهومه، وهذا القسم هو الذي جاء في تعريف ابن الأثير للتعريض حيث قال: «وأما التعريض: فهو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي»[٣].

وهذا القسم لا انزياح فيه ولا معنى مستلزمًا، وإنما هي معانٍ مستفادة من اللفظ.

---

(١) مفتاح العلوم، السكاكي، ص (٣٢٧).

(٢) السابق، ص (٤١٢).

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، ص (٣/٥٦).

وأما القسم الثاني فيعني به السكاكي ما كان مقصوده مستفادًا من السياق لا من اللفظ، وهو ما جاء في تعريف الزمخشري للتعريض في قوله: «والتعريض أن تذكر شيئًا تدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: "جئتك لأسلم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم"»[١]. وهذا القسم هو الذي يدخل في باب الاستلزام الحواري وانزياح المناسبة، حيث يُعدل فيه عن المعنى الحرفي للكلام إلى معنى آخر مستلزم لا يفهم من لفظه وإنما من السياق، وقرينته أن المعنى الحرفي لا يناسب السياق.

ثالثًا: خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر:

درج البلاغيون على ذكر المعاني الفرعية للطلب بعد أن يذكروا معانيه الأصلية، فالمعنى الأصلي للاستفهام الاستعلام، ومن معانيه الفرعية: الاستبطاء، والتعجب، والوعيد، والأمر، والتقرير، والإنكار[٢].

وقد اختلف البلاغيون حول هذه المعاني الفرعية، هل هي على سبيل الحقيقة أو هي مجاز عن المعنى الأصلي، وبعبارة أخرى: هل هي من باب خروج الكلام على مقتضى الظاهر أم من خروجه لا على مقتضى الظاهر.

وقد عدَّ السكاكي وشراحه هذه المعاني الفرعية من باب خروج الكلام لا على مقتضى الظاهر[٣]، وقد استدرك عليه بعض المحدثين جاعلين هذه المعاني من باب الخروج

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٢٨٣/١).

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص (١٣٦).

(٣) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص (٣٢٦-٣٢٧). الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص (١٣١-١٤٤). عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، ص (٤٥١/١-٤٧٦). وقال السعد التفتازاني: «وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان أنه من أي نوع

علـى مقتضـى الظـاهر، وتأوّل بعضـهم كـلام السـكاكي علـى أن معـنى الخـروج لا على مقتضى الظاهر مفارقة الأصل الغالب وأنها حقيقة في الكل[١]، ومنهم من ردَّ قول السكاكي جاعلًا المعاني الفرعية في منزلة بين المنزلتين حيث قال: «فالمعاني المجازية وإن شابها معـنى الخبريـة، إلا أن لفـظ الإنشـاء فيهـا لم يتجـرد مـن معـنى الطلبيـة، ولم يـتمحض للإخبار»[٢].

وما يرجحه البحث أن هذه المعاني الفرعية ليست إلا معاني ثانوية مستفادة من السياق بالإضافة إلى معانيها الأصلية، فليس هناك انزياح عن المعنى الأصلي، وإنما معانٍ أخرى مستفادة بجانبه، ولنأخذ شاهدين على ذلك:

📖 قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾[٣]، وقد ذكر القزويني أن معنى الاستفهام في قوله: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾: الاستبطاء[٤].

مما لم يحم أحد حوله». المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، السعد التفتازني سعد الدين مسعود بن عمر (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠١٣م، ، ص (٤١٩).

(١) انظر: الحواشي النقية على كتاب البلاغة لنخبة الأفاضل الأزهرية، محمد علي بن حسين المالكي (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، اعتنى به: إلياس قبلان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص (١٦٦). وفيه قال مؤلفه -محشيًا على قول صاحب الجوهرة: قوله: "وقد تخرج ألفاظ الاستفهام إلى آخره"-: «استظهر العلامة الأمير أن معنى الخروج مفارقة الأصل الغالب، وأنها حقيقة في الكل».

(٢) خروج الطلب إلى الخبر، د. ياسر بن محمد بابطين، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد الحادي عشر، ٢٠١٥م، ص (٩٤).

(٣) [البقرة:٢١٤].

(٤) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص (١٣٦).

ويقول الطبري: «فمعنى الكلام: أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة، ولم يصبكم مثل ما أصاب من قبلكم من أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار، ولم تزلزلوا زلزالهم، يعني: ولم يصبهم من أعدائهم من الخوف والرعب شدة وجهد حتى يستبطئ القوم نصر الله إياهم، فيقولون: متى الله ناصرنا؟»(١). فالاستفهام في الآية الكريمة لا يزال هو المعنى الأصلي لم يعدل عنه، بل لا يتصور المعنى دونه، أما دلالة الاستبطاء فهي دلالة ثانوية مضافة إلى الدلالة الأصلية.

📖 قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾(٢)، ذكر القزويني أن معنى الاستفهام في قوله: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: الوعيد(٣).

ويقول الرازي في تفسير هذه الآية وما يليها: «اعلم أن المقصود من هذه الصورة تخويف الكفار وتحذيرهم عن الكفر»(٤)، ثم ذكر أنواع التخويف في الآيات، ومنها قوله: «والنوع الثاني من التخويف: ما ذُكر في هذه الآية، وهو أنه أهلك الكفرة المتقدمين بسبب كفرهم، فإذا كان الكفر حاصلًا في هؤلاء المتأخرين، فلابد وأن يهلكهم أيضا»(٥). فالوعيد لا ينافي الدلالة الأصلية للاستفهام، وإنما هو معنى ثانوي مضاف إليه.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن=تفسير الطبري، الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص (٤/٢٨٨).

(٢) [المرسلات:١٦-١٨].

(٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص (١٣٦).

(٤) مفاتيح الغيب=التفسير الكبير=تفسير الرازي، فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، ص (٣٠/ ٧٧٠).

(٥) السابق.

رابعًا: خروج الخبر لا على مقتضى الظاهر:

يقول السكاكي في هذا الفن: «والجهات المحسنة لاستعمال الخبر في موضع الطلب تكثر، تارة تكون قصد التفاؤل بالوقوع، كما إذا قيل ذلك في مقام الدعاء: "أعاذك الله من الشبهة"؛ ليتفاءل بلفظ المضي على عدها من الأمور الحاصلة التي حقها الإخبار عنها بأفعال ماضية، وتارة لقصد الكناية كقول العبد للمولى إذا حول عنه الوجه: "ينظر المولى إليَّ ساعة"، وتارة لحمل المخاطب على المذكور أبلغ حمل بألطف وجه، كما إذا سمعت من لا تحب أن ينسب إلى الكذب يقول لك: "تأتيني غدًا"، وتارة مناسبات أخر فتأملها ففيها كثرة، وما من آية من آي القرآن واردة على هذا الأسلوب إلا مدارها على شيء من هذه النكت، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾(١) في موضع: "لا تعبدوا"، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾(٢) في موضع: "لا تسفكوا"»(٣).

ويرى البحث أنه لا انزياح في خروج الخبر لا على مقتضى الظاهر، ولا معنى مستلزمًا كذلك، مثل صنوه خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر، وإنما هي معانٍ ثانوية تفهم من السياق مضافة إلى المعنى الأصلي، ولو قلنا المراد المعنى الثانوي دون الأصلي لفسد المعنى، ولنضرب مثالًا على ذلك مما ذكره السكاكي آنفًا:

---

(١) [البقرة:٨٣].

(٢) [البقرة:٨٤].

(٣) مفتاح العلوم، السكاكي، ص (٣٢٤-٣٢٥) باختصار. وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص (١٤٤).

📖 قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[1]، فالقول بأن المراد: "لا تعبدوا" -كما قال السكاكي[2]- إفساد للأسلوب وجماليته، وإنما المراد المعني الخبري، والنهي هنا معنى ثانوي يستفاد من الخبر؛ لأن المراد من التعبير بالخبر هنا «أنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء»[3]، فلا مجال لمخالفته، وهو أبلغ في النهي، «وإنما أتى في النهي بصورة النفي إيذاناً بأن المنهي عنه يُستبعد وقوعه، حتى كأنه مما لا يوجد، ومما لا يصح الإخبار عنه بأنه لا يوجد»[4]. والأمر نفسه ينطبق على قول السكاكي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾[5]: «لا تسفكوا»[6].

(١) [البقرة:٨٣].

(٢) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص (٣٢٤-٣٢٥).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (١/ ١٥٩).

(٤) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٢/ ٢٨٧).

(٥) [البقرة:٨٤].

(٦) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص (٣٢٤-٣٢٥).

المطلب الرابع: أساليب انزياح الأسلوب

انزياح الأسلوب: هو عدول المتكلم عن القول الواضح، مستلزِمًا لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويُفهم من السياق.

ويشمل انزياح الأسلوب من الفنون البلاغية ما يلي:

أولًا: الكناية:

يقول السكاكي: « الكناية: هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما نقول: "فلان طويل النجاد" لينتقل منه إلى ما هو ملزوم وهو طول القامة»(١).

وفرَّق القزويني بينها وبين المجاز بقوله: «الكناية: لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادته معه»(٢)، فقوله: «مع جواز إرادته معه» يقصد به جواز أن يراد به معناه الحرفي في غير جملة الكناية، وهو قيد لإخراج المجاز الذي لا يجوز أن يراد به معناه الحرفي في غير جملة المجاز فضلًا عن جملة المجاز، ويقول القزويني: «فالفرق بينهما وبين المجاز من هذا الوجه أي: من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمه، فإن المجاز ينافي ذلك، فلا يصح في نحو قولك: "في الحمام أسد" أن تريد معنى الأسد من غير تأول؛ لأن المجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة»(٣).

---

(١) مفتاح العلوم، السكاكي، ص (٤٠٢).

(٢) تلخيص المفتاح، القزويني جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مكتبة البشرى، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص (١١١).

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص (٣٠١).

ومن الفروق بينهما كذلك: أن طريقة الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم في الكناية تختلف تمام الاختلاف مع مثليتها في المجاز، أما في الكناية فإنك تبني على المعنى الحرفي للفظ المذكور لتصل إلى المستلزم، بينما في المجاز تنتقل عن هذا المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم.

ولما كانت الكناية يجوز إرادة معناها الحرفي وجب وجود قرينة مانعة من ذلك؛ ولهذا يقول الدسوقي: «لابد للكناية أن تصحبها قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي»(١)، وهو قيد في غاية الأهمية، فكثير ممن يستشهدون للكناية في القرآن الكريم يذكرون شواهد لا قرينة فيها على نفي إرادة المعنى الحقيقي(٢)، فيكون المراد هو المعنى الحقيقي نفسه، وما عدوه كناية يكون من باب المعاني الثانية المستفادة من مفهوم اللفظ.

إن الكناية نوع من أنواع الغموض والتركيب في الأسلوب، حيث يعدل المتكلم عن التعبير عن مقصوده بلفظه المباشر، إلى لفظ يلزم عنه مقصوده، فقولهم: "طويل النجاد" في مثال السكاكي ليس معناه الحرفي هو المقصود، وإنما هو من لوازم المعنى المقصود الذي هو طول القامة.

---

(١) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، الدسوقي، ص (٣/٤٩٧).

(٢) انظر مثلًا: الكناية في القرآن الكريم (موضوعاتها ودلالاتها البلاغية)، د. أحمد فتحي الحياني، دار غيداء، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص (١١٠، ١١٦، ١١٩). الصور البيانية في القرآن الكريم (سورة يوسف أنموذجًا)، حداد صليحة وبوزايدي إلهام، رسالة ماجستير مشتركة، معهد الآداب واللغات، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، الجزائر، ٢٠١١م، ص (٣٢، ٥٥).

ثانيًا: التورية:

ويسميها السكاكي "الإيهام"، وعرَّفه بقوله: «وهو أن يكون للفظ استعمالان قريب وبعيد، فيذكر لإيهام القريب في الحال، على أن يظهر أن المراد به البعيد، كقوله: [بحر الطويل]

حمَلْناهُمُ طُرًّا على الدُّهْمِ بعد ما *** خَلَعْنا عليهم بالطِّعانِ ملابِسا

أراد بالحمل على الدهم تقييد العدا، فأوهم إركابهم الخيل الدهم كما ترى»[(١)].

وأطلق عليها القزويني وتبعه كثير من الشراح: "التورية"، وقسمها إلى قسمين حيث قال: «وهي ضربان: مجردة ومرشحة، أما المجردة فهي التي لا تجامع شيئًا مما يلائم المورَّى به، وأما المرشحة فهي التي قُرن بها ما يلائم المورى به»[(٢)].

والتورية من انزياح الوضوح، حيث يعدل المتكلم إلى لفظ يحتمل معنيين: معنى مباشرًا قريبًا غير مقصود، ومعنى بعيدًا غير مباشر هو المقصود.

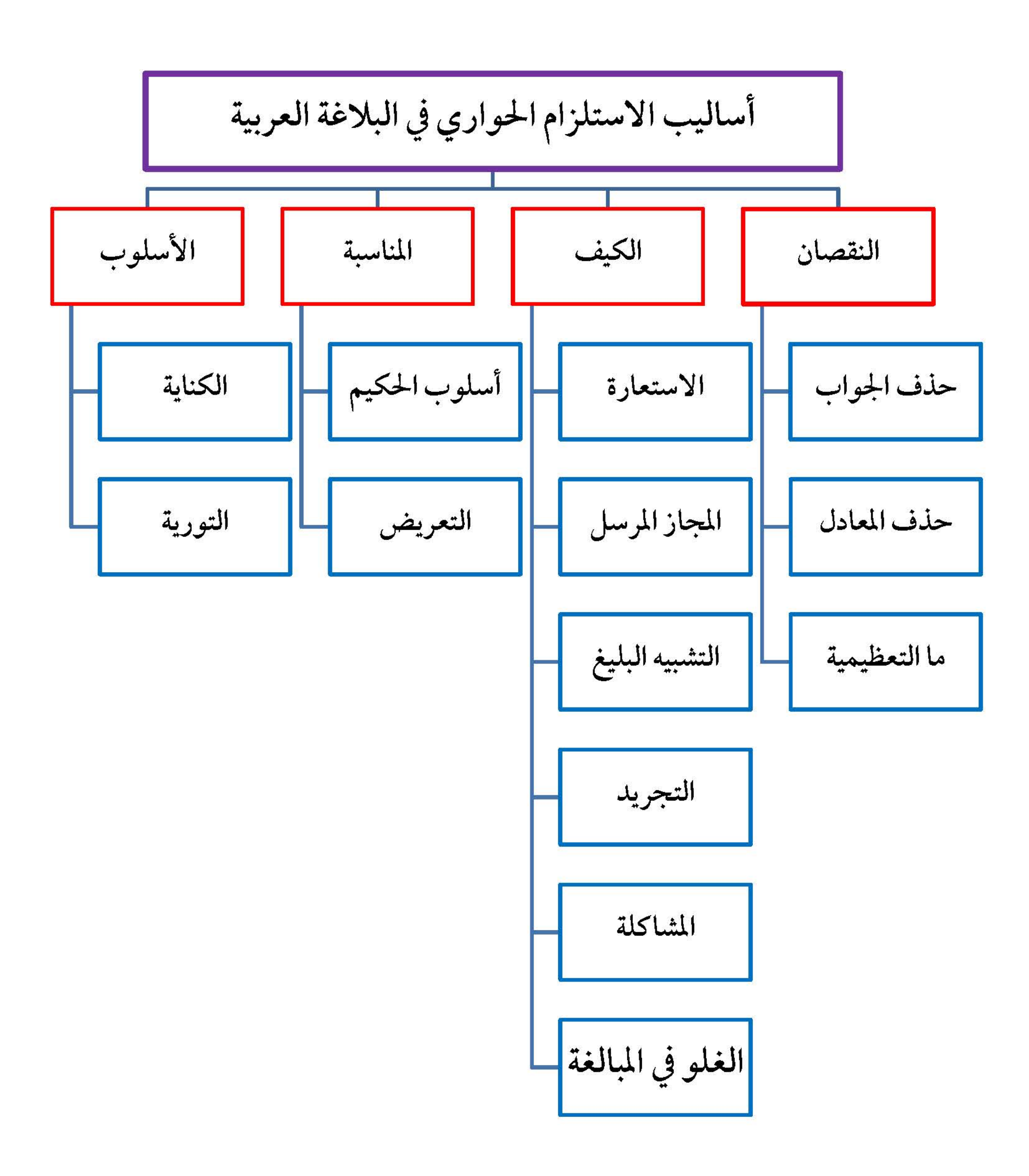
وبعد استقراء الشواهد التي ذكرها البلاغيون في مبحث التورية في القرآن الكريم اتضح خروج بعضها إلى أساليب بيانية أخرى كالاستعارة، وبعضٌ معناه القريب هو المقصود، فترجح لدى الباحث خلو القرآن الكريم منها[(٣)]، والله أعلم.

---

(١) مفتاح العلوم، السكاكي، ص (٤٢٧).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص (٣٣١) باختصار.

(٣) انظر: التورية وخلو القرآن الكريم منها، محمد جابر فياض، دار المنارة، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.


أساليب الاستلزام الحواري في البلاغة العربية
النقصان
الكيف
المناسبة
الأسلوب
حذف الجواب
حذف المعادل
ما التعظيمية
الاستعارة
المجاز المرسل
التشبيه البليغ
التجريد
المشاكلة
الغلو في المبالغة
أسلوب الحكيم
التعريض
الكناية
التورية

خلاصة الفصل

عرض البحث في هذا الفصل نظرية الاستلزام الحواري وعلاقاتها المتشعبة فلسفيًّا وتداوليًّا وأسلوبيًّا وبلاغيًّا:

- **فلسفيًّا**: من جهة منطلقاته، فقد نشأ الاستلزام الحواري في كنف فلاسفة أكسفورد الذين اتخذوا من التحليل اللغوي للغة العادية مدخلًا إلى الفلسفة. فقد قسم الفيلسوف بول جرايس مؤسس النظرية المعنى إلى: طبيعي (المعنى الذي تملكه الأشياء في الطبيعة دون تواضع)، وغير طبيعي (ما قصد شخص ما الدلالة عليه، فهو معنى قصدي اصطلاحي). ومن هذا المعنى القصدي انبثقت نظرية جرايس في الاستلزام الحواري.

- **وتداوليًّا**: من جهة أسسه، فقد انطلقت شرارة الاستلزام الحواري الأولى من سؤال جرايس: كيف يقصد المتكلم ما لم يقله، وكيف يفهم المستمع ما لم يُقل له؟ وإجابةً عن هذا السؤال وضع جرايس الأساس الأول للنظرية، وهو "مبدأ التعاون" حيث يتفق المتحاورون ضمنيًّا على إنجاح الحوار وإيصال مقصودهم، ثم قسم هذا المبدأ العام إلى أربع قواعد يختص كل منها بجانب من جوانب الحوار:

١- قاعدة الكم: وتتعلق بتوافق كم المعلومات المقدمة مع المقصود.

٢- قاعدة الكيف: وتختص بصدق المعلومات.

٣- قاعدة المناسبة: وتدور حول مناسبة المعلومات للسياق.

٤- قاعدة الكيفية: وتتعلق بوضوح هذه المعلومات.

وبناء على مبدأ التعاون والالتزام بقواعده الأربعة يستطيع المتكلمُ أن يوصل مقصودَه إلى المخاطب بطريق مباشر، ويكون ما يستلزم عن مقصوده المباشر هو ما يعرف بالاستلزام الحواري المعمم، وهو "ما يلزم عن القول"، وما تطرقت نظرية جرايس إلى

هذا النوع المعمم إلا لاستبعاده وإقصائه عنها، وكذلك ذكره البحث تمييزًا له عن النوع المخصص موضوع بحثنا.

وقد لا يلتزم المتكلم بهذه القواعد في عدة حالات، من أهمها: أن يبتغي المتكلم أن يوصل مقصوده بطريق غير مباشر، وعليه حينئذ أن ينحرف عن جادة الطريق المباشر حيث احترام القواعد الأربعة، لينزاح عن إحدى هذه القواعد أو بعضها، فيصبح هذا الانزياح الستارَ المباشر الذي يخفي خلفه المقصود غير المباشر، وهو ما يعرف بالاستلزام الحواري المخصص، ويُقصد بالاستلزام: اقتضاء الكلام لمعنى غير معناه الحرفي، ويكون هذا المعنى المقتضى هو المقصود الأول، وقد عرَّف جرايس كيفية إجراء استلزام في الحوار بقوله: «إن قام شخص ما باستلزام "ض" عندما قال القضية "ق" فإنه يعتبر قائمًا باستلزام محادثي»، وبعبارة أخرى هو: «لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر».

ويشترط لوقوع الاستلزام الحواري: أن يكون المتكلم ملتزمًا بالمبدأ العام للمحاورة وهو التعاون، مدرِكًا لما يستلزمه قولُه، معتقدًا أن المخاطب سيدرك مقصوده المستلزم. وحتى يستطيع أن يصل المخاطب إلى مقصود المتكلم يجب أن يكون ملمًّا بمعاني الكلمات ومرجعياتها، والسياقات اللغوية وغير اللغوية للكلام، مدركًا للانزياح الذي أحدثه المتكلم عن قواعد الحوار، ومعتقدًا أن المتكلم أراده أن يعلم أنه أحدث انزياحًا.

- **وأسلوبيًّا**: من جهة جماليته، فإذا كان الاستلزام الحواري انزياحًا عن قواعد التعاون الأربعة كما سبق بيانه، فإنه يمكننا أن نعدَّه انزياحًا على المحور الاستبدالي، لكنه انزياح له سماته وجمالياته ومميزاته الخاصة عن الانزياحات الاستبدالية الأخرى.

- **وبلاغيًّا**: من خلال أفراده، فقد أعاد الاستلزام الحواري تقسيم خارطة البلاغة العربية وفق معيار التعبير عن المقصود بطريق غير مباشر، ليعيد ترتيبها وفق قواعده الأربعة، مفسرًا لكيفية حدوثها، وموضحًا طرق الوصول إلى مقاصدها، ومبينًا جمالياتها.

خاتمة الفصل

خَلَصَ البحثُ في هذا الفصل إلى ما يلي:

١- الاستلزام الحواري انزياح استبدالي له طبيعته الخاصة وجمالياته التأثيرية.

٢- الأفعال الكلامية غير المباشرة ليست من الاستلزام الحواري.

٣- فن "التعريض" و"معنى المعنى" فرد من أفراد الاستلزام الحواري.

٤- فن " إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر " ليس من الاستلزام الحواري، إلا أسلوب الحكيم فهو منه.

٥- تنوع الأغراض الجمالية للاستلزام الحواري، وهو ما أهملته نظرية الاستلزام الحواري.



الفصل الثاني

الانزياح الكمي في القرآن الكريم

الفصل الثاني: الانزياح الكمي في القرآن الكريم

مدخل:

يتعاون المتكلم والمخاطب في إيصال مقصودهما ومن ثم نجاح الحوار، ويشمل هذا التعاونُ أربعَ قواعد فرعية متفقًا عليها بين المتكلم والمخاطب ضمنيًّا[(١)]، وبناء على "مبدأ التعاون" والالتزام بقواعده الأربعة يستطيع المتكلمُ أن يوصل مقصودَه إلى المخاطب بطريق مباشر دون معوقات، فإذا أراد المتكلم أن يوصل مقصوده بطريق غير مباشر فسينزاح عن الالتزام بهذه القواعد الفرعية، ليجعل هذا الانزياحَ مستلزِمًا لمقصوده.

ويختص هذا الفصل بالانزياح عن إحدى القواعد الفرعية لـ"مبدأ التعاون"، وهي "قاعدة الكم" التي تُعنى بتقديم القدر المناسب من المعلومات للمخاطب.

فالانزياح الكمي هو: عدول المتكلم عن تقديم القدر المناسب من المعلومات زيادةً أو نقصانًا، مستلزِمًا لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويُفهم من السياق

وينقسم الانزياح الكمي إلى قسمين:

١- **انزياح الزيادة:** هو أن يقدم المتكلم معلومات أكثر مما يحتاجه المخاطب ليصل إلى مقصوده؛ مستلزِمًا لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويُفهم من السياق.

---

(١) عن مبدأ التعاون وقواعد الأربعة انظر: ص (٢٧) من هذا البحث.

٢- **انزياح النقصان**: هو أن يقدم المتكلم معلومات أقل مما يحتاجه المخاطب ليصل إلى مقصوده؛ مستلزمًا لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويُفهم من السياق. وهو ينقسم إلى قسمين رئيسين حسب طريقة نقصان المعلومات: الأول: الإبهام: وفيه تقدم معلومات مبهمة الدلالة على المقصود؛ استلزامًا للمقصود من السياق. والثاني: الحذف: وفيه يُحذف جزء من المعلومات، ويكون المعنى المقصود مستلزمًا، ويصل إليه المخاطب من السياق.

أما انزياح النقصان بالإبهام فمن أساليبه التي وردت في القرآن الكريم: "أسلوب ما التعظيمية". وأما انزياح النقصان بالحذف فمن أساليبه التي وردت في القرآن الكريم: حذف "جواب الشرط"، وحذف "جواب القسم"، وحذف "المعادل" في الجملة الاستفهامية[1].

وقد جاء انزياح النقصان بأنواعه المختلفة وأساليبه المتنوعة في القرآن الكريم ليؤدي أغراضًا جمالية وتداولية، وسيسعى البحث في مباحثه التالية إلى بيان هذه الأغراض الرئيسة وأساليبها.

وفيما يلي مبحثان عن نوعي الانزياح الكمي:

المبحث الأول: انزياح الزيادة في القرآن الكريم بين النفي والإثبات.

المبحث الثاني: انزياح النقصان في القرآن الكريم.

---

(١) لمزيد من التفصيل حول أساليب الانزياح الكمي انظر: ص (٧٢) من هذا البحث.

المبحث الأول: انزياح الزيادة في القرآن الكريم بين النفي والإثبات

انزياح الزيادة: هو أن يقدم المتكلم معلومات أكثر مما يحتاجه المخاطب ليصل إلى مقصوده؛ مستلزِمًا لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويُفهم من السياق. فهذه ثلاثة شروط يجب توافرها للحكم بوقوع انزياح كمي بالزيادة.

فهل وقع انزياح بالزيادة في القرآن الكريم؟

باستقراء القرآن الكريم وأساليبه البلاغية لم أقف على شاهد واحد لمثل هذا النوع من الانزياح بالزيادة، ولذلك علة حكيمة أذكرها في ختام هذا المبحث، أما ما أُورد من الشواهد القرآنية على هذا النوع من الانزياح بالزيادة من قبل بعض الباحثين فهي ليست منه في شيء، وفيما يلي تفصيل القول فيما ذكروه من شواهد قرآنية:

📖 قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾[1].

معنى الآيتين:

جاءت الآيتان في معرض محاجة موسى عليه السلام لفرعون مصر، إذ سأله فرعون عن شأن الأمم الماضية، فأجابه موسى عليه السلام بأن الله أحاط بها علمًا في اللوح المحفوظ، فالله سبحانه وتعالى لا يضلُّ ولا ينسى.

---

(١) [طه: ٥١-٥٢].

القول بالانزياح الكمي:

تقول الباحثة ميرود سعاد: «استغل موسى عليه السلام بهذا القول قاعدة الكمية الثانية لصالح قاعدة الكيف، فهو يقصد بإضافته ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ إثبات بعض من صفات الربوبية وهو ما لا يملكه فرعون مدعي الربوبية، وكان يكفي أن يقول: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾»(١).

الرد على القول بالانزياح الكمي:

قصدت الباحثة من قولها بالانزياح الكمي بالزيادة في الآية: أن موسى عليه السلام قدَّم إجابة زائدة عما يتطلبه سؤال فرعون، وهي: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾، مستلزمًا بها إثبات بعض من صفات الربوبية على حد تعبيرها.

وفي قولها هذا نظر؛ فإن ما ذكرته من معنى مستلزم (إثبات بعض من صفات الربوبية) ليس بمستلزم، وإنما هو المعنى الحرفي لقوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾، فليس هناك استلزام، وإنما هو إطناب من موسى عليه السلام في الإجابة عن سؤال فرعون أفاد معناه الحرفي بنفي ضلال الرب ونسيانه سبحانه وتعالى.

أما إذا قلنا إن قول موسى عليه السلام: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ تعريض بفرعون، فستكون إجابته غير مناسبة لسؤال فرعون، ويكون الأسلوب من باب انزياح المناسبة لا الانزياح الكمي، والمعنى المستلزم حينئذ ضلال فرعون ونقصه. ويشهد للقول بانزياح المناسبة قولُ الزمخشري مفسرًا قول موسى عليه السلام: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾: «أي: لا يضل كما تضل أنت، ولا ينسى كما تنسى، يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة»(٢).

---

(١) الاستلزام الحواري في سورة طه، ميرود سعاد، ص (٣٣٥).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٦٨/٣).

📖 قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۝٧٠ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١﴾[١].

معنى الآيتين:

يحاور إبراهيم عليه السلام في هاتين الآيتين أباه وقومه دعوةً إلى التوحيد والإسلام، فيسألهم عمَّا يعبدونه، فيجيبوه بأنهم يعبدون أصنامًا يعكفون على عبادتها والتقرب إليها.

القول بالانزياح الكمي:

تقول الباحثة حمو كوثر: «﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ إن هذه الآية إجابة عن سؤال صوري سابق ذكره، فتضمن زيادة في الجواب، فقيل: استلزمت هذه الزيادة تبيان فخرهم بما يعبدون»[٢].

الرد على القول بالانزياح الكمي:

هذه الزيادة التي أشارت إليه الباحثة (تبيان فخرهم بما يعبدون) مفهومة من لفظ قولهم: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾، فالعكوف على شيء دليل على تبجيله وتقديسه ومن ثم الفخر به، وإنما زيادتهم في جوابهم من باب الإطناب بذكر فائدة تتعلق بالسياق؛ وقد جاء كلام المفسرين مؤكدًا على ما في الآية من الإطناب الذي يفيد معناه الحرفي، فمن ذلك قول الزمخشري: «فإن قلت: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ سؤال عن المعبود فحسب، فكان القياس أن يقولوا: أصنامًا، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ

---

(١) [الشعراء: ٧٠-٧١].

(٢) الاستلزام الحواري من خلال خطابات سيدنا إبراهيم عليه السلام، حمو كوثر، ص (٤١).

ٱلْعَفْوَ﴾[(١)]، ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾[(٢)]، ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾[(٣)]؟ قلت: هؤلاء قد جاءوا بقصة أمرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين، فاشتملت على جواب إبراهيم، وعلى ما قصدوه من إظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار، ألا تراهم كيف عطفوا على قولهم: ﴿نَعْبُدُ﴾ ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ ولم يقتصروا على زيادة ﴿نَعْبُدُ﴾ وحده»[(٤)].

ولعل مراد الكافرين من قولهم: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ ليس الابتهاج والافتخار كما قاله الزمخشري ومن تبعه من المفسرين[(٥)]، وإنما مرادهم إغاظة سيدنا إبراهيم عليه السلام بإظهار شعائر الكفر والتقرب إلى الأصنام.

📖 قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾[(٦)].

معنى الآيات:

تأتي هذه الآيات في ختام محاورة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه ودعوتهم إلى

---

(١) [البقرة:٢١٩].

(٢) [سبأ:٢٣].

(٣) [النحل:٣٠].

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٣/٣١٧).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢٤/٥١٠). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد= التحرير والتنوير، لابن عاشور محمد الطاهر بن محمد التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ص (١٩/١٣٧).

(٦) [الشعراء:٧٥-٧٧].

التوحيد والإسلام، إذ يتبرأ مما كانوا يعبدونه هم وأباؤهم، ويعلن عداوته لما يعبدونه إلا الله رب العالمين.

القول بالانزياح الكمي:

تقول الباحثة حمو كوثر: «تم خرق قاعدة الكم؛ لأن الآية تضمنت زيادة في القول»(١).

الرد على القول بالانزياح الكمي:

هذه الخاتمة من إبراهيم عليه السلام في غاية الإحكام والتناسب، فلا زيادة فيها ولا إطناب: فبعد أن حاجَّ قومَه بالبراهين الساطعة في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾(٢)، فردَّ عليه قومُه بما يبين عجزهم عن المجادلة: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾(٣)؛ سُقط في أيديهم فأعلنوا أنهم مقلدون لأبائهم الأولين وليسوا بأصحاب حجة وجدال، وإنما تقليد واتباع، فختم موسى عليه السلام هذه المحاورة -إذ انسحب الخصم منها- ببرائته مما يعبدونه ومناصبته العداء.

ولو قلنا -جدلًا وتنزلًا- إن في قول إبراهيم عليه السلام زيادةً وانزياحًا عن قاعدة الكم، فأين هو المعنى المستلزم إذن؟!

📖 قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾(٤).

---

(١) الاستلزام الحواري من خلال خطابات سيدنا إبراهيم عليه السلام، حمو كوثر، ص (٤٣).

(٢) [الشعراء: ٧٢-٧٣].

(٣) [الشعراء: ٧٤].

(٤) [العنكبوت: ٣١-٣٢].

معنى الآيتين:

جاءت رسلُ الله إبراهيمَ عليه السلام يبشرونه بإسحاق ومن بعده يعقوب، ويعلمونه أمر الله تعالى بإهلاك قوم لوط بظلمهم وكفرهم، فقال لهم إبراهيم عليه السلام: إن في هذه القرية رسول الله لوطًا وهو من المؤمنين، فأجابوه بأنهم أعلم بمن فيها، وأنهم سينجون لوطًا وأهله من الهلاك، إلا امرأته فستهلك مع قومها.

القول بالانزياح الكمي:

تقول الباحثة حمو كوثر: «﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾[1] تم انتهاك مبدأ الكم»[2].

الرد على القول بالانزياح الكمي:

تقصد الباحثة أن إبراهيم عليه السلام إنما سأل عن شأن لوط فحسب، فأجابته رسلُ الله بأكثر مما طلب فذكرت له شأنَ لوطٍ وأهلِه ومصير امرأته.

وفي سؤال إبراهيم عليه السلام وجوه:

الأول: أن السؤال عن الرجل يتضمن السؤال عن أهله تبعًا له، وعليه فلا زيادة في جواب الرسل.

---

(١) [العنكبوت: ٣٢].

(٢) الاستلزام الحواري من خلال خطابات سيدنا إبراهيم عليه السلام، حمو كوثر، ص (٤٤).

الثـــاني: أن جـــواب الرســـل ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ اقتضاه قولهم: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ فهم أعلم بـمَن فيها مِن المؤمنين، فإن فيها لوطًا وهو من سأل عنه إبراهيم عليه السلام، وفيها كذلك أهله إلا امرأته وهو ما لم يسأل عنه إبراهيم عليه السلام لكن اقتضاه بيان كونهم أعلم منه بمن فيها من المؤمنين، وبه لا يكون جوابهم الثاني زائدًا وإنما بيان لجوابهم الأول؛ ولهذا قال ابن عاشور: «وجملة ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ بيانٌ لجملة ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾؛ فلذلك لم تعطف عليها وفُصلت»(١).

الثالث: أن جواب الرسل إطناب منهم في الإجابة عن سؤال إبراهيم عليه السلام، وعلته بث الطمأنينة في نفس إبراهيم عليه السلام، وقد أشار الرازي إلى هذه العلة بقوله: «أما إبراهيم فلما سمع قول الملائكة: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ﴾ أظهر الإشفاق على لوط ونسي نفسه وما بشروه ولم يظهر بها فرحًا، وقال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾، ثم إن الملائكة لما رأوا ذلك منه زادوا عليه، وقالوا إنك ذكرت لوطًا وحده ونحن ننجيه وننجي معه أهله، ثم استثنوا من الأهل امرأته»(٢)، وعلى ما فيه من إطناب فليس أيضًا من باب الاستلزام لخلوه من معنى مستلزم.

📖 قال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾(٣).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٢٠/ ٢٤٤).

(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢٥/ ٥١).

(٣) [الشعراء:١٦-١٩].

معنى الآيات:

يأمر الله عز وجل في هذه الآيات موسى وأخاه هارون عليهما السلام أن يذهبا إلى فرعون ويعلماه أنهما رسولان من رب العالمين إليه أن يترك بني إسرائيل يذهبون معهما، فأبى فرعون وأخذ يذكِّر موسى عليه السلام بنعمه عليه وبتربيته له منذ صغره وحتى كبره، وأنه قتل منهم نفسًا، ثم ختم قولَه بوصف موسى عليه السلام بجحود نعمه عليه وكفرانه بها.

القول بالانزياح الكمي:

يقول د. أحمد يوسف: «وفي كلام فرعون خرق للحوار من جهة الكم، فقد كان كلام فرعون أطول وأطنب، وكان الأجدر به أن يكون أقصر وأوجز»(١).

الرد على القول بالانزياح الكمي:

إن المتأمل في جواب فرعون على طلب موسى وهارون عليهما السلام إرسال بني إسرائيل معهما؛ ليجد أن هذا الجواب ليس فيه إطناب ولا إطالة مطلقًا، وإنما هو غير مناسب للطلب أصالةً: فإن تذكير فرعون موسى عليه السلام بنعمه عليه لا يُتصور عدُّه جوابًا عن طلب موسى وهارون عليهما السلام! وإنما هو عدول من فرعون عن الإجابة كليًّا إلى ترغيب موسى عليه السلام وترهيبه؛ لينصرف عن رسالته وطلبه، فهو من باب انزياح المناسبة، لا الانزياح الكمي.

---

(١) الاستلزام الحواري وطاقاته الحجاجية في حوار موسى صلى الله عليه وسلم مع فرعون، د. أحمد يوسف، ص (٢٦).

📖 قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝٢٥ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢٨﴾ (١).

معنى الآيات:

تقص الآيات الكريمة من حجاج موسى عليه السلام لفرعون، فبعد أن أوضحت الآيات السابقة فشل فرعون في صرف موسى عليه السلام عن جادة الحوار والحجاج، عاد فرعون إلى جادة الحوار، فسأل موسى عليه السلام عن حقيقة مَن أرسله، فدلَّه موسى عليه السلام على براهين الله في الكون وآثار عظمته: حيث خلقه السموات والأرض وما بينهما وتدبير شئونهما، فكرَّ فرعون إلى خلُقه الأول فالتفت عن جواب موسى عليه السلام وأدلته إلى حثِّ ملئه وبطانته إلى التعجب من جواب موسى عليه السلام، فأعرض موسى عن مجاراته فيما أراد مِن صرفه عن جادة الحوار، واسترسل في سرد حججه وبراهينه: فالله خالقهم هم وأبائهم السابقين، واستمر فرعون في التفاته ومحادثته لملئه متهكمًا على موسى عليه السلام ومتهمًا له بالجنون، واستمر موسى عليه السلام في قرعه بالحجج الساطعة وبيان آثار تدبير الله عز وجل: فالله رب المشرق والمغرب وما بينهما.

القول بالانزياح الكمي:

يقول د. أحمد يوسف: «خرق مبدأ الكم حين زاد في إجابته: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾» (٢).

---

(١) [الشعراء:٢٣-٢٤].

(٢) الاستلزام الحواري وطاقاته الحجاجية في حوار موسى صلى الله عليه وسلم مع فرعون، د. أحمد يوسف، ص (٤٧-٤٨).

الرد على القول بالانزياح الكمي:

والرد عليه من وجهين:

الوجه الأول: أن قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ليسا من باب الزيادة في الجواب، وإنما هما من أصل المعنى:

- أما قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ فلم أجد مفسِّرًا -فيما وقفت- قال بزيادته عن أصل الجواب، وقد ذهب المفسرون في بيان تعلقه بما قبله مذاهب: فقيل: معناه: «إن كنتم موقنين أن ما تعاينونه كما تعاينونه، فكذلك فأيقنوا أن ربنا هو رب السموات والأرض وما بينهما»(١)، وقيل: «إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدي إليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب»(٢)، وقيل: «إن كنتم موقنين بشيء قط فهذا أولى ما توقنون به، لظهوره وإنارة دليله»(٣).

- وأما قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فمتعلق بما قبله، فمعناه: «إن كنتم ذوي عقول لم يخفَ عليكم ما أقول»(٤).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٩/ ٣٤٤).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٣/ ٣٠٨).

(٣) السابق.

(٤) التفسير البسيط، الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: مجموعة، إشراف: د. عبد العزيز بن بسطام ود. تركي بن سهو، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، (١٧/٤٦). وانظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٩/ ٣٤٤). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢٤/ ٤٩٩). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، (٨/ ١٥١).

الوجه الثاني: أننا إذا قلنا إن قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ من باب الإطناب جدلًا، وإن قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وقوله: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ من الإطناب حقيقةً؛ فليس هناك استلزام نشأ عن هذا الإطناب، وإنما هي ألفاظ زيدت لفائدة، وتكمن هذه الفائدة في معانيها الحرفية حيث حجج موسى على ربوبية الله وألوهيته عز وجل، ولم يقصد منها استلزام بحال.

📖 قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾[1].

معنى الآيتين:

تحكي الآيتان الجولة الأخيرة من رحلة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، إذ دخلا إحدى القرى وسألا أهلها ضيافتهما فأبوا، فوجدا في القرية جدارًا كاد أن يسقط، فأصلحه العبد الصالح، فقال له موسى عليه السلام: لو شئتَ لطلبتَ أجرًا على عملك، فأنكر عليه العبدُ الصالح سؤالَه إياه إذ عاهده موسى عليه السلام من قبل ألا يسأله[2]، وأخبره بانقضاء صحبتهما، وأنه سيطلعه على حقيقة ما أنكره عليه ولم يستطع عليه صبرًا.

القول بالانزياح الكمي:

يقول د. علاء سامي: «من الأساليب التي تعامل معها النحاس في خرق مبدأ

---

(١) [الكهف: ٧٧-٧٨].

(٢) قال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى﴾ [الكهف: ٧٦].

الكم بالزيادة هو أسلوب التكرير الذي ورد في النص القرآني لغرض التوكيد في قوله: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾(١)، إذ يذهب النحاس مذهب سيبويه فيقول: سيبويه يذهب إلى أن إعادة "بين" في مثل هذا على التوكيد أي: فراق بيننا، كما يقال: "أخزى الله الكاذب مني ومنك" أي: منا. يستشف من كلام النحاس أنه قرأ المسألة من باب الإطناب بمعنى أن "بيني وبينك" تجمع في كلمة واحدة، إلا أن التكرير هنا جاء لفائدة التوكيد»(٢).

الرد على القول بالانزياح الكمي:

أما قول سيبويه وأبي جعفر النحاس بالتوكيد في الآية فلا يقصدان به فن التوكيد البلاغي الذي ينقسم إلى معنوي ولفظي، فليست الآية من أحدهما، وإنما قصدا أن الكلام صيغ على مخالفة المعهود ابتغاء توكيد معناه، فالأصل أن يقال: هذا فراق بيننا.

وأيًّا ما كان الأمر فإن الإطناب والتكرار ليسا من الاستلزام في شيء طالما لم يقصد بهما معنى سياقي غير معناهما الحرفي، ولم يُرد من قوله تعالى: ﴿بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي معني مستلزم.

📖 قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ۝٨٣﴾(٣).

---

(١) [الكهف:٧٨].

(٢) قواعد التخاطب اللساني في كتاب معاني القرآن للنحاس، د. علاء سامي، ص (٤١٤).

(٣) [النحل:٨٣].

معنى الآية: يبين الله عز وجل في هذه الآية الكريمة خلُقًا من أخلاق الكافرين، حيث يعرفون نعمة الله عليهم ثم ينكرونها، وأكثرهم جاحدون.

وقد اختلف المفسرون حول المراد بهذه النعمة على وجوه ذكرها ابن جرير الطبري وغيره[1]، ومنها ما سيأتي من قول الفراء، والأَولى أن تكون النعمة مطلقة فتعمُّ كلَّ منة، وأن يكون الإنكار عامًّا ليشمل كل جحود.

القول بالانزياح الكمي:

تقول الباحثة زينب الشَّمريّ: «ومن الأساليب التي تعامل معها الفراء في خرق مبدأ الكم بالزيادة تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣﴾ حيث قال: "يعني: الكفار إذا قيل لهم: من رزقكم؟ قالوا: الله، ثم يقولون: بشفاعة آلهتنا؛ فيشركون، فذلك إنكارهم نعمت الله"» [2].

الرد على القول بالانزياح الكمي:

أوَّل الفراء الآية الكريمة بضرب مثال من أمثلة الإنكار الوارد في الآية، فإن وقع انزياح (خرق) عن مبدأ الكم فهو واقع في مثال الفراء لا في الآية الكريمة.

ومع ذلك فليس في مثال الفراء انزياح عن قاعدة الكم كذلك، بل هو مناسب لما يعتقده الكفار في آلهتهم: فإنه إذا قيل للمؤمنين: من يرزقكم؟ فقالوا: "الله"، فقولهم

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٧/ ٢٧٢). النكت والعيون =تفسير الماوردي، الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ص (٣/٢٠٦-٢٠٧). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢٠/ ٢٥٥).

(٢) قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء، زينب الشَّمريّ، ص (٤٢٤) باختصار.

ليس به زيادة أو نقصان وهو مناسب لما يعتقدونه من التوحيد، أما إذا قال الكافرون جوابًا على السؤال نفسه: "الله عن طريق شفاعة آلهتنا"، فقولهم كذلك لا يحتوي على زيادة وإنما هو صلب اعتقادهم، بل إن النقص عنه هو الذي يعدُّ انزياح نقصان.

ولو قلنا -جدلًا-: إن مثال الفراء إطناب من الكافرين، فلم يفد أيضًا إلا معناه الحرفي وهو شفاعة آلهتهم لهم عند الله ليرزقهم، وليس فيه معنى مستلزم.

📖 قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨﴾(١).

معنى الآيتين:

يسأل ربنا سبحانه وتعالى -وهو أعلم بالجواب- موسى عليه السلام عما يمسكه بيمينه، فيجيبه موسى عليه السلام بأنها عصاه التي يعتمد عليها في المشي، ويخبط بها ورق الشجر لتأكل غنمه، وأن له فيها أغراضًا أخرى.

القول بالانزياح الكمي:

تقول الباحثة زينب عيدان: «فهذا الخطاب شكل اتساعًا بما يستلزمه الحوار، إذ سأله سؤالًا فأجابه بأكثر من المطلوب، فانتهك مبدأ الكم هنا، إذ ذكر أربعة معانٍ، فكان يكفيه أن يقول: "عصا"» (٢).

---

(١) [طه:١٧-١٨].

(٢) الاستلزام الحواري وأثره في اتساع المعنى القرآني، زينب سليم عيدان، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة واسط، العراق، شباط، ٢٠١٩، ص (١٣).

الرد على القول بالانزياح الكمي:

كثيرًا ما يُستشهد بهذه الآية الكريمة على وقوع انزياح كمي بالزيادة، والرد عليه من وجوه:

الأول: أن قول موسى عليه السلام ليس فيه زيادة، إذ رُوي عن وهب بن مُنَبِّه أنه قال: «لما قال موسى: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾، قال الله تعالى: وما تصنع بها»[(١)].

الثاني: أن «جوابه مطابق للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه»[(٢)]، «وكأن المراد من سؤاله تعالى إياه عليه السلام أن يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها، ثم يريه تعالى عقب ذلك الآية العظيمة، كأنه جل وعلا يقول: أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها. فـ"ما" طالبة للوصف»[(٣)].

الثالث: أن لو افترضنا أن قول موسى عليه السلام: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨﴾ فيه إطناب، فهو إطناب لحاجة نفسية عند موسى عليه

---

(١) التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٤/ ٣٧٨). وانظر: بحر العلوم=تفسير السمرقندي، السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: ٣٧٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ص (٣٩٢). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٧/ ٤٦٠).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٣/ ٥٧).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني=تفسير الألوسي، الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ص (٨/ ٤٩١).

السلام، لا لمعنى أراد موسى أن يوصله لربه عز وجل بطريق غير مباشر (الاستلزام). أما حاجة موسى عليه السلام التي قضاها من هذا الإطناب فقد كان «يحب المكالمة مع ربه فجعل ذلك [أي: الإطناب] كالوسيلة إلى تحصيل هذا الغرض»(١). وقيل: «إن موسى أطنب في جوابه بزيادة على ما في السؤال لأن المقام مقام تشريف ينبغي فيه طول الحديث»(٢).

الخلاصة:

بعد دراسة الآيات التي استُشهد بها على وقوع انزياح الزيادة تبين خلوُّها جميعًا من هذا النوع من الانزياح، وخروجُ بعض ما استُشهد به إلى الإطناب الذي يؤدي معناه الحرفي دون قصد استلزام منه، وكون بعضه من باب انزياح المناسبة حيث لا تناسب بين هذه الزيادة والمقام، وأن بعضه من تتمة الكلام الأصلي.

أما عن علة خلو القرآن العظيم من هذا النوع من الانزياح: فلعل هذا النوع من الانزياح لا يناسب مقام القرآن العظيم وإعجازه وبلاغته، فإن هذا الانزياح يقوم على زيادة ألفاظ لا تؤدي معانيها الحرفية، بغية استلزم معنى من الزيادة نفسها، وكأن الألفاظ المزيدة ثرثرة لا أهمية لماهيتها كيف كانت(٣)!

---

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢٢/ ٢٥).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (١٦/ ٢٠٦).

(٣) انظر: ص (٣٧) من هذا البحث.

المبحث الثاني: انزياح النقصان في القرآن الكريم

انزياح النقصان: هو أن يقدم المتكلم معلومات أقل مما يحتاجه المخاطب ليصل إلى مقصوده؛ مستلزِمًا لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويُفهم من السياق.

وينقسم انزياح النقصان إلى قسمين رئيسين حسب طريقة نقصان المعلومات:

القسم الأول: الإبهام: وفيه تقدم معلومات مبهمة الدلالة؛ استلزامًا للمقصود من السياق. ومن أساليب هذا القسم: أسلوب ما التعظيمية.

القسم الثاني: الحذف: وفيه يُحذف جزء من المعلومات، ويكون المعنى المقصود مستلزمًا، ويصل إليه المخاطب من السياق. ومن أساليب هذا القسم: حذف جواب الشرط، وحذف جواب القسم، وحذف المعادل في الجملة الاستفهامية(١).

وتكمن جمالية انزياح النقصان الرئيسة فيما فيه من إيجاز وتحصيل للمعنى الكثير في اللفظ القليل، وما يثيره في نفس المتلقي من دواعي التفكر للوقوف على المعنى الضمني، ثم ما يحصله القارئ من لذة وسعادة حين يقف عليه.

وفيما يلي ذكر الشواهد القرآنية على انزياح النقصان، مقسمةً حسب أغراضها في مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: التعظيم.

المطلب الثاني: التكثير.

المطلب الثالث: الذم.

---

(١) لمزيد من التفصيل النظري حول هذا الأساليب انظر: ص (٧٥) من هذا البحث.

المطلب الأول: التعظيم

من أغراض الانزياح الكمي بالنقصان في القرآن الكريم: التعظيم، وتعظيم الشيء قد يكون تهويلًا وتفزيعًا منه، وقد يكون إجلالًا وتكريمًا له. والمقصود من الانزياح الكمي بغرض التعظيم: العدول عن ذكر الشيء واستلزام معناه من السياق؛ تعظيمًا له، وكأن العبارة المباشرة تقصر عن الإحاطة بحقيقة هذا الأمر بلا استطالة؛ لفرط عظمته.

ومن شواهد هذا الغرض في القرآن العظيم ما يلي:

📖 قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾[1].

معنى الآيات: ومن المشركين فريق يستمعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن فلا يهتدون، فقد حجب الله قلوبهم عن فقهه وأصم آذانهم بكفرهم، فلا يؤمنون وإن جاءتهم الآيات والبراهين، بل يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن ويكذبونه وينأون عنه بأنفسهم، وينفرون الناس منه، والله متم نوره ولو كرهوا، فلا خاسر إلا إياهم وما يشعرون بذلك، ولو تراهم حين يُعرضون على النار فيتحسرون ويتمنون الرجوع إلى الدنيا فيؤمنون ويصدقون لرأيتَ أمرًا عظيمًا.

---

(١) [الأنعام: ٢٧].

محـل الانـزياح: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

المعنى الحرفي: ولو تراهم حين يُعرضون على النار فيتحسرون ويتمنون الرجوع إلى الدنيا فيؤمنون ويصدقون.

نـوع الانـزياح وأسـلوبه وغرضـه: انـزياح كمـي بالنقصـان، أسـلوب حـذف جواب الشرط، غرضه التعظيم.

المعنى المعدول عنه: ولو تراهم حين يعرضون على النار فيتحسرون ويتمنون الرجوع إلى الدنيا فيؤمنون ويصدقون لرأيتَ أمرًا عظيمًا.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن ذكر جواب "لو"، واستُلزم المقصود من السياق؛ تعظيمًا وتهويلًا لمنظر وقوفهم على النار، والحسرة قد ملأت قلوبهم، وألسنتهم قد تعلقت بالتمني والرجاء.

وقد أطبق عامة المفسرين على ما في حذف جواب "لو" في الآية الكريمة من معاني التهويل والتعظيم والتفخيم، فمن ذلك قول الواحدي: «يقتضي "لو" جوابًا، وقد حُذف تفخيمًا للأمر وتعظيمًا، وجاز حذفه لعلم المخاطب بما يقتضي، وأشباهه كثيرة في القرآن والشعر، ولو قدرت الجواب كان على تقدير: لرأيت سوء منقلبهم أو لرأيت أسوأ حال»[1].

---

(١) التفسير البسيط، الواحدي، ص (٨/ ٧٢). وانظر: االكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٢/ ١٥). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز= تفسير ابن عطية، لابن

وإذا كان جواب "لو" قد حُذف فإن معناه مستلزم من السياق: فإن قومًا لم يكتفوا بالكفر وإنما جادلوا بالباطل ووصفوا القرآن بما ليس منه، ودعوا الناس إلى هجره وتكذيبه رغبةً في إطفاء نور الله؛ فكيف سيكون حالهم يوم يعرضون على جهنم نادمين! لا شك أنه عظيم عظم جرمهم. وقد تُرك للمخاطب استخلاص هذا المعنى المستلزم مما رسمه له السياق.

ومن دلالة السياق كذلك على هذا المعنى المستلزم: ما ذكره الله تعالى في الآيات التالية مِن كذبهم في تمنيهم، وإنكارهم البعث، وما يلاقونه يوم القيامة من مناقشة وعذاب، حيث قال الله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ الآيات[1].

فإذا كان المعنى المعدول عنه المدلول عليه بالسياق هو: "لرأيتم أمرًا عظيمًا"، فإن المعنى المستلزم يتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه حذفُه من استشعار عظمه وأنه أفظع من أن يحيط به غير حق اليقين.

عطية الأندلسي أبو محمد عبدالحق (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ص (٢/ ٢٨١). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (١٢/ ٥٠٨). الجامع لأحكام القرآن=تفسير القرطبي، القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص (٦/ ٤٠٨).

(١) [الأنعام: ٢٨-٣٢].

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي تدعم غرضَ الاستلزام في التهويل والتعظيم: عطف قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ﴾ بالفاء الدالة على سرعة التعقيب أذانًا بعظم وهول ما رأوا، فإن المسارعة بالندم والحسرة والترجي لدليل على عظم ما نزل بهم(١).

📖 قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾(٢).

معنى الآية: يخبر الله عز وجل في هذه الآية الكريمة أنه لا أحد أعظم ظلمًا ممن اختلق كذبًا على الله تعالى، أو ادَّعى زورًا أنه أُوحي إليه، أو زعم أنه سينزل مثل ما أنزل الله! ولو ترى هؤلاء الظلمة وهم في سكرات الموت، والملائكة تمد أيديهم إليهم قائلين لهم: أخرجوا أنفسكم من أجسادكم، فاليوم تجزون عذاب الهوان والذل بافترائكم الكذب على الله، وبكفركم بآيات الله واستكباركم عن الإيمان بها؛ لرأيتَ هولًا وعجبًا.

محل الانزياح: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾.

المعنى الحرفي: ولو ترى هؤلاء الظلمة وهم في سكرات الموت.

---

(١) وقريب من هذا المعنى قول ابن عاشور في تفسيره للآية: «وعطف عليه ﴿فَقَالُواْ﴾ بالفاء المفيدة للتعقيب؛ لأن ما شاهدوه من الهول قد علموا أنه جزاء تكذيبهم بإلهام أوقعه الله في قلوبهم أو بإخبار ملائكة العذاب، فعجلوا فتمنوا أن يرجعوا». التحرير والتنوير، ص (٧/ ١٨٤).

(٢) [الأنعام: ٩٣].

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كمي بالنقصان، أسلوب حذف جواب الشرط، غرضه التعظيم.

المعنى المعدول عنه: ولو ترى هؤلاء الظلمة وهم في سكرات الموت لرأيت هولًا وعجبًا.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن ذكر جواب "لو"، واستُلزم المقصود من السياق؛ تهويلًا وتعظيمًا لمشهد نزول الموت وسكراته بالظالمين.

وقد قدَّر الزمخشري الجواب المحذوف بقوله: «لرأيتَ أمرًا عظيمًا»(١)، وقدَّره ابن عطية بقوله: «لرأيت عجبًا أو هولًا ونحو هذا، وحذفُ هذا الجواب أبلغ من نصه؛ لأن السامع إذا لم يُنص له الجواب يترك مع غاية تخيله»(٢)، وعلى هذين التقديرين دارت أقوال المفسرين(٣).

وإذا كان جواب "لو" قد حُذف فإن السياق يدل عليه، فمن هذا السياق: ما أحاط بسكرات موتهم من تعنيف بدني ونفسي على أيدي ملائكة العذاب: ضربًا إذ تبسط إليهم الملائكةُ أيديهم(٤)، وتبكيتًا حين تدعوهم إلى إخراج أنفسهم مما أوقعوها

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٢/ ٤٦).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (٨/ ٢٨٥).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (١٣/ ٦٨). فتح القدير، الشوكاني محمد بن علي اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ص (٢/ ١٥٩). التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٧/ ٣٧٧).

(٤) قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٩٣].

فيها[١]، وتحسيرًا عندما تخبرهم بمصير الذل والهوان الذي ينتظرهم بما فعلوا في الحياة الدنيا[٢]، وأنهم الآن فرادى بلا مال ولا جاه، عراة حفاة كما خُلقوا أول مرة[٣]، وقد خذلهم شركاؤهم[٤]؛ فأي منظر ستراه لِمَن هذا شأنه ولمن قيل له هذا! وأي آيات الفزع والرعب ستبدو على وجوههم!

ومن دلالة السياق على ما حذف كذلك: ما أسلفته الآية الكريمة في جملة الشرط من عظام الذنوب المقتضية عظم الجواب والجزاء وهوله: حيث اختلاق الكذب على الله تعالى[٥]، وادعاء النبوة زورًا[٦]، وادعاء القدرة على إنزال مثل ما أنزل الله من الآيات[٧]!

فإذا كان المعنى المعدول عنه المدلول عليه بالسياق هو: "لرأيت هولًا وعجبًا" ونحوه؛ فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه حذفُه من استشعار عظمه، وأنه أفظع من أن يحيط به وصف موجز.

---

(١) قال تعالى: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

(٢) قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٩٣].

(٣) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

(٤) قال تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

(٥) قال تعالى: ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٩٣].

(٦) قال تعالى: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣].

(٧) قال تعالى: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

◆ وقد اكتنف الاستلزامَ الحواري في الآية الكريمة أساليبُ جمالية عديدة تدعم غرضَه في تعظيم وتهويل هذا المشهد، فمنها: ما صُدرت به الآية من استفهام استنكاري، وفيه يقول الرازي: «اعلم أن أول الآية وهو قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يفيد التخويف العظيم على سبيل الإجمال، وقوله بعد ذلك: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ كالتفصيل لذلك المجمل»[١].

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية: مجيء قوله تعالى: ﴿غَمَرَاتِ﴾ على صيغة الجمع مع جواز وقوع المفرد؛ «مبالغةً في تهويل ما يصيبهم بأنه أصناف من الشدائد، هي لتعدد أشكالها وأحوالها لا يُعبَّر عنها باسم مفرد»[٢].

◆ ومنها: تشبيه سكرات الموت بالغمرات على سبيل الاستعارة بجامع الكثرة والإغراق والتغطية والشدة[٣]؛ تهويلًا لمشهد نزع الظالمين.

📖 قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾[٤].

معنى الآيتين: يأمر الله عز وجل موسى عليه السلام أن يسير ببني إسرائيل ليلًا من مصر، وأن يتخذ طريقا يابسًا في البحر، مطمئنًا بنصر الله، آمنًا من لحاق فرعون وجنوده لهم، فتبعه فرعون وجنوده، فغشيهم من البحر شيء عظيم؛ فكانوا من المغرقين.

---

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (١٣/ ٦٧).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٧/٣٧٧).

(٣) يقول الواحدي: «غمرة كل شيء: كثرته ومعظمه، ومنه غمرة الماء وغمرة الحرب، ويقال: غمره الشيء: إذا علاه وغطاه» التفسير البسيط، ص (٨/ ٢٨٧).

(٤) [طه:٧٧-٧٨].

محل الانزياح: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ﴾.

المعنى الحرفي: فعلاهم من البحر ما علاهم.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كمي بالنقصان، أسلوب ما التعظيمية الموصولة، غرضه التعظيم.

المعنى المعدول عنه: فعلاهم من البحر شيء عظيم.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بحقيقة ما غشي فرعون وجنوده من اليم، إلى إبهامه واستُلزم المقصود من السياق، فـ"ما" اسم موصول جاء ليوضح ماهية الشيء الذي غشيهم (الفاعل) عبر صلته، فإذ بصلته لا تقدِّم توضيحًا إلا إعادة ما جاء "ما" ليوضحه فيما يشبه "الدور"[1]؛ استلزامًا لمعناه من السياق.

وقد لفت إبهامُ الصلة نظرَ كثير من المفسرين وأدركوا ما فيه من تهويل وتعظيم، ولكنهم اختلفوا في طريقة استنباط هذا التهويل والتعظيم: فنقل الواحدي عن محمد بن يزيد الثُّمالي أنه قال: «معناه: غشيهم من اليم ما عرفتم أنه غشيهم»[2]، ثم علق الواحدي عليه بقوله -مستحسِنًا-: «كما قال أبو النجم: "أنا أبو النَّجْم وشِعْري شِعْري"، أي: شعري ما قد عرفتم. وقال سيبويه: من كلام العرب: إن فعلت كذا

---

(١) وممن وقف على هذا "الدور" من المفسرين والغرض المستلزم منه: ابن عاشور إذ يقول: «وقوله ﴿مَا غَشِيَهُمۡ﴾ يفيد ما أفاده قوله ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ﴾ إذ من المعلوم أنهم غشيهم غاشٍ، فتعين أن المقصود منه التهويل». التحرير والتنوير، ص (١٦/٢٧٢).

(٢) التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٤/٤٧٩).

وكذا فأنت أنت، أي: أنت كما تعرف، ويقولون: الناس ناس، أي: هم كما قد عرفتم»[١]. وقال الزمخشري: «﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ من باب الاختصار، ومن جوامع الكلم التي تَسْتَقِلُّ مع قلتها بالمعاني الكثيرة، أى: غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله»[٢].

أما قول الواحدي أن الآية من باب قول أبي النجم: "أنا أبو النجم وشعري شعري"، ففيه نظر، فقول أبي النجم أسلوب بلاغي مختلف، يُجرد فيه من الشيء شيئًا آخر كأنه مشهود له بالصفات المقصودة، فيتنساه، ثم يأتي فيشبه الشيء المراد وصفه بهذا الشيء المجرد منه المتفق سلفًا -زعمًا- على تحليه بهذه الصفات، فقول أبي النجم يعني أن شعره هو شعره الفحل الذي عُرف به، أما الآية الكريمة فلم تسبق معرفة بحقيقة ما غشيهم حتى يُرجع إليه.

وأما قول الزمخشري فليس فيه بيان للمعاني الكثيرة التي ذكرها.

ويبين سياق الآية الكريمة هذه المعاني الكثيرة ذات اللفظ الموجز التي أهمل الزمخشري تفصيلها، والتي أُبهم لفظها في الآية الكريمة وبُثَّت معانيها في سياق الآيات: فالمخاطب يدرك مما قصَّه عليه القرآن على مدار أكثر من سبعين آية من "سورة طه" عظم كفر فرعون وتكذيبه واستكباره، حتى قال الله فيه: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾[٣]، والجزاء بمقدار العمل، فما غشيهم شيء عظيم يكافئ عظم كفر فرعون واستكباره وتكذيبه وعلوه في الأرض وغيره مما قصه القرآن على مدار سبعين آية واستلزمه بهذا اللفظ الموجز؛ تهويلًا لشأنه.

---

(١) التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٤/٤٧٩- ٤٨٠).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٣/ ٧٨).

(٣) [طه: ٥٦].

فإذا كان المعنى المعدول عنه المدلول عليه بالسياق هو: "فعلاهم من البحر شيء عظيم" ونحوه، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه حذفُه من استشعار هوله، وأنه أعظم من أن يحيط بوصفه سوى مَن عاينه.

📖 قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ (١٥) إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦)﴾[١].

معنى الآيات: تؤكد الآيات الكريمة على أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم قد رأى جبريل عليه السلام على هيئته التي خلقه الله عليها مرة أخرى، رآه عند سدرة المنتهى -والسدرة: شجرة النبق العظيمة- التي عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة شيء عظيم.

واختُلف في المراد من قوله: ﴿يَغْشَىٰ﴾، فقيل: يستر، وقيل: من الإتيان، والوجهان محتملان[٢]، كما اختلف في المراد من قوله: ﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ وما الذي ينتهي عند هذه الشجرة العظيمة، فقيل: علم كل عالم من الخلق، وقيل: لانتهاء ما يصعد من تحتها وينزل من فوقها إليها، وقيل غير ذلك[٣]، ولا حجة على تعين أحدهم، والأولى الاقتصار على النص، وهو ما اختاره ابن الطبري بقوله: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن معنى المنتهى الانتهاء»[٤].

محل الانزياح: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾.

---

(١) [النجم: ١٣-١٦].

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ، ص (٢٨/٢٤٥) باختصار.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٢٢/٥١٥).

(٤) السابق.

المعنى الحرفي: إذ يستر السدرة ما يسترها، أو يأتيها من يأتيها.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كمي بالنقصان، أسلوب ما التعظيمية الموصولة، غرضه التعظيم.

المعنى المعدول عنه: إذ يستر السدرة شيء عظيم، أو يأتيها شيء عظيم.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بحقيقة ما يغشى السدرة، إلى إبهامه واستلزام المقصود من السياق، فـ"ما" اسم موصول جاء ليوضح ماهية الشيء الذي غشي السدرة (الفاعل) عبر صلته، فإذ بصلته لا تقدم توضيحًا إلا إعادة ما جاء "ما" ليوضحه؛ استلزامًا لمعناه من السياق.

وقد طلب بعض المفسرين حقيقة ما يغشى السدرةَ (المعنى المعدول عنه) من خارج نص الآية الكريمة، فاختلفوا فيه على أقوال حكاهن ابن جرير الطبري بقوله: «واختلف أهل التأويل في الذي يغشى السدرة، فقال بعضهم: غشيها فراش الذهب. وقال آخرون: الذي غشيها رب العزة وملائكته»[1].

وتوقف فيه آخرون كأبي منصور الماتريدي حيث قال: «لا نفسر ما الذي يغشى السدرة؛ بل نبهم كما أبهم الله تعالى إلا بحديث ثبت عن تواتر، والله

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٢٢/ ٥١٨- ٥١٩) باختصار. وانظر: النكت والعيون، الماوردي، ص (٥/٣٩١-٣٩٢).

أعلم»[1]. وقد بيَّن الألوسي الحكمة من هذا الإبهام بقوله: «وفي إبهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى، فكأن الغاشي أمر لا يحيط به نطاق البيان»[2].

والمنعم النظر في السياق سيقف على حقيقة ما أُبهم (المعنى المعدول عنه)، وهي أنه شيء عظيم جليل، وقد أُودع هذا المعنى في السياق: حيث مشاهد عالم الغيب والملائكة، وعروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلى ومشاهدته عظام الأمور، ورؤيته جبريل عليه السلام على صورته التي خلقها الله عليه وأجنحته العظام عند تلك السدرة العظيمة ذات الظل المديد والطعم اللذيذ والرائحة الذكية[3]، والتي يُنتهى إليها، والتي يغشاها شيء بلا شك هو عظيم جليل عظم السياق الذي وضع فيه والأسلوب الذي دُلَّ به عليه.

فإذا كان المعنى المعدول عنه المدلول عليه بالسياق هو: "يغشى السدرة شيء عظيم" ونحوه، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه حذفُه من استشعار مزيد عظمته وجلاله ومهابته من أن يحيط به بيان.

---

(١) تأويلات أهل السنة=تفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي محمد بن محمد بن محمود (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص (٩/ ٤٢٢-٤٢٣). وانظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢٨/ ٢٤٥).

(٢) روح المعاني، الألوسي، ص (١٤/ ٤٥).

(٣) يقول الماوردي: «السدرة تختص بثلاثة أوصاف: ظل مديد، وطعم لذيذ، ورائحة ذكية». النكت والعيون، ص (٥/ ٣٩٢).

◆ ومن جماليات الاستلزام وإضمار عين ما غشي السدرة في هذه الآية كذلك: بث الشوق في نفوس المخاطبين إلى بلوغ حقيقة المعنى وعين اليقين وما يغشى السدرة حيث جنة المأوى.

📖 قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾[١].

معنى الآيتين: يذكر الله عز وجل في هاتين الآيتين ما أنزله من عذاب على قرى قوم لوط، «وسُميت بذلك لأنها انقلبت، ومنه الإفك لأنه قلب الحق كذبًا»[٢]، إذ رفعها الله إلى السماء فخسف بها إلى الأرض، ثم غطاها شيء عظيم.

محل الانزياح: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ .

المعنى الحرفي: فغطاها الذي غطاها.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كمي بالنقصان، أسلوب ما التعظيمية الموصولة، غرضه التعظيم.

المعنى المعدول عنه: فغطاها شيء عظيم.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بحقيقة ما غشَّى قرى قوم لوط، إلى إبهامه، واستلزام المقصود من السياق، فـ"ما" اسم موصول جاء ليوضح ماهية الشيء الذي غشَّى المؤتفكة (الفاعل) عبر صلته، فإذ بصلته لا تقدم توضيحًا إلا إعادة ما

---

(١) [النجم:٥٣-٥٤].

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (١٠/ ٢٨).

جاء "ما" ليوضحه[١]؛ استلزامًا لمعناه من السياق؛ تعظيمًا وتهويلًا لأمره.

وقيل: «غشَّى قَرَيَات لوط عليه السلام من العذاب ما غشَّى أولئك الذين ذكر من قبل من عاد ومن قوم نوح»[٢]، وعليه فلا انزياح في الآية، وفيه نظر، فإن حقيقة ما غشَّاهم المفصلِ في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾[٣] ينافي حقيقةَ ما أنزله الله من العذاب على مَن سبق ذكرهم في السورة من المهلكين.

وقد دلَّ السياق على المعنى المعدول عنه وهو عظم ما نزل بهم، فمن ذلك: وَسْمُهم بالمؤتفكة، أي: القرى المنقلبة، ووصفُ أول ما نزل بهم من العذاب حيث رُفعوا إلى السماء ثم خسف بهم إلى الأرض، فإذا كان هذا هو أول عذابهم فكيف ستكون نهايته وحقيقة ما غشيهم، لا محالة هو شيء عظيم هائل.

كذلك دل السياق العام للقرآن الكريم على عظم ما نزل بهم، فمن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾[٤].

---

(١) وممن وقف على هذا "الدور" من المفسرين والغرض المستلزم منه: ابن عاشور في تفسيره للآية الكريمة حيث قال: «﴿مَا غَشَّىٰ﴾ فاعل ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾، و"ما" موصولة، وجيء بصلتها من مادة وصيغة الفعل الذي أسند إليها، وذلك لا يفيد خبرًا جديدًا زائدًا على مفاد الفعل. والمقصود منه التهويل، كأن المتكلم أراد أن يبين بالموصول والصلة وصف فاعل الفعل فلم يجد لبيانه أكثر من إعادة الفعل؛ إذ لا يستطاع وصفه». التحرير والتنوير، ص (٢٧/ ١٥٥).

(٢) تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (٩/ ٤٣٨). وانظر: التفسير البسيط، الواحدي، ص (٢١/ ٨٠). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (١٧/ ١٢١).

(٣) [الحجر: ٧٤].

(٤) [الحجر: ٧٤].

- وقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾[(١)].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾[(٢)].
- وقوله تعالى: ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[(٣)].

وقد أوَّلت طائفة من المفسرين قوله تعالى: ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ بأنهم أمطروا حجارة من سجيل مصداقًا لقول الله عز وجل: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾[(٤)]، وفيه نظر، فحتى لو قلنا إن المقصود بما غشيهم ما أمطروا به من حجارة، فهو غير مراد في هذه الآية؛ لأن الآية لم تقله، وإنما المقصود في الآية أن قرى قوم لوط أصابها شيء عظيم هائل، قد يكون هو المعبر عنه في الموضع الآخر بصريح لفظه حيث إمطار الحجارة، وقد لا يكون، وفي كليهما يبقى الاختلاف قائمًا بينهما اختلاف الشيء عن غيره أو اختلاف التصريح بالشيء عن التلويح به.

فإذا كان المعنى المعدول عنه المدلول عليه بالسياق هو: "فغطاها شيء عظيم" ونحوه، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه حذفُه من استشعار عظمه وأنه أفظع من أن يحيط به قول.

---

(١) [الشعراء: ١٧٣].

(٢) [القمر: ٣٤].

(٣) [القمر: ٣٧].

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٢٢/ ٥٥٥). تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (٩/ ٤٣٧). النكت والعيون، الماوردي، ص (٥/ ٤٠٦). التفسير البسيط، الواحدي، ص (٢١/ ٧٩).

◆ ومن جماليات الاستلزام كذلك في هذه الآية الكريمة: ما فيه من ترهيب للمخاطبين مما أصاب قوم لوط من عذاب؛ ردعًا لهم عن إتيان أفعالهم، فإن عدم التصريح بماهية العذاب لهو أفزع في نفوس المخاطبين من التصريح به؛ لأن النفس تذهب فيه كل مذهب.

◆ ومن الجماليات الداعمة لغرض الاستلزام التهويلي: قوله تعالى ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ أي: القرى المقلوبة، فقد جُعل العذاب على القرى ذاتها، وتعليق العذاب بقراهم أشد من تعليقه بهم؛ إذ يوحي بشدته وعظمته حتى إنه ليطول القريةَ نفسها وجماداتها لا أهلها وبشرها فحسب.

◆ ومن تلك الجماليات: تقديم قوله: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ على فعلها؛ تصديرًا لعذابهم وتلويحًا به في صدر الجملة.

◆ ومنها أيضًا: ما في الفعل ﴿غَشَّىٰ﴾ من تضعيف يشي بالمبالغة في عذابهم.

📖 قال تعالى: ﴿ٱلْحَاقَّةُ ① مَا ٱلْحَاقَّةُ ② وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ③﴾[1].

معنى الآيات: يقول البيضاوي: «﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾أي: الساعة أو الحالة التي تقع فيها حواق الأمور من الحساب والجزاء، وهي مبتدأ، خبرها: ﴿مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾، أي: أي شيء هي، على التعظيم لشأنها والتهويل لها، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ③﴾ وأي شيء أعلمك ما هي، أي: أنك لا تعلم كنهها، فإنها أعظم من أن تبلغها دراية أحد»[2].

محل الانزياح: ﴿ٱلْحَاقَّةُ ① مَا ٱلْحَاقَّةُ ②﴾.

---

(١) [الحاقة: ١-٣].

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل= تفسير البيضاوي، البيضاوي أبو سعيد عبد الله بن عمر ناصر الدين (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ص (٥/٢٣٩).

المعنى الحرفي: أي شيء هي الحاقة؟

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كمي بالنقصان، أسلوب ما التعظيمية الاستفهامية، غرضه التعظيم.

المعنى المعدول عنه: الحاقة أمر عظيم.

المعنى المستلزم وجمالياته:

• عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بحقيقة الحاقة بلفظه المباشر، إلى إبهامها والاستفهام عنها فحسب، واستُلزم المقصود من السياق؛ تعظيمًا وتهويلًا لشأنها.

وقد دل السياق على المعنى المعدول عنه المحذوف، وهو أن الساعة التي تقع فيها حواق الأمور من الحساب والجزاء أمر عظيم، إذ أخذت السورة بعد آية الحاقة تبين ما حاق بأهل القرون الأولى عاد وثمود وفرعون وقوم نوح من عظيم العقاب والهلاك يوم حقَّت حاقتُهم، ثم خُتم المقطع ببيان عظم الحاقة الكبري حيث انقسام الناس إلى فريقين: فريق يُؤتى كتابه بيمينه وهم أصحاب الجنة، وفريق يُؤتى كتابه بشماله وهم أصحاب النار.

فإذا كان المعنى المعدول عنه المدلول عليه بالسياق هو: "الحاقة أمر عظيم" ونحوه، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه حذفُه من استشعار عظم هذه الحاقة يوم يشيب الولدان وتضع كل ذات حمل حملها، فأنى لوصف أن يحيط بهذه المعاني!

• وكون المرادِ من ﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾ الساعةَ التي يلاقي فيه العبد الجزاء سواء أكانت قيامة العبد بموته أم القيامة الكبرى؛ هو الأنسب للسياق ولغرضه التهويلي، ونصُّ كثير

من المفسرين على أن المراد هو يوم القيامة تحديدًا[١]، ونقلُ الواحدي والرازي الإجماع عليه[٢]؛ لا ينافي أن يدخل معه موت العبد بدلالة حديث عائشة رضي الله عنها، «قالت: كان رجال من الأعراب جفاة يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: **إنْ يَعِشْ هذا لا يُدْرِكْهُ الهَرَمُ حتى تقومَ عليكم ساعتُكم**. قال هشام -أحد الرواة-: يعني موتهم»[٣].

ويشهد لهذا التفسير كذلك قولُ ابن جرير الطبري: «الساعة (الحاقة) التي تحق فيها الأمور، ويجب فيها الجزاء على الأعمال»[٤].

---

(١) انظر: تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (١٠/ ١٦٣). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (١٨/ ٢٥٧). تفسير القرآن العظيم=تفسير ابن كثير، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص (٨/ ٢٠٨).

(٢) انظر: التفسير البسيط، الواحدي، ص (٢٢/ ١٢٧). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٣٠/٦٢٠).

(٣) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه= صحيح البخاري، البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن الطبعة السلطانية المطبوعة سنة ١٣١٢هـ، بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي)، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ح (٦٥١١). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم= صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ح (٢٩٥٢).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٢٣/٥٦٦). وانظر: النكت والعيون، الماوردي، ص (٦/٧٥).

◆ ومن جماليات الاستلزام الحواري في الآية الكريمة: ما في إبهام "الحاقة" من مناسبة لاختلاف الحواق: فالسابقون بالخيرات يختلف حالُهم يومَ حاقتهم، عن الظالمي أنفسهم وكذلك المقتصدين، والحاقة عليهم جميعًا عظيمة، ولكن شتان بين حال كل منهم، وكأن في الآية دعوة لكل مخاطب أن ينظر في حاله ليجيب عن هذا الاستفهام ويُبيِّن عن خبره ثم خبر الآية.

◆ والمتتبع لأسلوب ما التعظيمية الاستفهامية في القرآن الكريم سيجد أن الآيات فيه على ثلاثة أضرب: إما الاستلزام والتلويح بالمعنى، أو التصريح بالمعنى عقب الاستفهام، أو الجمع بينهما. وفيه تنوع بديع في إيصال المعاني: فمرة يأتيك المعنى مباشرة، ومرة ضمنيًّا، وأخرى يجمع لك بينهما:

– أما الاستلزام والتلويح بالمعنى فمثل آية الحاقة السابقة، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝٨﴾[2]، ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩﴾[3].

– وأما التصريح بالمعنى فقوله تعالى: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾ الآيات[4]؛ إذ وصف الله تعالى المقصود بالقارعة ووصف ما يكون فيه من

---

(١) [المرسلات: ١١-١٤].

(٢) [المطففين: ٧-٨].

(٣) [المطففين: ١٨-١٩].

(٤) [القارعة: ١-١١].

أهوال وأمور عظام، فالتهويل هنا مكتسب بطريق مباشر من اللفظ، بينما عُبر عنه في سورة الحاقة بطريق غير مباشر. ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾[(٥)].

- وأما الجمع بين استلزام المعنى والتصريح به فقوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾[(٦)]؛ ثم أعيدت الآيتين بلفظ قريب مقرونة ببيان حالهم ومآلهم، قال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ الآيات[(٧)]، وقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ الآيات[(٨)].

---

(١) [المدثر: ٢٤-٣٠].

(٢) [الطارق: ١-٣].

(٣) [البلد: ١١-١٧].

(٤) [القدر: ١-٥].

(٥) [القارعة: ٨-١١].

(٦) [القارعة: ٨-٩].

(٧) [القارعة: ٢٧-٤٠].

(٨) [القارعة: ٤١-٥٦].

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦) كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ (٧) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ (٨)﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩)﴾ (٢).

معنى الآيات: تتوعد الآيات الكريمة بالعذاب الشديد المطففين الذين إذا اشتروا من الناس استوفوا منهم حقهم في المكيال، وإذا باعوهم بخسوهم مكيالهم وميزانهم، ألا يظن أولئك المطففون أنهم مبعوثون في يوم عظيم فمجازون على أعمالهم هذه، يوم يقوم الناس من أجداثهم لرب العالمين، كلا إن كتاب الفجار المسجل فيه أعمالهم وفجورهم لفي سجين، وأي شيء عظيم هو سجين.

محل الانزياح: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ (٨)﴾، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩)﴾.

المعنى الحرفي: «وأي شيء أدراك يا محمد أي شيء ذلك الكتاب»(٣)، «وأي شيء أشعرك يا محمد ما عليون»(٤).

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كمي بالنقصان، أسلوب ما التعظيمية الاستفهامية، غرضه التعظيم.

المعنى المعدول عنه: إن شأن سجين وعليين لعظيم.

---

(١) [المطففين: ١-٨].

(٢) [المطففين: ١٨-١٩].

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٢٤/ ٢٨٥).

(٤) السابق، ص (٢٤/٢٩٤).

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بعظم سجين وعليين بلفظ مباشر، إلى إبهام حقيقتهما والاستفهام عنهما فحسب، واستلزام المقصود من السياق؛ تعظيمًا لشأنهما.

وقد اختلف المفسرون في المراد من قوله تعالى: ﴿سِجِّينٌ﴾ على قولين حكاهما فخر الدين الرازي بقوله: «الأول -وهو قول جمهور المفسرين-: أنه اسم علم على شيء معين، ثم اختلفوا فيه: فالأكثرون على أنه الأرض السابعة السفلى، وقيل: أسفل سبع أرضين، وقيل: سجين جُب في جهنم، وقيل: صخرة تحت الأرض السابعة. القول الثاني: أنه مشتق، وسُمِّي سجينًا فعيلًا من السجن، وهو الحبس والتضييق، كما يقال: فسيق من الفسق»[(١)].

وكذلك اختلفوا في المراد من قوله: ﴿عِلِّيُّونَ﴾ على أقوال جمعها أبو الحسن الماوردي في قوله: «﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ فيه خمسة أقاويل: أحدها: أن عليين الجنة، الثاني: السماء السابعة، الثالث: قائمة العرش اليمنى، الرابع: يعني في علو وصعود إلى الله تعالى، الخامس: سدرة المنتهى، ويحتمل سادسًا: أن يصفه بذلك لأنه يحل من القبول محلًّا عاليًا»[(٢)].

وتحقيق هذا الخلاف أن المعنى المعدول عنه والمحذوف هو "إن شأن سجين وعليين لعظيم" ونحوه، دون تخصيصه بمعنى محدد، فهكذا أطلقه القرآن الكريم، وتقييده بمعنى دون آخر يحتاج إلى دليل سماعي ثابت. وقد دل السياق على هذا المعنى المعدول عنه، فالمتدبر في سياق الآيات الكريمة سيجد أنها افتُتحت بتوعد

---

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٣١/ ٨٦) باختصار وتصرف يسير.

(٢) النكت والعيون، الماوردي، ص (٦/ ٢٢٩) باختصار.

المطففين[١]، لقبح فعلهم في بخس الموازين[٢]، ثم بينت الآيات أن سبب فعلهم هذا عدم إيمانهم بيوم يحاسبون فيه على هذه الأعمال[٣]، وإنهم لمخطئون[٤]، فأعمالهم القبيحة مسجلة في صحيفة أعمالهم وكتابهم[٥]، وإن هذا الكتاب ليقبع في مكان مهول يكافئ قبح أفعالهم وفجورهم[٦]. ولتتخيل كل نفس ماذا سيكون عليه هذا المكان الذي يستحقه كتاب هؤلاء الفجار المرقومة فيه أعمالهم المذكورة وتكذيبهم وكفرهم! فلئن اختُلف في تأويله فسيُتفق على أنه أقبح مكان يمكن أن تتخيله نفس يليق بقبيح أفعال الفجار المكذبين الكفرة، فالجزاء من جنس العمل، والعمل مرقوم في كتاب قابع في مكان من جنس عملهم.

وكذلك "عليون" حيث كتاب المؤمنين الأبرار استُلزم معناه وبُثَّ في السياق ليستنبطه المخاطب، فهو مكان عظيم يليق بأعمال هؤلاء المؤمنين الخيِّرة[٧]، تحضره الملائكة المقربون[٨]، ويتنعم فيه أهله[٩]، فترى عليهم آثار البهجة والنعمة[١٠]،

---

(١) قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١].

(٢) قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [المطففين: ٢-٣].

(٣) قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٤-٦].

(٤) قال تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ [المطففين: ٧].

(٥) قال تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧].

(٦) قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ [المطففين: ٨].

(٧) قال تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [المطففين: ١٨].

(٨) قال تعالى: ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين: ٢١].

(٩) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: ٢٢-٢٣].

(١٠) قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين: ٢٤].

ويسقون فيه من خمر الجنة(١).

فإذا كان المعنى المعدول عنه المدلول عليه بالسياق هو: "إن شأن سجين وعليين لعظيم" ونحوه، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه حذفُه من استشعار عظمه وأنه أكبر من أن يحيط به خبر.

📖 ومن شواهد هذا الغرض في القرآن الكريم:

- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾(٢).
- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(٣).
- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(٤).
- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾(٥).
- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾(٦).

---

(١) قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٥-٢٦].

(٢) [الأنفال: ٥٠].

(٣) [السجدة: ١٢].

(٤) [سبأ: ٣١].

(٥) [سبأ: ٥١].

(٦) [النجم: ٨-١٠].

المطلب الثاني: التكثير

من أغراض الانزياح الكمي بالنقصان في القرآن الكريم: التكثير[١]، والمقصود من الانزياح الكمي بغرض التكثير: العدول عن ذكر الشيء واستلزام معناه من السياق؛ تعديدًا لمعانيه، فإن التصريح يقتضي حَدَّ المعنى باللفظ المذكور، بينما التلويح يفتح الباب للتعدد، وهو ليس تعددًا مطلقًا، ولا بالذي يخضع لسلطة القارئ والمخاطب، وإنما هو تعدد مقيد بدلالات السياق وما وُضع فيه من إشارات.

ومن شواهد هذا الغرض في القرآن العظيم ما يلي:

---

(١) من الدراسات التي اعتمدت هذا المصطلح بعدِّه أحد أغراض الحذف: أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، د. مصطفى شاهر مخلوف، دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص (١٧١). أسلوب الحذف وأثره على المعنى نماذج من قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م، ص (٢٢).

بينما استخدم آخرون مصطلح "تعدد المعنى" للدلالة على المعنى نفسه، ومن ذلك: تعدد المعنى في النص القرآني (دراسة دلالية في تفسير مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي "ت٦٠٦هـ")، إيهاب سعيد النجمي، رسالة ماجستير، جامعة المنوفية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٥م، ص (١). وقد آثر البحث الاصطلاح الأول؛ لما في الثاني من اختلاط بمدولات أخرى، مثل المشترك اللفظي والمحتمل، وغيره من المدولات التي سردها البحث السابق.

📖 قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾(١).

معنى الآيتين: تبين الآيتان الكريمتان إحدى الصفات الذميمة لطائفة من المنافقين حيث يعيبون قسمة النبي صلى الله عليه وسلم للصدقات، فإذا أُعطوا لم يسخطوا، وإلَّا غضبوا، ولو أنهم رضوا بقسمة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لهم، وقالوا: إن الله كافينا وسيعطينا الله من فضله؛ لأتتهم نعم كثيرة وخيرات عديدة.

محل الانزياح: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾.

المعنى الحرفي: ولو أنهم رضوا بقسمة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لهم، وقالوا: إن الله كافينا وسيعطينا الله من فضله.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كمي بالنقصان، أسلوب حذف جواب الشرط، غرضه التكثير.

المعنى المعدول عنه: ولو أنهم رضوا بقسمة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لهم، وقالوا: إن الله كافينا وسيعطينا الله من فضله؛ لأتتهم نعم كثيرة.

---

(١) [التوبة: ٥٨-٥٩].

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن ذكر جواب "لو"، إلى حذفه، واستُلزم المقصود من السياق؛ تكثيرًا لمعانيه.

وقد اختلف المفسرون في جواب الشرط في الآية الكريمة على قولين رئيسين:

القول الأول: أن الجواب مذكور في الآية، وفيه قال السمين الحلبي: «وقيل: جوابها ﴿وَقَالُوا﴾ والواو مزيدة، وهذا مذهب الكوفيين»[(١)]. وهو قول ضعيف مرجعه جواز زيادة الواو العاطفة عند الكوفيين خلافًا للجمهور، وقد فنَّد أبو البركات الأنباري حجتهم فيه[(٢)]، ثم إن السياق في هذه الآية خاصة يأبى قولهم كما سيأتي بيانه، ولم أقف على مَن قال بقولهم في هذه الآية من المفسرين، إلا من نقل قولهم مضعِّفًا له بصيغة التمريض "قيل" كما في قول السمين الحلبي السابق، أو مستهجنًا له بأنه ليس بشيء كما ذكره الألوسي[(٣)].

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ص (٦/ ٧٢).

(٢) انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله الأنصاري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص (٢/ ٣٧٤-٣٧٨).

(٣) انظر: روح المعاني، الألوسي، ص (٥/ ٣١٠).

القول الثاني: أن الجواب محذوف، وهو قول جلِّ المفسرين، وقد ذهبوا -فيما وقفت عليه- في طلب جواب "لو" مذهبَ الإجمال، فأجملوا معاني الجواب المحذوف في كلمة جامعة هي: "لكان ذلك خيرًا لهم" ونحوها[١].

وإذا كان الجواب قد حُذف فلا شك أن معناه مبثوث في السياق، والمنعم النظر في سياق القرآن الكريم العام سيجد أن جزاء الرضا بما قسمه الله عز وجل قد فُصِّل فيه أتم التفصيل: فمن جزائهم الدنيوي: أن الله يرشد أصحابه إلى طرق السلامة، ويخرجهم من ظلمات المعصية إلى نور الإيمان، ويهديهم إلى طريق النجاة

---

(١) انظر: تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (٥/ ٣٩٢). التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٠/ ٥٠١). معالم التنزيل في تفسير القرآن=تفسير البغوي، البغوي محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص (٤/٦١). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٢/ ٢٨٢). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (٣/ ٤٧). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (١٦/ ٧٦). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٨/ ١٦٧). التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم محمد بن أحمد الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ص (١/ ٣٤٠). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٥/ ٤٣٩). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ص (٦/ ٧٢). اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل أبو حفص سراج الدين عمر بن علي (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص (١٠/١٢١). فتح القدير، الشوكاني، ص (٢/ ٤٢٤). روح المعاني، الألوسي، ص (٥/ ٣١٠).

والفلاح[(١)]، وينجيهم من مكايد الناس[(٢)]، وأن الله بهم لرؤوف رحيم[(٣)]. ومن جزائهم الأخروي: خلودهم في جنات تجري من تحتها الأنهار[(٤)].

فإذا كان المعنى المعدول عنه المدلول عليه بالسياق هو تلك الجزاءات القلبية والدنيوية والأخروية، فإن المعنى المستلزم يتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه حذفُه من بيان كثرة هذه الخيرات وتنوعها.

◆ ولقد أكَّدت جملةُ الشرط على ما في الجواب المحذوف من تعدد وكثرة سواء في معناه أو في حذفه، فإن تعدد الشرط وتنوعه يوحي بكثرة الجزاء وتنوعه كذلك، أما تنوع الشرط فقد اشترطت عليهم الآية حتى يتحصلوا على جزائها الوفير أن يتحلوا بأربعة مقامات بيَّنها أبو حيان الأندلسي -ملخِّصًا ما ذكره فخرُ الدين الرازي- بقوله: «أولًا: مقام الرضا وهو فعل قلبي يصدر عمن علم أنه تعالى منزه عن العتب والخطأ عليم بالعواقب، فكل قضائه صواب وحق، لا اعتراض عليه[(٥)]. ثم ثنى بإظهار

---

(١) قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦)﴾ [المائدة:١٦].

(٢) قال تعالى: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)﴾ [آل عمران:١٧٤].

(٣) قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)﴾ [البقرة:٢٠٧].

(٤) قال تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾ [البينة:٨].

(٥) قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٥٩].

آثار الوصف القلبي وهو الإقرار باللسان، فحسبنا ما رضي به[١]. ثم أتى ثالثًا بأنه تعالى ما داموا في الحياة الدنيا مادٌّ لهم بنعمه وإحسانه[٢]، فهو إخبار حسن إذ ما من مؤمن إلا ونعم الله مترادفة عليه حالًا ومآلًا إما في الدنيا وأما في الآخرة. ثم أتى رابعًا بالجملة المقتضية الالتجاء إلى الله لا إلى غيره، والرغبة إليه[٣]، فلا يطلب بالإيمان أخذ الأموال والرئاسة في الدنيا»[٤].

📖 قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[٥].

معنى الآية: يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة جزاء أهل التقوى بعد أن ذكر في الآيات السابقة عاقبة أهل الكفر، إذ يُحَثُّ أهل التقوى على الإسراع إلى الجنة جماعةً جماعةً، حتى إذا وصلوا إليها وقد فُتحت أبوابها وتلقتهم خزنة الجنة من الملائكة بالسلام والبشارة؛ رأوا من الخير والسعادة شيئًا كثيرًا.

محل الانزياح: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾.

---

(١) قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٥٩].

(٢) قال تعالى: ﴿سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [التوبة: ٥٩].

(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩].

(٤) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٥/ ٤٤٠). وانظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (١٦/ ٧٦).

(٥) [الزمر: ٧٣].

المعنى الحرفي: حتى إذا وصلوا إليها وقد فُتحت أبوابها وتلقتهم خزنة الجنة من الملائكة بالسلام والبشارة.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كمي بالنقصان، أسلوب حذف جواب الشرط، غرضه التكثير.

المعنى المعدول عنه: حتى إذا وصلوا إليها وقد فتحت أبوابها وتلقتهم خزنة الجنة من الملائكة بالسلام والبشارة؛ رأوا من الخير والسعادة شيئًا كثيرًا.

المعنى المستلزم وجمالياته:

- عُدل في الآية الكريمة عن ذكر جواب الشرط، إلى حذفه واستلزام معناه من السياق؛ تكثيرًا لمعانيه.

وقد اختلف المفسرون في جواب الشرط في الآية الكريمة على قولين رئيسين:

القول الأول: أن الجواب مذكور في الآية، وهو مذهب الكوفيين الذين يقولون بجواز زيادة الواو العاطفة لاسيما في جواب الشرط، وهو مذهب ضعيف(١)، وقد سبق بيانه(٢)، بل وإن قلنا بمذهب الكوفيين فهو في هذه الآية بعينها مرجوح؛ ولذلك قال الأخفش الأوسط -وهو من القائلين بزيادة الواو العاطفة- بعد أن ساق القول

---

(١) انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري ص (٢/ ٣٧٤-٣٧٨). معاني القرآن وإعرابه، الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (المتوفى:٣١١هـ)، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص (٤/ ٣٦٣-٣٦٤).

(٢) انظر: ص (١٣٩) من هذا البحث.

بزيادة الواو: «وإضمار الخبر أحسن في الآية»(١).

ومن الشُّبه التي حسَّنت هذا القول مجيء هذه الآية التي تبين جزاء أهل الجنة مناظِرةً ومقابِلةً للآية التي هي في عاقبة أهل النار والتي سبقتها، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ الآية(٢)، فلما كان جوابها مذكورًا وهو قوله تعالى: ﴿فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ قيل: فكذلك جواب آية أهل الجنة هو فتح الأبواب، والواو العاطفة المقترنة به زائدة.

وفي قياسهم نظر؛ فإن لكل من ثبوت الواو العاطفة في آية أهل الجنة وحذفها في آية أهل النار نكتة مختلفة، «فقد دلَّت الواو في ﴿وَفُتِحَتۡ﴾ أن الجنة كانت مفتحة لهم الأبواب قبل أن يجيئوها، ودل حذف الواو في قصة أهل النار من ﴿فُتِحَتۡ﴾ أنها مغلقة قبل أن يجيئوها ففتحت عند مجيئهم»(٣).

ثم إن في كون أبواب الجنة مفتحة قبل مجيء أهلها دون أبواب النار لطائف ونكتًا أجملها ابن الجوزي في ثلاثة وجوه: «أحدها: أن أهل الجنة جاؤوها وقد فُتحت أبوابها ليستعجلوا السرور والفرح إذا رأوا الأبواب مفتحة، وأهل النار يأتونها وأبوابها

---

(١) معاني القرآن، الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة (المتوفى: ٢١٥هـ)، تحقيق: د.هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص (٢/ ٤٩٦).

(٢) [الزمر: ٧١].

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب أبو محمد حَمّوش بن محمد القيرواني (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة، إشراف: د.الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص (١٠/٦٣٩٠).

مغلقة ليكون أشد لحرها. والثاني: أن الوقوف على الباب المغلق نوع ذل، فصِين أهل الجنة عنه، وجُعل في حق أهل النار. والثالث: أنه لو وجد أهل الجنة بابها مغلقًا لأثَّر انتظارُ فتحه في كمال الكرم، ومن كمال الكرم غلق باب النار إلى حين مجيء أهلها؛ لأن الكريم يعجِّل المثوبة، ويؤخِّر العقوبة»(١).

القول الثاني: أن الجواب محذوف، وهو قول جلِّ المفسرين، وقد اختلفوا في تقديره على ثلاثة مذاهب: الأول: حتى إذا جاؤوها سعدوا، والثاني: حتى إذا جاؤوها دخلوها(٢). والثالث: التوقف في التقدير لكونه لا يحيط به وصف، وهو مذهب الزمخشري حيث قال: «وإنما حُذف لأنه صفة ثواب أهل الجنة، فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف»(٣).

وإذا كان جواب الشرط قد حُذف فإن معناه مفهوم من السياق، فقد تواتر في القرآن والكريم بيان ما يراه المؤمنون في الجنة -بعد أن يأذن الله عز وجل لهم بدخولها- من نعيمها وأوصافها وريحها وطيبها، فمن ذلك: ما فيها من أنهار عذبة غير راكدة، وأنهار من لبن حلو طعمه، وأنهار من خمر لذيذة المشرب، وأنهار من عسل مصفى

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ص (٤/ ٢٧) باختصار.

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (٤/ ٥٤٣). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (١٥/ ٢٨٥). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٩/ ٢٢٥).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٤/ ١٤٧). وتبعه فخر الدين الرازي فقال: «والمقصود من الحذف أن يدل على أنه بلغ في الكمال إلى حيث لا يمكن ذكره» مفاتيح الغيب، ص (٢٧/ ٤٨٠).

من الشوائب[1]، وقد كتب الله للمؤمنين الخلود فيها، فزُوجوا من حور العين، ويظلهم ظل كثيف ممتد[2]، ويتزينون فيها بأساور الذهب، ويلبسون ثيابًا خضراء من أنواع الحرير المختلفة، متكئين على الأسرة منعمين[3]، ويطوف عليهم ولدان لا يشيبون تحسبهم لفرط حسنهم كاللؤلؤ المنثور[4] بآنية من ذهب، ولهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين[5]، ودعاؤهم في الجنة تسبيح الله وتحيتهم سلام، وآخر دعاؤهم حمد الله رب العالمين[6].

فإذا كان المعنى المعدول عنه المدلول عليه بالسياق هو ذلكم النعيم الكثير، فإن المعنى المستلزم يتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه حذفُه من بيان كثرته عن أن يحيط به وصف في الحياة الدنيا.

---

(١) قال الله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد:١٥].

(٢) قال الله تعالى: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء:٥٧].

(٣) قال الله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف:٣١].

(٤) قال الله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ١٩﴾ [الإنسان:١٩].

(٥) قال الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف:٧١].

(٦) قال الله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠].

◆ ومما يدعم غرضَ الاستلزام الحواري في الآية الكريمة (التكثير): ما في جملة الشرط من تركيب وحفاوة يقتضي تعدد الجواب وكثرة حفاوته: فقد رُكبت جملة الشرط في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ من ثلاث جمل: مجيئهم، وفتح الأبواب، وسلام الخزنة عليهم وبشارتهم. كما ظهر في جملة الشرط حفاوة الملائكة حيث ترحيبهم بهم وتبشيرهم بطيب مقامهم، فإذا كان هذا قبل دخولهم، فكيف يكون الشأن بعد دخولهم (جواب الشرط)!

المطلب الثالث: الذم

من أغراض الانزياح الكمي بالنقصان في القرآن الكريم: الذم، والمقصود من الانزياح الكمي بغرض الذم: العدول عن ذكر الشيء واستلزام معناه من السياق؛ تقبيحًا له، وكأن الألسن تعف عن ذكره لقبحه.

ومن شواهد هذا الغرض في القرآن العظيم ما يلي:

📖 قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾[(١)].

معنى الآية: جاءت هذه الآية الكريمة في معرض الحديث عن قصة يوسف عليه السلام وإخوته، إذ اجتمعوا للتشاور فيما سيفعلونه بيوسف عليه السلام: القتل أو الإلقاء في البئر، فلما أخذوه من أبيه بحيلة وأجمعوا على إلقائه في قعر البئر فعلوا به ذلك، وأوحى الله إلى يوسف عليه السلام لتخبرنهم بشأنهم هذا وهم لا يشعرون بك.

محل الانزياح: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾.

المعنى الحرفي: فلما ذهبوا بيوسف عليه السلام وأجمعوا على إلقائه في قعر البئر.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كمي بالنقصان، أسلوب حذف جواب الشرط، غرضه الذم.

---

(١) [يوسف: ١٥].

المعنى المعدول عنه: فلما ذهبوا بيوسف وأجمعوا على إلقائه في قعر البئر فعلوا به ما فعلوا من الأذى.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن ذكر جواب "لما"، إلى حذفه، واستلزام المقصود من السياق.

وقد اختلف المفسرون في جواب الشرط على قولين:

القـول الأول: أن الجـواب مـذكور في الآيـة الكريمـة، ثم ذهبـوا فيـه مـذهبين: المذهب الأول: قول الكوفيين ومن تبعهم من المفسرين[١] بزيادة الواو العاطفة في قوله ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ﴾ ليكون الجواب هو "أجمعوا"، وقد سبق الرد على هذا القول[٢]، ولكن ما يلفت النظر في هذا القول دون سابقَيه أن بعضًا من المفسرين الذي قالوا بالحذف في مشـابهات هـذه الآيـة كالآيـة الـتي تناولناهـا آنفًـا ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[٣]؛ قالوا في هذه الآية بقول الكوفيين ولم يطردوا قولهم، ولعلهم تبعوا في ذلك إمام المفسرين ابن جرير الطبري حيث اختار قول الكوفيين في هذه الآية[٤].

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٥/ ٥٧٤). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (٥/ ٣٥١٥). معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ص (٤/ ٢٢١).

(٢) انظر: ص (١٣٩) من هذا البحث.

(٣) [التوبة: ٥٨-٥٩].

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٥/ ٥٧٤).

المذهب الثاني: أن الجواب هو قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾[١]، وهو بعيد، والمعنى يأباه، فلا علاقة بين جملة الشرط وما زُعم أنه الجواب؛ ولهذا قال فيه السمين الحلبي: «وهذا فيه بعد؛ لبعد الكلام من بعضه»[٢].

القول الثاني: أن جواب الشرط محذوف، واختلفوا في تقديره على وجوه: أحدها: أن تقديره: عظمت فتنتهم، أو كبُر ما قصدوا[٣]، الثاني: جعلوه فيها[٤]. الثالث: عَرَّفناه وأوصلنا إليه الطمأنينة[٥]. الرابع -وهو قول الزمخشري-: فعلوا به ما فعلوا من الأذى[٦].

وإذا كان جواب الشرط في الآية الكريمة قد حُذف فإن معناه مفهوم من السياق، ولعل أقرب تقديرات المفسرين إلى السياق قول الزمخشري، أما التقدير الثاني (جعلوه فيها) فإن المعنى بناء عليه: فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب جعلوه فيه، ولا فائدة فيه، فإجماعهم على أن يجعلوه في غيابت الجب يقتضي أنهم

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٩/ ١٤٢).

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ص (٦/ ٤٥٣).

(٣) انظر: التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٢/ ٤١). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٩/ ١٤٢).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (١٨/ ٤٢٧). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٦/ ٢٤٨). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ص (٦/٤٥٣). فتح القدير، الشوكاني، ص (٣/١٣).

(٥) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ص (٦/ ٤٥٣).

(٦) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٢/ ٤٤٩).

جعلوه فيه، فلا فائدة من ذكره. وأما التقدير الثالث (عَرَّفناه وأوصلنا إليه الطمأنينة) فمذكور في الآية في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾، فما الفائدة من جعله جوابًا محذوفًا ثم تكراره بذكره! ولو قال أصحاب هذا الوجه بزيادة الواو العاطفة في قوله ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ﴾ وأن الجواب جملة "أوحينا" -رغم ضعفه صناعةً أيضًا- لكان أسلم لهم من قولهم. وأما التقدير الأول (عظمت فتنتهم) فمرده إلى قول الزمخشري، فإن ما فعلوه به من أذى لم يتفقوا عليه من قبل، فهو إذن أكبر مما قصدوه وأجمعوا عليه.

ولقد أصاب الزمخشريُّ بقوله غرضَ الاستلزام بدقة، فإن ما فعلوه به من الأذى كان أمرًا مروعًا أعرض القرآن الكريم عن ذكره لقبحه ودمامته وأذاه، فقد روى الطبري وغيره -من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب- ما يبين ما أصاب يوسف عليه السلام من الأذى والضرب والسب على يد إخوته قبل إلقائه في الجب[1]؛ ولذلك عقب الزمخشري على قوله بذكر هذه الروايات رغم طولها[2].

ولئن أغفلنا هذه الروايات فإن السياق ليشهد بهذا الاستلزام وغرضه، فإنه لا خلاف على أن المحذوف فعلٌ لإخوة يوسف لما كان الشرطُ فعلَهم، فإذا كان فعل الشرط أنهم ذهبوا بيوسف بحيلة خبيثة على أبيه، وأنهم أجمعوا على إلقائه في ظلمات البئر بعد ترددهم في قتلهم؛ فما الظن بجواب هذا الشرط؟ لا شك أنه قبيح مذموم وإن لم يُصرَّح به.

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٥/٥٧٤). تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، ابن أبي حاتم الرازي أبو محمد عبد الرحمن (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ، ح (١١٣٧٦).

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٢/ ٤٤٩).

فإذا كان المعنى المعدول عنه المدلول عليه بالسياق هو ما فعلوه به من أذى، فإن المعنى المستلزم يتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه حذفُه من ذمه وتقبيحه حتى إن الألسن لتعف عن ذكره.

◆ ومن جماليات الاستلزام الحواري في الآية وحذف الجواب: صيانة جناب يوسف عليه السلام مِن ذكر ما تعرَّض له من أذية وسبٍّ وهو لا يزال فتى صغير السن، وأما ما ذُكر في القرآن الكريم من أذية الأنبياء وما نزل بهم من أقوامهم فلم يتعرضوا له إلا وهم رجال قد بلغوا أشدهم، على العكس من يوسف الصبي؛ لذلك أعرض القرآن الكريم عن بيان هذه الأذية، والله أعلم.

📖 قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

معنى الآية: تُسفِّه الآيةُ الكريمة من عقول هؤلاء المشركين الذين ساوَوا بين الله «المتولي أمور خلقه وتدبير أرزاقهم وآجالهم وإحصاء أعمالهم وجزائهم»[2]، وبين من ليس كذلك من أصنامهم وشركائهم، فليسموا شركاءهم إن كانوا صادقين! أم يخبرون الله بما لا يعلم في الأرض! أم بباطل وزور! بل زُين لهم مكرهم وصُدُّوا عن سبيل الله، ومن يضلله الله فلن تجد له مرشدًا.

---

(١) [الرعد:٣٣].

(٢) التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٢/٣٥٨) بتصرف.

محل الانزياح: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾.

المعنى الحرفي: أفمن هو متولٍّ لأمور خلقه مدبِّرٌ لشئونهم.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كمي بالنقصان، أسلوب حذف المعادل في الجملة الاستفهامية، غرضه الذم.

المعنى المعدول عنه: أفمن هو متولٍّ لأمور خلقه مدبِّرٌ لشئونهم كمن ليس كذلك.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن ذكر الخبر المعادل، إلى حذفه، واستلزام المقصود من السياق.

وقد اتفق عامة المفسرين على كون الخبر المعادل محذوفًا، ثم اختلفوا في تقديره على وجوه: أحدها: إجماله في قولهم: "كمن ليس كذلك"[1]. الثاني: استنباطه من الجملة التالية ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ فقالوا: "كشركائهم"[2]. الثالث: تفصيله بمقابل بعض معانيه التي وردت في الطرف الأول من المقابلة، كتقديره بقولهم: «كمن هو هالك بائد، لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم شيئًا، ولا يدفع عن نفسه ولا عمَّن يعبده ضرًّا،

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٢/٥٣١-٥٣٢). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (١٩/ ٤٤). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ص (٣/ ١٨٩).

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (٥/ ٣٧٤٤). زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ص (٢/ ٤٩٧).

ولا يجلب إليهما نفعًا؟ كلاهما سواء؟»(١).

والمعنى على كل الوجوه واحد، وهو نفي مماثلة الله القائم على كل نفس بما كسبت لشركائهم الذين لا يملكون من هذه الصفات مثقال ذرة. وإنما اختلفت عبارات المفسرين لما في صفة الله القيوم من معانٍ عظيمة وكثيرة أجملها بعضُهم، وفصَّل آخرون بعضًا من معانيها.

وقد جاء السياق موضِّحًا للمعنى المعدول عنه (الخبر المحذوف) من وجوه عدة:

أحدها: بنية جملة الاستفهام القائمة على نفي المعادلة بين صفات طرفين متقابلة، فإذا صُرّح بصفات أحد الطرفين اقتضى نفيها عن الطرف الآخر، فلما صُرّح في الآية الكريمة بصفات القيومية لله تعالى اقتضى ذلك نفيها عن آلهة المشركين.

الثاني: اتْباع الجملة بما يوحي بهذا المحذوف، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾، ولذلك قدَّر بعض المفسرين الجواب بقولهم -كما سلف ذكره-: "كشركائهم".

الثالث: سياق الآيات السابقة يوضح هذا المحذوف، وفي ذلك يقول ابن عطية: «هذه الآية راجعة بالمعنى إلى قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾(٢) والمعنى:

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٦/ ٤٦٢).

وانظر تقديرات أخرى تفصيلية: التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٢/ ٣٥٩). معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ص (٤/ ٣٢١). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (٣/ ٣١٤). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٩/ ٣٢٢). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٦/ ٣٩٢).

(٢) [الرعد: ٣٠].

أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق بالعبادة أم الجمادات التي لا تنفع ولا تضر؟!»[١].

فإذا كان المعنى المعدول عنه المدلول عليه بالسياق هو: "كمن ليس كذلك" ونحوه، فإن المعنى المستلزم يتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه حذفُه من تحقير وذمٍّ لهذا الطرف الذي لا يستحق أن يُذكر مقابلًا لله عز وجل وإن أَلَّهه هؤلاء المشركون، واستلزام المعنى في هذه الآية الكريمة آية في البيان والجمال، حيث عُبِّر عن المعنى الذي لا يستحق الظهور لحقارته بالاستلزام من السياق دون تشريفه بالذكر.

◆ ومن الأساليب الجمالية المصاحبة للاستلزام الحواري في الآية الكريمة والداعمة لغرضه التحقيري: ما في قوله تعالى: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ من استهزاء بهم وتحقير لهم، وفيه يقول فخر الدين الرازي: «﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾: وإنما يقال ذلك في الأمر المستحقر الذي بلغ في الحقارة إلى ألَّا يُذكر ولا يُوضع له اسم، فعند ذلك يقال: سمِّه إن شئتَ، يعني: أنه أخس من أن يُسمَّى ويُذكر، ولكنك إن شئتَ أن تضع له اسمًا فافعل، فكأنه تعالى قال: سمُّوهم بالآلهة، على سبيل التهديد، والمعنى: سواء سميتموهم بهذا الاسم أو لم تسموهم به، فإنها في الحقارة بحيث لا تستحق أن يلتفت العاقل إليها»[٢].

◆ ومن هذه الأساليب الجمالية: ما في "بل" في قوله تعالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ من إضرابِ تحقيرٍ لهم، وقد بينه فخر الدين الرازي بقوله: «ثم إنه تعالى بيَّن بعد هذا الحجاج سوء طريقتهم فقال على وجه التحقير لما هم عليه: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ فكأنه يقول: دع ذكر الدليل فإنه لا فائدة فيه؛ لأنه زين لهم

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (٣/ ٣١٤).

(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (١٩/ ٤٥).

كفرهم ومكرهم؛ فلا ينتفعون بذكر هذه الدلائل»[١].

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية: اختيار صفة القيومية دون غيرها من صفات كمال الله سبحانه وتعالى لعقد المقابلة على أساسها؛ تحقيرًا لهؤلاء المشركين وشركائهم، فإن صفة القيوم من أعظم الصفات وأجلها، ولا يستطيع عاقل أن ينسبها لغير الله سبحانه وتعالي، فالقيوم «متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه، لا يحتاج إلى مَن يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته»[٢].

📖 قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾[٣].

معنى الآية: تذكر الآية الكريمة إحدى الصفات الذميمة للمشركين: فإنهم إذا قيل لهم: خافوا الله فيما بين أيديكم وما خلفكم عسى أن يرحمكم؛ تولوا وأعرضوا.

وقد اختلف المفسرون في المراد من قوله تعالى: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ على أربعة أقوال حكاهن أبو الحسن الماوردي بقوله: «أحدها: ما مضى من الذنوب وما يأتي. الثاني: الدنيا وعذاب الآخرة. الثالث: عذاب الله لمن تقدَّم من عاد وثمود وأمر الساعة. الرابع: ما ظهر لكم وما خفي عنكم»[٤]. والأولى إطلاق المراد وعدم تحديده بإحدى صوره ليشمل كلَّ ما ذُكر.

---

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (١٩/ ٤٥). وانظر الأصل الذي استنبط منه الرازي قوله: التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٢/ ٣٦١).

(٢) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، السعودية، (٦٧٩/٢).

(٣) [يس: ٤٥].

(٤) النكت والعيون، الماوردي، ص (٢١/٥) باختصار. وعنه ابن الجوزي في: زاد المسير في علم التفسير، ص (٥٢٥/٣).

محل الانزياح: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

المعنى الحرفي: وإذا قيل لهم: خافوا الله فيما بين أيديكم وما خلفكم عسى أن يرحمكم.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كمي بالنقصان، أسلوب حذف جواب الشرط، غرضه الذم.

المعنى المعدول عنه: وإذا قيل لهم: خافوا الله فيما بين أيديكم وما خلفكم عسى أن يرحمكم؛ تولوا وأعرضوا.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن ذكر جواب "إذا" الشرطية، إلى حذفه، واستلزام المقصود من السياق.

وقد اختلف المفسرون في جواب الشرط في الآية الكريمة على قولين:

القول الأول: أن جواب الشرط مذكور في قوله تعالى في الآية التالية: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1]، فقوله: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ جواب لقولين: قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾، وقوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ﴾، وقدَّر ابن جرير الطبري المعنى حينئذ بقوله: «وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا، وإذا أتتهم آية أعرضوا»[2].

---

(١) [يس: ٤٥].

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٢٠/٥٢٦).

القول الثاني -وهو قول جمهور المفسرين[١]-: أن جواب الشرط محذوف، وتقدير المعنى حينئذ: "وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا".

والقول الثاني أرجح، وأما ما عدَّه الطبري جوابًا للشرط فيدلُّ على الجواب لا هو الجواب نفسه. ويمكن توجيه قول الطبري كذلك على أنه لم يرد أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ هو جواب ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ نفسه، وإنما أراد دلالته عليه.

وقد ذكر القرآن الكريم في سياقه العام نموذجًا لرد هؤلاء المشركين على سؤالهم التقوى وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾[٢]، وجملة: ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ وإن كانت جواب الشرط لكنها ليست جوابهم بألسنتهم، وإنما حكى القرآن ما في قلوبهم، وحذف كذلك جوابهم؛ تحقيرًا له ولهم.

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو: " أعرضوا" ونحوه، فإن المعنى المستلزم يتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه حذفُه من ذم فعلهم هذا وتحقيره، فإن من أشد الذم والتحقير تجاهل المذموم وتناسيه في الذكر والحضور، وإنَّ فعل هؤلاء المشركين لحقيق بهذه المذمة.

---

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (٩/ ٦٠٤٤). التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٨/ ٤٩٢). معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ص (٧/ ٢٠). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٤/ ١٩). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (٤/ ٤٥٥). زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ص (٣/ ٥٢٥). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢٦/ ٢٨٦). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (١٥/ ٣٦). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٩/ ٧٢).

(٢) [البقرة: ٢٠٦].

والمتتبع لسياق السورة الكريمة ليجد أنها أكدت على حقارة فعلهم: فقد افتتحت السورة بالتأكيد على رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه صلى الله عليه وسلم أُرسل لإنذار هؤلاء المشركين(١)، ثم ضرب الله مثلًا من أصحاب القرية التي جاءها المرسلون تترًا، فكذبوهم فأهلكهم الله بصيحة واحدة(٢)، ثم أخذت الآيات في بيان الأدلة الكونية والنعم الربانية الباعثة على الإيمان والتصديق(٣)، ثم إنهم بعد ذلك كله إذا قيل لهم: آمنوا واتقوا الله لعل الله يرحمكم؛ أعرضوا(٤)! فإن ما أُتوا من الأدلة والبراهين ليفضي إلى إيمان أصحاب الفطرة السليمة، فلذلك كان فعلهم هذا بعد تفصيل الأدلة وضرب الأمثال مذمومًا يستوجب حذفه تحقيرًا له.

ويشهد لهذا التأويل توجيه فخر الدين الرازي مناسبة الآية لما قبلها بقوله: «وجه تعلق الآية بما قبلها هو أن الله تعالى لما عدَّد الآيات بقوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ﴾(٥)، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ﴾(٦)، (﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾(٧)، وكانت الآيات تفيد اليقين وتوجب القطع بما قال تعالى ولم تفدهم اليقين، قال: فلا أقل من أن يحترزوا عن العذاب، فإن من أُخبر بوقوع عذاب يتقيه، وإن لم يقطع بصدق قول المخبر احتياطًا،

---

(١) [يس: ١-٦].

(٢) [يس: ١٣-٣٢].

(٣) [يس: ٣٣-٤٤].

(٤) [يس: ٤٥].

(٥) [يس: ٣٣].

(٦) [يس: ٣٧].

(٧) [يس: ٤١].

فقال تعالى: إذا ذكر لهم الدليل القاطع لا يعترفون به، وإذا قيل لهم: اتقوا لا يتقون، فهم في غاية الجهل ونهاية الغفلة!»[١].

◆ ومن الأساليب الجمالية المصاحبة للاستلزام الحواري في الآية الكريمة والداعمة لغرضه التحقيري: كون الشرط بـ"إذا" التي تفيد تحقق وقوع جواب الشرط، فإعراضهم وتوليهم مؤكد وليس مشكوكًا فيه، مما يؤكد استحقاقهم للذم.

◆ ومن هذه الأساليب الجمالية: أنه ما طُلِبَ منهم إلا التقوى وخوف الله فحسب، وما كُلفوا بعدُ، ولا فرضٌ عليهم قتال ولا جهاد، وإنما سئلوا التقوى فتكبروا وأعرضوا!

---

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢٦/٢٨٦).

خاتمة الفصل

خَلَصَ البحثُ في هذا الفصل إلى ما يلي:

١- خلو القرآن العظيم من الانزياح الكمي بالزيادة؛ لعدم مناسبته لمقام القرآن العظيم وإعجازه وبلاغته.

٢- خطأ استشهادات الباحثين على الانزياح الكمي بالزيادة في القرآن الكريم، وخروجها إلى باب الإطناب، أو انزياح المناسبة، أو كونها من أصل الكلام وتتمته.

٣- ثراء القرآن الكريم بأساليب الانزياح الكمي بالنقصان.

٤- تنوع أساليب الانزياح الكمي بالنقصان الواردة في القرآن الكريم إلى: ما التعظيمية، وحذف جواب الشرط، وحذف جواب القسم، وحذف المعادل في الجملة الاستفهامية.

٥- تعدد الأغراض الرئيسة التي جاءت أساليب الانزياح الكمي بالنقصان في القرآن الكريم لتحقيقها إلى: التعظيم، والتكثير، والذم.

٦- غنى أساليب الانزياح الكمي بالنقصان في القرآن الكريم بجملة من الجماليات المصاحبة لها والداعمة لمقصودها.

٧- لكل أسلوب من أساليب الانزياح الكمي بالنقصان في القرآن الكريم جماليته المتميزة عن بقية الأساليب.



الفصل الثالث

الانزياح الكيفي في القرآن الكريم

الفصل الثالث: الانزياح الكيفي في القرآن الكريم

مدخل:

يتعاون المتكلم والمخاطب في إيصال مقصودهما ومن ثم نجاح الحوار، ويشمل هذا التعاونُ أربعَ قواعد فرعية متفقًا عليها بين المتكلم والمخاطب ضمنيًّا[(١)]، وبناء على مبدأ التعاون والالتزام بقواعده الأربعة يستطيع المتكلمُ أن يُوصل مقصودَه إلى المخاطب بطريق مباشر دون معوقات، فإذا أراد المتكلم أن يوصل مقصوده بطريق غير مباشر فسينزاح عن الالتزام بهذه القواعد الفرعية، ليجعل هذا الانزياحَ مستلزِمًا لمقصوده.

ويختص هذا الفصل بالانزياح عن إحدى القواعد الفرعية لمبدأ التعاون، وهي قاعدة الكيف التي تُعنى بصدق المعلومات.

فالانزياح الكيفي هو: عدول المتكلم عن قول الصدق (الحقيقة)، مستلزِمًا لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويُفهم من السياق[(٢)].

وقد جاء الانزياح الكيفي بأساليبه المتنوعة في القرآن الكريم ليؤدي أغراضًا جمالية وتداولية متنوعة، ومن هذه الأغراض الرئيسة ما انتظم في المباحث التالية:

المبحث الأول: الإيضاح.

المبحث الثاني: التخصيص.

---

(١) عن مبدأ التعاون وقواعد الأربعة انظر: ص (٢٧) من هذا البحث.

(٢) لمزيد من التفصيل النظري حول هذا النوع من الانزياح انظر: ص (٣٨) من هذا البحث.

المبحث الثالث: المبالغة.

المبحث الرابع: بيان العاقبة.

المبحث الخامس: المجازاة.

المبحث الأول: الإيضاح

من أغراض الانزياح الكيفي في القرآن الكريم: الإيضاح، والمقصود من الانزياح الكيفي بغرض الإيضاح: العدول عن ذكر حقيقة الشيء إلى التعبير عنه بما ليس من حقيقته، واستلزام المقصود من السياق؛ إيضاحًا وبيانًا للمعنى.

ويُعدُّ الإيضاح من أكثر أغراض الانزياح ورودًا في القرآن الكريم، حيث يعدُّ هدفًا لكثير من أساليب الانزياح الكيفي كالاستعارة بأنواعها التصريحية والمكنية والتمثيلية، مع اختلافٍ بينها في نوع الوضوح ودرجته.

وعلاقة الإيضاح بكل من الانزياح والاستعارة علاقة وثيقة لاسيما في النصوص الجمالية والبلاغية: أما علاقته بالانزياح وباب الاستلزام فإن المتكلم غالبًا ما يسعى في سبيل إيضاح مقصوده إلى طرق غير مباشرة وغير مألوفة لإبراز معناه من معدن آخر غير معدنه، كمَن يعدل عن التعبير عن صفة "الشجاعة" بلفظها المباشر ابتغاء إيضاحها بشكل أعمق، فيريك أوضح صورها في التعبير بلفظ "الأسد".

وأما علاقة الإيضاح بالاستعارة والصورة فكثيرًا ما يلجأ المتكلم بغية إيضاح مقصوده إلى إقحامه في صورة أجنبية عنه؛ لتُظهِر هذه الصورةُ ما خفي من معانيه التي لم تكن لتَظهر دونها، وانظر للصورة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾[١]، لو قيل فيها-كما جاء في قراءة شاذة[٢]-: "ولما سكن عن موسى

---

(١) [الأعراف: ١٥٤].

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (٢/٤٥٩).

الغضب"، أليس فرق المعنى بينهما شاسعًا[1]؟!

ومن شواهد غرض الإيضاح في القرآن العظيم ما يلي:

📖 قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا﴾[2].

معنى الآيتين: افتُتحت سورة البقرة ببيان أصناف الناس من الإيمان، فبدأت بالمؤمنين، وثنَّت بالكافرين، ثم خَلَصَ الكلامُ في هذه الآيات إلى المنافقين الذين يقولون بألسنتهم كلمة الإسلام ويبطنون خلافها من الكفر؛ ظنًّا منهم أنهم يخادعون الله والذين آمنوا، وما يخدعون إلا أنفسهم بظنهم هذا، فالنفاق يسري في قلوبهم كما يسري المرض في الجسد، فزادهم الله مرضًا إلى مرضهم.

محل الانزياح: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾.

المعنى الحرفي: في قلوبهم علة مرضية.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن الاستعارة، غرضه الإيضاح.

المعنى المعدول عنه: في قلوبهم عوارض نفسانية ذميمة.

---

(١) للتفصيل في جمالية قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ انظر: ص (١٧٤) من هذا البحث.

(٢) [البقرة: ٩-١٠].

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية عن ذكر حقيقة ما في قلوبهم بصريح لفظه، إلى التعبير عنه بلفظ "المرض"؛ بغيةَ إيضاح حقيقته وتقريبه من الأذهان، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اختلف المفسرون في استعمال لفظ "المرض" في وصف آفات القلوب: هل هو من باب الحقيقة والمباشرة، أو هو من المجاز والانزياح؟ فذهب ابن جرير الطبري وآخرون إلى كونه حقيقة في آفات القلوب حيث قال: «وأصل المرض: السقم، ثم يقال ذلك في الأجساد والأديان»[1]، وخالفهم جلُّ المفسرين وجعلوه من باب المجاز في الأعراض النفسانية[2].

وقد حَقَّق المسألةَ الزمخشريُّ بقوله: «واستعمال "المرض" في القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازًا: فالحقيقة: أن يُراد الألم، كما تقول: في جوفه مرض. والمجاز: أن يُستعار لبعض أعراض القلب، كسوء الاعتقاد، والغل، والحسد والميل إلى المعاصي،

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١/ ٢٧٨). وانظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ص (١/ ٨٦).

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (١/ ٣٨٣). معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ص (١/ ٦٦). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (١/ ٩٢). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (١/ ١٩٧). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص (١/ ٤١). فتح القدير، الشوكاني، ص (١/ ٤٩). روح المعاني، الألوسي، ص (١/ ١٥١). التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (١/ ٢٧٩).

والعزم عليها، واستشعار الهوى، والجبن، والضعف، وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض، كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك». ثم قال -مرجِّحًا كونه مجازًا في هذه الآية استشهادًا بالسياق-: «والمراد به هنا: ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر، أو من الغل والحسد والبغضاء، أو يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور»(١).

وتكمن جمالية الاستلزام في الاستعارة فيما يكتسبه المعنى المعدول عنه من دلالات ثرية خلال ملابسته للمعنى الحرفي غير المراد، وقبل تتبع هذه الدلالات الثرية يجب علينا الوقوف على هذا المعنى المعدول عنه (المستعار له).

ويكاد يجمع المفسرون على أن المعنى المعدول عنه هو: "الشك والنفاق"، وقد ذكر الواحدي أنه قول جميع أهل التأويل(٢)، لكن الماوردي وغيره نقلوا قولًا آخر وهو أن المعنى المعدول عنه هو: «الغم بظهور أمر النبي صلى الله عليه وسلم على أعدائه»(٣)، وكأن المفسرين ذهبوا يبحثون عن المعنى المعدول عنه فيما عهدوه من صفات المنافقين.

والمتتبع للسياق سيجد أن المعنى المعدول عنه ليس النفاق أو الشك فحسب، وإنما هو مجموع ما في قلوبهم من أعراض نفسانية ذميمة، ومن السياق الدال على ذلك: ما طفقت الآيات تسرده بعد بيان مرض قلوبهم: فهم المفسدون في الأرض(٤)،

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (١/٥٩-٦٠) باختصار.

(٢) انظر: التفسير البسيط، الواحدي، ص (٢/ ١٤٧). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (١/ ٩٢).

(٣) النكت والعيون، الماوردي، ص (١/ ٧٤).

(٤) قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١].

المتكبرون على الناس[١]، المستهزئون بالمؤمنين[٢].

كذلك بيّن القرآن الكريم في سياقه العام الكثير من أمراض المنافقين القلبية: كغيظهم[٣]، وذبذبتهم[٤]، وحقدهم وحسدهم وشماتهم[٥]، ولمزهم[٦]، وبخلهم[٧]، وارتيابهم[٨]، وخوفهم[٩].

ويشهد لكون المعنى المعدولِ عنه مجموعَ أمراضهم القلبية: ما في قوله تعالى ﴿مَّرَضٌ﴾ من تنكير دال على العموم والشمول. كذلك تنكير ﴿مَرَضًا﴾ «ليشير إلى أن المزيد مرض آخر، على قاعدة إعادة النكرة نكرة»[١٠].

---

(١) قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣].

(٢) قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

(٣) قال تعالى: ﴿عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

(٤) قال تعالى: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

(٥) قال تعالى: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ﴾ [التوبة: ٥٠].

(٦) قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ٧٩].

(٧) قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٦].

(٨) قال تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ [النور: ٥٠].

(٩) قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [الأحزاب: ١٩].

(١٠) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (١/ ٢٨١).

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو "العوارض النفسانية الذميمة لقلوب المنافقين"، والمعدول إليه هو "المرض"، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "المرض" من دلالاتٍ وصفاتٍ نَقَلَها إلى المعنى المعدول عنه لما تلبَّس به، وتكمن جمالية المعنى المستلزم في تلمس هذه الدلالات الثرية التي أضافها ذكر "المرض"، فمن ذلك:

- إفضاؤه إلى الضعف ومن ثم الهلاك[١].
- كونه مكروهًا لا يرضاه لنفسه ذو فطرة سوية.
- الفرار منه ومن أسبابه.
- أنه قد يشفى منه بإذن الله.

وكذلك العوارض النفسانية الذميمة لقلوب المنافقين تفضي بهم إلى الهلاك وعذاب الآخرة، وهي عوارض تأباها الفطر السوية وتستنكفها وتهرب منها، وأَوْلى بهؤلاء المنافقين أن يفروا منها ويبتعدوا عنها. وعلى الرغم من هذا كله فإن الله عز وجل شرع لهم باب توبته على مصراعَيه حتى تقوم الساعة.

وقد ساهمت هذا الدلالات وهذه الجماليات في إيضاح حقيقة هذا المرض وصفاته، وهو الغرض الرئيس من الانزياح في الآية الكريمة.

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت كذلك غرضَ الاستلزام في إيضاحِ حقيقةِ ما أصاب قلوبَـهم: صياغةُ الجملةِ على نحو يتقدم فيه ما حقُّه التأخير ﴿فِي قُلُوبِهِم﴾؛ بيانًا لحقيقة تمكن المرض من قلوبهم.

---

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ص (١/ ٦٦). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (١/٤٥). روح المعاني، الألوسي، ص (١/ ١٥١).

📖 قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[1].

معنى الآية: يأمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية عباده المؤمنين بالاجتماع على التحصن بدينه وألَّا يتفرقوا دونه، وأن يشكروا نعمته عليهم حين ألَّف بين قلوبهم بعد أن كانوا أعداء على حافة حفرة من النار فأنجاهم منها، وكما بيَّن لهم هذه النعمة فكذلك يبين لهم آياته عسى أن يهتدوا.

محل الانزياح: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾.

المعنى الحرفي: وتحصنوا بحبل الله تعالى جميعًا ولا تتفرقوا.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن الاستعارة، غرضه الإيضاح.

المعنى المعدول عنه: وتحصنوا بما يقرب من الله تعالى جميعًا ولا تتفرقوا.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية عن ذكر حقيقة ما يُعتصم به بلفظه الصريح، إلى التعبير عنه بلفظ "الحبل"؛ توضيحًا لمعناه، واستُلزم المقصود من السياق.

(١) [آل عمران: ١٠٣].

وقد اختلف المفسرون في نوعية أسلوب الانزياح في الآية الكريمة: هل هو من باب الاستعارة المفردة (الحبل)، أو المركبة (هيئة الاجتماع على الحبل)(١)؟ قولان رجَّح بينهما ابنُ عاشور بقوله: «وقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ حال، وهو الذي رَجَّح إرادةَ التمثيل، إذ ليس المقصود الأمر باعتصام كل مسلم في حال انفراده اعتصامًا بهذا الدين، بل المقصود الأمر باعتصام الأمة كلها، ويحصل في ضمن ذلك أمر كل واحد بالتمسك بهذا الدين، فالكلام أمر لهم بأن يكونوا على هاته الهيئة، وهذا هو الوجه المناسب لتمام البلاغة؛ لكثرة ما فيه من المعاني»(٢).

وقد اختلف المفسرون كذلك في المعنى المعدول عنه على مذهبين:

المذهب الأول: مذهب التقييد، حيث جعلوه شيئًا واحدًا، واختلفوا في تحديده على أقوال جمعها الماوردي في قوله: «فيه خمسة تأويلات: أحدها: كتاب الله تعالى. والثاني: أنه دين الله وهو الإسلام. والثالث: أنه عهد الله. والرابع: هو الإخلاص لله والتوحيد. والخامس: هو الجماعة»(٣).

المذهب الثاني: مذهب الإطلاق، فقد جعلوا المعنى المعدول عنه كلَّ ما يصح أن يكون سببًا إلى الله ومرضاته، ومنه قول ابن جرير الطبري: «يعني بذلك جل ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعًا، يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (١/ ٣٩٤). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٣/ ٢٨٦). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ص (٢/ ٦٦). روح المعاني، الألوسي، ص (٢/ ٢٣٥).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٤/ ٣١).

(٣) النكت والعيون، الماوردي، ص (١/ ٤١٣-٤١٤) باختصار.

الله»[١]. ومنه كذلك قول فخر الدين الرازي: «فكان المراد من "الحبل" هاهنا كل شيء يمكن التوصل به إلى الحق في طريق الدين، وهو أنواع كثيرة، فذكر كل واحد من المفسرين واحدًا من تلك الأشياء»[٢]. وهذا المذهب هو الأبلغ والأجمل للآية الكريمة.

وكون "الحبل" في قول الله تعالى: ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ بلفظ المفرد لا يضعف من كون المراد أسباب الله الموصلة إليه، فإنما أُفرد إشارةً إلى أن السبيل إلى الله صراط مستقيم واحد، وأن دونه سبل الشيطان كثرةً وتنوعًا، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[٣].

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو "ما يقرب من الله" ونحوه، والمعدول إليه هو "الحبل أو الاجتماع عليه"، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "الحبل" من دلالاتٍ وصفاتٍ نَقَلَها إلى المعنى المعدول عنه لما تلبَّس به، وتكمن جمالية المعنى المستلزم في تلمس هذه الدلالات الثرية التي أضافها ذكر "الحبل"، فمن ذلك:

- أنه يقيك الزلل في الطريق الوعر الخطر، وفيه يقول فخر الدين الرازي: «واعلم أن كل من يمشي على طريق دقيق يخاف أن تزلق رجله، فإذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبي ذلك الطريق أمن من الخوف، ولا شك أن طريق الحق طريق

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٧/ ٧٠).

(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٨/ ٣١١). وانظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (١/ ٤٨٤). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٤/ ١٥٩). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٣/ ٢٨٦).

(٣) [الأنعام:١٥٣].

دقيق، وقد انزلق رِجْلُ الكثير من الخلق عنه، فمن اعتصم بدليل الله وبيناته فإنه يأمن من ذلك الخوف»(١).

- وكذا ينجيك من الغرق، وفيه يقول ابن عاشور: «والكلام تمثيل لهيئة اجتماعهم والتفافهم على دين الله ووصاياه وعهوده، بهيئة استمساك جماعةٍ بحبلٍ أُلقي إليهم مِن منقذٍ لهم مِن غرق»(٢).

- والحبل سبيل إلى الترقي إلى الأعلى، وكذلك حبل الله يوصلك إلى أعلى الدرجات.

- وهو كذلك يحرزك من السقوط للأسفل، وفيه يقول المراغي: «وحبل الله: كتابه، من اعتصم به كان مستمسكًا بأقوى سبب، متحرِّزًا من السقوط في قعر جهنم»(٣).

وقد جاءت هذه الجماليات والدلالات الثرية توضيحًا لحقيقة الأسباب الموصلة إلى الله وسُبُلها وعوائدها العظيمة، وهو الغرض الرئيس من الانزياح في الآية الكريمة.

📖 قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾(٤).

معنى الآية: تصوِّر الآية الكريمة لحظة غضب موسى عليه السلام إذ رجع من ميقات ربه فوجد قومه اتخذوا العجل آلهًا، فغضب موسى عليه السلام وألقى الألواح

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٨/٣١١).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٤/ ٣١).

(٣) تفسير المراغي، المراغي، ص (٤/ ١٥).

(٤) [الأعراف: ١٥٤].

التي كتب الله له فيها من كل شيء، فلما سكن غضبُه أخذ الألواح التي اشتملت على الهداية والرحمة لمن يخاف عقاب ربه.

محل الانزياح: ﴿سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾.

المعنى الحرفي: انقطع كلامُ الغضبِ عن موسى عليه السلام.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن الاستعارة، غرضه الإيضاح.

المعنى المعدول عنه: سكون غضب موسى عليه السلام.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن وصف الغضب الذي انتاب موسى عليه السلام بالسكون ونحوه، إلى وصفه بإنسانٍ يسكت عن آخر، واستُلزم المقصود من السياق. والغرض من هذا الانزياح توضيح حقيقة غضب موسى عليه السلام ومقداره.

وقد اختلف المفسرون في تأويل هذه الآية على ثلاثة أقوال: الأول: أن الآية من باب الانزياح، فالسكوت مجاز في الغضب[١]. الثاني: أن الفعل "سكت" حقيقة في الغضب، يقال: سَكَتَ سَكْتًا إذا سَكَنَ، بينما يقال: سَكَتَ سُكُوتًا إذا قطع الكلام، فهما فعلان مختلفان، وهو قول الزجاج[٢]. الثالث: أن الآية من باب القلب،

(١) انظر: التفسير البسيط، الواحدي، ص (٣٨١/٩). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (١٦٣/٢). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (٤٥٩/٢). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٣٧٤/١٥). المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (١٨٥/٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ص (٣٧٩/٢).

والأصل: سكت موسى عن الغضب، كما قيل: أدخلتُ القلنسوةَ في رأسي، وقد نُقل هذا القول عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما[(١)].

أما قول الزجاج فلا دليل على تفرقته بين المصدرين ومن ثم جعلهما فعلين مختلفين، فإنه يقال: سَكَتَ سُكُوتًا وسَكْتًا بمعنى واحد، كذلك لم يفرق بينهما أصحاب المعاجم[(٢)]، بل نصَّ الخليلُ على عكس قول الزجاج فقال: «سَكَتَ عنه الغضبُ سُكُوتًا»[(٣)]، ولم يقل: سكتًا؛ لأنه لا يفرق بينهما.

وأما القول بالقلب فلا يستقيم المعنى عليه، ولذلك عقَّب عليه الألوسي بقوله- بعد أن ضعَّف نسبتَه إلى عكرمة-: «ولا يخفى أن السكوت كان أجمل بهذا القائل؛ إذ لا وجه لما ذكره»[(٤)]، وقال أبو حيان الأندلسي فيه: «ولا ينبغي هذا؛ لأنه من القلب، وهو لم يقع إلا في قليل من الكلام، والصحيح أنه لا ينقاس»[(٥)].

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو وصف الغضب بالسكون ونحوه، والمعدول إليه هو وصفه بإنسان يسكت عن آخر، فإن المعنى المستلزم يتألَّف من هذا المعنى المعدول

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ص (٢/٣٧٩). التفسير البسيط، الواحدي، ص (٢/٤٥٩).

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (١/٢٥٣). المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: د.عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص (٦/٧٠٤).

(٣) كتاب العين، الخليل، ص (٥/ ٣٠٥).

(٤) روح المعاني، الألوسي، ص (٥/ ٦٨).

(٥) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٥/ ١٨٥).

عنه مزيدًا عليه ما أضافه وصفه بـ"إنسان يسكت عن آخر" من دلالات وصفات نقلها إلى المعنى المعدول عنه لما تلبَّس به، وتكمن جمالية المعنى المستلزم في تلمس هذه الدلالات الثرية التي أضافها وصفه بإنسان يسكت عن آخر، فمن ذلك:

- المسئولية عن الفعل، وكأن الغضب هو الذي يقول ويفعل[١].

- الوسوسة والإغراء، وفيه يقول الزمخشري: «﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ هذا مثل، كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له: قل لقومك كذا، وألقِ الألواح، وجرَّ برأس أخيك إليك»[٢]، «فالغضبان يجيش في نفسه حديث للنفس يدفعه إلى أفعال يطفئ بها ثوران غضبه، فإذا سكن غضبه وهدأت نفسه كان ذلك بمنزلة سكوت المغري»[٣].

وقد ساهمت هذا الدلالات وهذه الجماليات في إيضاح حقيقة غضب موسى عليه السلام، وهو الغرض الرئيس من الانزياح في الآية الكريمة.

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ الاستلزام في إيضاحِ حقيقةِ غضب موسى عليه السلام: تقديم الجار والمجرور ﴿عَن مُّوسَى﴾؛ لجعله بؤرة الصورة، فإن عظم الصورة ليس في تصويرها الغضب فحسب، وإنما في تصويرها غضب نبي الله موسى عليه السلام.

---

(١) انظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م/١٤١٣هـ، ص (٣٤٨/٢).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (١٦٣/٢). وانظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ص (٣/ ٣٦). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ص (٣/ ٢٧٦).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٩/ ١٢٢). وانظر: التفسير البسيط، الواحدي، ص (٣٨١/٩).

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية في الآية الكريمة: تصويرها لحظتي الغضب وذهابه، فالفعل "سكت" يدل بمفهومه عما كان عليه هذا الغضب من قوة، وبمنطوقه على سكونه وذهابه، وما أقرب الفعل "سكت" من "سكن" صوتًا ودلالةً!

◆ ومن تلك الأساليب: فصل عاطفة الغضب عن ذات موسى عليه السلام، وتصويرها بأجنبي عنه؛ بيانًا أن الغضب ليس لنفسه وإنما للحق، وكأن بني إسرائيل هم من شايعوا هذا الأجنبي فهم سبب الغضب ومصدره.

🕮 ومن شواهد هذا الغرض في القرآن الكريم:

- قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾(١).
- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾(٢).
- وقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ (١٩)﴾(٣).

---

(١) [الأنفال: ٤٦].

(٢) [الإسراء: ٢٩].

(٣) [التكوير: ١٨-١٩].

المبحث الثاني: التخصيص

من أغراض الانزياح الكيفي في القرآن الكريم: التخصيص، والمقصود من الانزياح الكيفي بغرض التخصيص: العدول عن ذكر حقيقة الشيء إلى ذكر بعض أفراده؛ لسمةٍ تُرى فيه كعلو شرفه على بقية أفراد الشيء أو عظم مسئوليته دونهم أو غير ذلك.

ومن شواهد غرض التخصيص في القرآن العظيم ما يلي:

📖 قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾(1).

معنى الآيتين: يَرُدُّ الله عز وجل في هاتين الآيتين على مزاعم اليهود بأن الآخرة وجنتها خالصة لهم من دون الناس: فإن كانوا صادقين في دعواهم فليتمنوا الموت! ولن يتمنوه أبدًا بسبب ما اكتسبوه من آثام، والله عز وجل يعلم ما فعلوا، فهو عليم بالظالمين.

محل الانزياح: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾.

المعنى الحرفي: ولن يتمنوا الموت بسبب ما اجترحته أيديهم.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن المجاز المرسل، غرضه التخصيص.

---

(١) [البقرة: ٩٤-٩٥].

المعنى المعدول عنه: ولن يتمنوا الموت بسبب ما اكتسبته أنفسهم.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن ذكر لفظ "النفس" ونحوه، إلى ذكر أحد أفراده وهو "الأيدي"، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اختلف المفسرون في وقوع الانزياح في الآية الكريمة: فقال بالانزياح عامة أهل التفسير(١). وقيل: اليد على حقيقتها، والمقصود: ما فعلوه بأيديهم كتحريف التوراة(٢). وهو قول ضعيف؛ فإن ما أقدموا عليه ويخافون لقاء الله به ليس تحريفهم فحسب، فلقد ذكر القرآن الكريم من جرائم اليهود شيئًا كثيرًا، ومنها ما ذكره الله من جرائمهم قبل هذه الآية مباشرة(٣) وبعدها(٤)، مما يدل دلالة واضحة على عموم ما

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٣٦٨/٢). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (٣٥٥/١). التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٦٤/٣). معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ص (١٢٣/١). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (١٦٧/١).

(٢) انظر: روح المعاني، الألوسي، ص (١/ ٣٢٨-٣٢٩). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٦١٦/١).

(٣) منه: قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة:٨٩]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [البقرة:٩٢]، وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ [البقرة:٩٣].

(٤) منه: قول الله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾ [البقرة:٩٦]، وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة:٩٨]، وقوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُم﴾ [البقرة:١٠٠].

اكتسبوه. كذلك القول بالانزياح أبلغ في ذمهم؛ إذ يشمل ما اكتسبوه بسائر أعضائهم[(١)].

فإذا كانت الآية الكريمة من باب الانزياح فإن المعنى المعدول عنه هو "النفس" ونحوه، والمعدول إليه أحد أفرادها وهو "الأيدي"، أما المعنى المستلزم فيتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "الأيدي" من دلالات، وتظهر جمالية هذه الدلالات من زاويتين: الأولى: الصفات والخصائص المسوغة لزعامة الأيدي على بقية أعضاء الجسد في اكتساب الإثم، ومن ثم صحة نيابتها عن الكل. الثانية: علاقة هذه الصفات وهذه المسوغات بالسياق.

أما صفة الأيدي التي سوَّغت لها الرئاسة على بقية أفراد الجسد في اكتساب الآثام، ومن ثم صحة نيابتها عن الكل: فعظم أفعالها سواء في الشر أو في الخير، فإن جنايتها أكبر من جنايات بقية الأفراد[(٢)]، كما أنها «مناط عامة صنائع الإنسان ومدار أكثر منافعه»[(٣)].

وأما علاقة هذه الصفة بالسياق: فإن أعظم جرائم اليهود كانت بالأيدي: حيث حرَّفوا بأيديهم كتاب الله عز وجل واشتروا به ثمنًا قليلًا، وبأيديهم قتلوا أنبياء

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي، ص (١/ ٣٢٨-٣٢٩).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٢/٣٦٨). التفسير البسيط، الواحدي، ص (٣/١٦٤). معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ص (١/١٢٣). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (١/ ١٨١).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ص (٨/ ٢٤٨) بتصرف يسير.

الله، وحاولوا قتل النبي محمد صلى الله عليه وسلم[(١)].

فالغرض من الانزياح في الآية بيان انفراد الأيدي بعظم الجناية في اجتراح السيئات دون سائر أعضاء الجسد.

وعلى الرغم من كون الأيدي تكسب الخيرَ والشرَّ فإن ما أتى منها في القرآن الكريم فمن باب كسب الشر فحسب[(٢)]؛ لعظم جناياتها على سائر جنايات بقية الأعضاء.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/٦١٦).

(٢) وذلك في اثنتي عشرة آية: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران:١٨٢]، وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء:٦٢]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ [الأنفال:٥١]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف:٥٧]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾ [الحج:١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [القصص:٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الروم:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم:٤١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى:٣٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ

📖 قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾(١).

معنى الآيتين: ادَّعت اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملَّتهم، فكذبهم الله تعالى في هذه الآيات، وأخبر أن تلك أمنياتهم وظنونهم، وأنهم لا يملكون دليلًا على ما قالوا، وإنما سيدخل الجنة من استسلم لله وانقاد لأمره وأحسن العمل، فأولئك سيؤتيهم الله أجورهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

محل الانزياح: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾.

المعنى الحرفي: أسلم وجهه لله عز وجل.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن المجاز المرسل، غرضه التخصيص.

المعنى المعدول عنه: أسلم نفسه لله عز وجل.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية عن ذكر لفظ "النفس" ونحوه، إلى ذكر أحد أفرادها وهو "الوجه"، واستُلزم المقصود من السياق.

﴿٤٨﴾﴾ [الشورى:٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الجمعة:٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ:٤٠].

(١) [البقرة: ١١١-١١٢].

وقد اختلف المفسرون في هذه الآية على أقوال: الأول: أن الآية على حقيقتها ولا انزياح فيها، والمراد بالوجه: الجارحة، والمعنى: «سلَّم وجهه له، بأن صانه عن السجود لغيره»[(١)]. القول الثاني: أن الآية من باب الانزياح، والمراد بالوجه: القصد؛ «لأن القاصد للشيء مواجه له»[(٢)]. وقيل المراد: الدين، وقيل: العمل، وهي أقوال قريبة من القصد[(٣)]. القول الثالث -وهو قول عامة المفسرين-: أن الآية من باب الانزياح، والمراد بالوجه: النفس[(٤)].

أما القول الأول فضعيف؛ لأن الاستسلام لله لا يكون بجارحة دون أخرى، وأما القول الثاني فهو متضمَّن في القول الثالث.

فإذا كانت الآية الكريمة من باب الانزياح فإن المعنى المعدول عنه هو "النفس" ونحوه، والمعدول إليه أحد أفرادها وهو "الوجه"، أما المعنى المستلزم فيتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "الوجه" من دلالات، وتظهر جمالية هذه الدلالات من زاويتين: الأولى: السمات المسوغة لزعامة الوجه على بقية أعضاء الجسد في الاستسلام لله، ومن ثم صحة نيابته عن الكل. الثانية: علاقة هذه السمات والمسوغات بالسياق.

---

(١) التفسير البسيط، الواحدي، ص (٣/ ٢٤٧).

(٢) روح المعاني، الألوسي، ص (١/ ٣٥٩).

(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (١/ ١٩٨). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٢/٧٥). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (١/ ٥٦٣). فتح القدير، الشوكاني، ص (١/١٥٢).

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٢/ ٥١١). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (١/ ٤٠٣). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (١/ ١٧٨). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٤/ ٦).

أما تفرد الوجه على بقية الجسد فمن وجوه:

- «أنه أشرف الأعضاء من حيث إنه معدن الحواس والفكر والتخيل»(١).

- «وأن أعظم العبادات السجدة، وهي إنما تحصل بالوجه»(٢).

- «وفيه يظهر العز والذل، والعرب تخبر بالوجه عن جملة الشيء»(٣).

وأما علاقة هذه الصفات بالسياق فإذا كان من معاني الاستسلام لله الخضوع والذل له عز وجل فإن معدن الكبرياء والعزة لهو أولى الأعضاء بإظهار زلته لله العزيز المتكبر، وإذا تواضع الأشرف كان غيره أولى(٤).

فالغرض من الانزياح في الآية الكريمة بيان انفراد الوجه بالشرف والمكانة دون سائر أعضاء الجسد، وأن استسلامه مقدم على غيره من وجوه؛ ولذلك تكرر هذا الانزياح في مواضع كثيرة من القرآن العظيم(٥).

---

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٦/٤) باختصار.

(٢) السابق باختصار.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٧٥/٢).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٦/٤).

(٥) من هذه المواضع: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء:١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام:٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ

◆ ومن جماليات الانزياح عن ذكر "النفس" في القرآن الكريم إلى أحد أفرادها: اختلاف مقصوده حسب العضو المخصوص بالذكر، فذكر "الأيدي" -كما سبق في الآية السابقة- واجتراحها السيئات له جمالياته وأسلوبيته التي تختلف عن ذكر "الوجه" واستسلامه لله عز وجل كما في هذه الآية، وعن ذكر "العنق" وعتق الرقيق كما في الآية التالية.

📖 قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾(١).

معنى الآية: ينهى الله عز وجل في هذه الآية عباده المؤمنين عن قتل الصيد إذا كانوا محرِمين بحج أو عمرة، فمن قتله متعمَّدا فعليه جزاء مثل ما قتل من النَّعم يحكم به رجلان من أصحاب العدالة، فيُذبح ويُتصدق به على مساكين الحرم، أو كفارة إطعام مساكين، أو يصوم عن طعام كل مسكين يومًا.

محل الانزياح: ﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾.

المعنى الحرفي: ذبح الهدي والتصدق به عند الكعبة.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن المجاز المرسل، غرضه التخصيص.

المعنى المعدول عنه: ذبح الهدي والتصدق به في الحرم.

وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ [الكهف:٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص:٨٨]، وقال تعالى: ﴿۞وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان:٢٢].

(١) [المائدة:٩٥].

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن ذكر "الحرم" بلفظه المباشر، إلى ذكر أحد أجزائه وهو الكعبة المشرفة، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اتفق عامة المفسرين على ما في الآية الكريمة من انزياح، وأن المقصود الحرم كله(١).

فإذا كانت الآية الكريمة من باب الانزياح فإن المعنى المعدول عنه هو "الحرم"، والمعدول إليه أحد أجزائها وهو "الكعبة المشرفة"، أما المعنى المستلزم فيتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "الكعبة المشرفة" من دلالات، وتظهر جمالية هذه الدلالات من شقين: الأول: السمات المميزة للكعبة على بقية الحرم، ومن ثم جواز إطلاقها وإرادة الحرم كله. الثاني: علاقة هذه السمات بالسياق.

أما تفرد الكعبة على بقية الحرم فمن وجوه:

- أن الكعبة هي أصل الحرم(٢)، وأن الحرم ما صار حرمًا إلا لأجل الكعبة المشرفة(٣).

- أنها معظمة عند المسلمين(٤).

---

(١) انظر: تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (٦٢٣/٣). النكت والعيون، الماوردي، ص (٢/ ٦٧). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (١/ ٦٧٩). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (١٢/ ٤٣٥). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٦/ ٣١٤). وقال القرطبي: «ولا خلاف في هذا».

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (٢/ ٢٣٩).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٧/ ٤٢).

(٤) انظر: روح المعاني، الألوسي، ص (٤/ ٢٧).

- أنها تختص بأحكام ليست لبقية الحرم، كالطواف حولها.

وأما علاقة تلك الصفة بالسياق فإن في ذكر الكعبة ذات المنزلة المقدسة تعظيمًا لما ذكره الله من أحكام تتعلق بالحرم، وتحذيرًا من إتيان ما نهى الله عنه من الصيد في الحرم الذي به الكعبة المعظمة.

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾[(١)].

معنى الآية: يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية مصارف الزكاة الواجبة، فهي لثمانية: الفقراء الذي لا يجدون، والمساكين الذين لا يجدون ما يكفيهم، والعاملين في جمع الزكوات، ومن يُؤلَّف قلوبهم للإسلام، وفي عتق الرقيق، وأهل الدَّين، والمجاهدين في سبيل الله، والمنقطع في سفره. قسمةً من الله مفروضة على العباد، والله عليم بمصالح عباده، حكيم في تدبيره وتشريعه.

محل الانزياح: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾.

المعنى الحرفي: إنما الصدقات في عتق الرقاب.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن المجاز المرسل، غرضه التخصيص.

المعنى المعدول عنه: إنما الصدقات في عتق الرقيق.

المعنى المستلزم وجمالياته:

---

(١) [التوبة: ٦٠].

◆ عُدل في الآية الكريمة عن ذكر لفظ "الرقيق" ونحوه، إلى ذكر أحد أجزائه وهو "الرقبة"، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اتفق عامة المفسرين على أن المعنى المعدول عنه في الآية الكريمة هو "الرقيق" وإن اختلفوا هل المقصود مطلق الرقيق أو المكاتب منه فحسب(١).

فإذا كانت الآية الكريمة من باب الانزياح فإن المعنى المعدول عنه هو "الرقيق" ونحوه، والمعدول إليه أحد أفرادها وهو "الرقاب"، أما المعنى المستلزم فيتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "الرقاب" من دلالات، وتظهر جمالية هذه الدلالات من ناحيتين: الأولى: السمة المميزة للرقبة على سائر أعضاء الجسد حتى يصح إطلاقها وإرادة الكل. الثانية: علاقة هذه الصفة بالسياق.

أما سمة تفرد الرقبة على سائر البدن «فالرقاب: جمع الرقبة، وهو مؤخر أصل العنق، واشتقاقها: من المراقبة، وذلك أن مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم؛ ولهذا المعنى يقال: أعتق الله رقبته، ولا يقال: أعتق الله عنقه»(٢)، وكذلك هي موضع الغل المجازي في الإنسان، والحقيقي في الحيوان(٣).

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٤/ ٣١٦). تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (٥/٤٠٨). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (٤/٣٠٤٣). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (٣/٤٩). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٨/١٨٢).

(٢) التفسير البسيط، الواحدي، ص (٣/ ٥٢١). وانظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٥/٢١٨).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٦/٢٨٠).

وأما علاقة ذلك بالسياق ففيه حثٌّ للمخاطبين واستدرار لرحمتهم وعطفهم لتحرير إخوانهم من رق العبودية، بذكر ما له الشرف والعلو على بقية الجسد، وكذلك ما هو موضع الغل المجازي. وحثُّ المخاطبين على تحرير الرقيق نهج أصيل في القرآن الكريم؛ ولذلك تكررت هذه الكناية في خمسة مواضع في القرآن الكريم(١).

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرض الاستلزام وما فيه من حثٍّ على تحرير الرقيق: ما في دلالة حرف الجر في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾، من التأكيد على استحقاقهم الصدقة أكثر من الفئات السابقة عليهم، وفيه يقول الزمخشري: «فإن قلت: لم عدل عن "اللام" إلى "في" في الأربعة الأخيرة؟ قلت: للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره؛ لأن "في" للوعاء، فنبه على أنهم أحقاء بأن تُوضع فيهم الصدقات ويُجعلوا مظنةً لها ومصبًّا»(٢).

---

(١) وهذه المواضع الخمسة هي: قال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ [النساء:٩٢]، وقال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة:٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ [المجادلة:٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [البلد: ١١-١٣].

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٢/ ٢٨٣).

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية كذلك: ما في جملة ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ من حذف المضاف (عتق) وإقامة المضاف إليه مكانه ﴿ٱلرِّقَابِ﴾[1]؛ مبالغة في توجيه الزكاة إليهم.

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية: ما في لفظ ﴿ٱلرِّقَابِ﴾ من علتين متقابلتين كليهما يحثان على الغرض نفسه وهو تحرير الرقيق: فكيف لا يُعتق ذو الشرف والرياسة على قومه (الرقبة: الشرف)، أو الذليل ذو الأغلال في عنقه (الرقبة: موضع الغل)؟!

---

(١) انظر: التفسير البسيط، الواحدي، ص (٥١٢/١٠).

المبحث الثالث: المبالغة

من أغراض الانزياح الكيفي في القرآن الكريم: المبالغة، والمقصود من الانزياح الكيفي بغرض المبالغة: العدول عن ذكر حقيقة الشيء إلى التعبير عنه بالزيادة على حقيقته، وهو ضرب من الإيجاز يختزل اللفظ ويختزن المعنى، والقرآن العظيم زاخر بهذا الغرض البليغ(١).

ومن شواهد غرض المبالغة في القرآن العظيم ما يلي:

📖 قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾(٢).

معنى الآيتين: تقصُّ الآيتان الشريفتان ما أصاب المسلمين في موقعة "أحد" يوم التقى الجيشان جيش المسلمين وجيش المشركين، فما أصابهم يومئذ فبأمر الله؛ ليتميز المؤمنون الذين صبروا، من المنافقين الذين دُعوا إلى القتال في سبيل الله أو أن يدفعوا، فزعموا عدم إحساسهم للقتال، فهم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان؛ فإنهم يقولون ما ليس في قلوبهم، والله عليم بما يكتمون في صدورهم من النفاق والكفر.

---

(١) انظر: أساليب المبالغة في القرآن الكريم، د. عباس الأوسي، مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الكوفة، المجلد الأول، العدد التاسع عشر، ٢٠١٤م، ص (٢١٤).

(٢) [آل عمران:١٦٦-١٦٧].

محل الانزياح: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

المعنى الحرفي: يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن المجاز المرسل، غرضه المبالغة.

المعنى المعدول عنه: يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن ذكر آلة النطق "اللسان"، إلى ذكر محلها وهو "الفم"، واستُلزم المقصود من السياق.

وإذا كان المعنى المعدول عنه هو "اللسان"، والمعدول إليه محل اللسان وهو "الفم"، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "الفم" من دلالات، وتظهر جمالية هذه الدلالات من جهتين: الأولى سمات الفم المسوغة له الدلالة على اللسان، الثانية: علاقة هذه السمات بالسياق.

أما سمات الفم المسوغة له الدلالة على اللسان فاحتواؤه إياه، واشتراكه معه في بعض مخارج الحروف، وأن الرجل إذا أراد التشدق والمبالغة في كلامه تكلَّم بملء فيه.

وأما علاقة ذلك بالسياق فقد بيَّنها ابن الزبير الغرناطي بقوله: «لما كان المراد بالآية الإخبار عن المنافقين الذين قالوا يوم "أحد" في المخالفين لهم من الأنصار ممن أكرمه الله بالشهادة في ذلك اليوم: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾[1]، إلى ما قالوه من هذا ثم

---

(١) [آل عمران:١٦٨].

ورَّوا عنه بقولهم لصالحي المؤمنين: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾[(١)]، فأخبر تعالى عنهم بما أكنُّوه من الكفر فقال تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[(٢)]، فناسب الإبلاغ في قوله تعالى: ﴿بِأَفْوَاهِهِم﴾ ما انطووا عليه واستحكم في قلوبهم من الكفر، والله أعلم»[(٣)].

ويشهد لتأويل ابن الزبير مجيءُ الكناية عن الألسن بالأفواه بغرض المبالغة في أكثر من موضع في القرآن الكريم، وكلهن في حق المنافقين والكافرين كذلك[(٤)].

---

(١) [آل عمران:١٦٧].

(٢) [آل عمران:١٦٧].

(٣) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، ابن الزبير الغرناطي أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحرير: عبدالغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص (٩٤/١) باختصار.

(٤) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة:٤١]، وقال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ۝٨﴾ [التوبة:٨]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٨﴾ [الصف:٨].

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرض الاستلزام في بيان مبالغتهم: ما في ذكر قوله تعالى: ﴿بِأَفْوَٰهِهِم﴾ من تأكيد؛ لأن القول لا يكون إلا به، فذكره تأكيد على معناه المفهوم من قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾[(١)].

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية: ما في صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ﴾ من دلالة على استمرارهم في قولهم مبالغةً فيه، ويؤيده أن ما سبق من ذكر قولهم جاء على صيغة الماضي: ﴿قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾[(٢)].

📖 قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾[(٣)].

معنى الآية: تبين الآية الكريمة إحدى الصفات الذميمة لطائفة من المنافقين إذ يؤذون نبي الله محمدًا صلى الله عليه وسلم، ويقولون: إنه أُذُن يُصدِّق كلَّ ما يقال له، وإنما هو أذنٌ لا تسمع إلا الخير، يؤمن بالله ويُصدِّق المؤمنين، ورحمةٌ لهم، أمَّا الذين يؤذون رسول الله محمدًا صلى الله عليه وسلم فلهم عذاب أليم.

محل الانزياح: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾.

المعنى الحرفي: هو أُذُن (الجارحة).

---

(١) انظر: النكت والعيون، الماوردي، ص (١/ ٤٣٦). التفسير البسيط، الواحدي، ص (٦/ ١٦٢). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (١/ ٥٣٩). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٤/ ٢٦٧).

(٢) [آل عمران:١٦٧].

(٣) [التوبة:٦١].

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن التشبيه البليغ، غرضه المبالغة.

المعنى المعدول عنه: هو يُصدِّق كلَّ ما يقال له.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يصدق كل ما يقال له، إلى وصفه بكونه "أذنًا"، واستُلزم المقصود من السياق.

وعلى الرغم من اتفاق المفسرين على أن المراد من قوله تعالى: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ "الرجل يُصدِّق كلَّ ما يسمعه"، فإنهم اختلفوا في طريقة استنباط هذا المراد على قولين: القول الأول: أن الآية الكريمة من باب الانزياح، وأن قوله تعالى: ﴿أُذُنٌ﴾ المقصود به: الجارحة[(١)]. والقول الثاني: أن الآية الكريمة من باب الحقيقة، وأن قوله تعالى: ﴿أُذُنٌ﴾ صفة مشبهة على وزن (فُعُل) كأُنُف، من أَذِنَ بالشيء إذا استمع له[(٢)].

---

(١) انظر: التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٠/ ٥٢٢). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٢/ ٢٨٤). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (١٦/ ٩٠). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ص (٣/ ٨٦).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٤ /٣٢٤). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (٤/ ٣٠٤٩). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (٣/ ٥٢). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٨/ ١٩٢).

وفي القول الثاني نظر، فـ"أُذُن" وصفًا من "أَذِنَ" مقيس ولم يُسمع، وإنما الذي سُمِعَ في الوصف من "أَذِنَ" قولهم: «رجل أُذَنَةٌ: يستَمعُ لكل شيء»[1]، ولا يُضطر إلى مقيس لم يُسمع وقد ورد ما يغني عنه. كذلك القول بالانزياح أشهر وأبلغ، وقد نصَّ عليه الزمخشري في معجمه الذي خصصه للمجازات اللغوية عند العرب بقوله: «ومن المجاز: فلان أُذُن، من الآذان، إذا كان سُمَعَةً»[2].

وإذا كانت الآية الكريمة من باب الانزياح فإن المعنى المعدول عنه هو "يُصدِّق كلَّ ما يقال" ونحوه، والمعدول إليه هو "جارحة الأذن"، أما المعنى المستلزم فيتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "جارحة الأذن" من دلالات وصفات نقلها إلى المعنى المعدول عنه لما تلبس به، وتكمن جمالية المعنى المستلزم في تلمس هذه الدلالات الثرية التي أضافها ذكر "جارحة الأذن"، فمن تلك الدلالات:

- سماع كل ما يرِد إليها.
- عدم تمييزها بين حق وباطل.
- سهولة خداعها.

إن مقصود المنافقين المستلزم من هذا الانزياح أن النبي صلى الله وعليه وسلم يسمع كل ما يقال فيصدقه، ولا يستطيع أن يميز حقه من باطله، وأنه سهل خداعه.

---

(١) كتاب العين، الخليل، ص (٨/ ٢٠٠). وانظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٤ /٣٢٤).

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري، ص (١٣).

ولقد نفذ المنافقون من خلال هذه الدلالات إلى غرضهم من أسلوب هذا الانزياح (التشبيه البليغ) وهو المبالغة في إثبات هذه الصفات للنبي صلى الله عليه وسلم. والمبالغة ركن أساس في هذا الأسلوب (التشبيه البليغ) حيث تقوم على ادعاء صحة المعنى الحرفي غير المراد (جارحة الأذن)؛ مبالغةً في إثبات المعنى المقصود المستلزم عنه. وبعبارة أخرى: ادعاء كون المشبه هو المشبه به؛ مبالغةً في إثبات وجه الشبه للمشبه. فلقد ادعى المنافقون -زورًا وبهتانًا- أن النبي صلى الله عليه وسلم هو جارحة "الأذن" نفسها، لا أنه شبيه بها فحسب؛ مبالغةً في إثبات ما تختص به الأذن إلى النبي صلى الله عليه وسلم استلزامًا. وفيه يقول البيضاوي: «سُمِّي بالجارحة للمبالغة، كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع، كما سُمِّي الجاسوس عينًا لذلك»(١)؛ «كنايةً عن تصديقه بكل ما يسمع من دون تمييز بين المقبول والمردود»(٢).

◆ ولقد ردَّ الله سبحانه وتعالى على قول المنافقين وما فيه من مبالغة في الذم بقلب مقصدهم وتوجيه المبالغة إلى المدح، فقال تعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾(٣)، فهو صلى الله عليه وسلم أُذُنٌ حقًّا لكن أذن خيرٍ يُصدِّق اللهَ فيما أنزله إليه، ويُصدِّق المؤمنين، ولا ينخدع بقول المنافقين(٤).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ص (٤/ ١٥٠).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (١٠/ ٢٤٢).

(٣) [التوبة: ٦١].

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (١٠/٢٤٢).

📖 قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (١).

معنى الآية: تحض الآية الكريمة على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وسنته والتأسي به، إذ جعله الله قدوة حسنة للمؤمنين الذين يرجون الله واليوم الآخر ويذكرون الله ذكرًا كثيرًا.

محل الانزياح: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

المعنى الحرفي: لقد كان لكم في رسول الله قدوة حسنة.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن التجريد، غرضه المبالغة.

المعنى المعدول عنه: لقد كان لكم رسول الله قدوة حسنة.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوةً في نفسه، إلى تشخيص هذه الصفة، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اختُلف في الآية الكريمة على وجهين حكاهما الزمخشري بقوله: «أحدهما: أن في رسول الله صلى الله عليه وسلم خَصْلَةً من حقها أن يُؤتسى بها وتُتبع، وهي المواساة بنفسه ، والثاني: أنه في نفسه قدوة»(٢).

---

(١) [الأحزاب: ٢١].

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٣/ ٥٣١) باختصار وتصرف يسير. وانظر: النكت والعيون، الماوردي، ص (٤/ ٣٨٨). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ص (٤/ ٢٢٨).

ومحل الخلاف بين الوجهين حرف الجر في قوله تعالى: ﴿فِي رَسُولِ ٱللَّهِ﴾: أما القول الأول فجعل "في" على حقيقتها، والمقصود: إحدى خصال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي خصلة المواساة بنفسه؛ مناسبةً لنزول الآيات في غزوة الأحزاب(١). وأما القول الثاني فجعل "في" من الانزياح بالتجريد، والمقصود: رسول الله نفسه بجميع خصاله، لا خَصْلَة واحدة منه.

والقول الثاني أقوى: فلئن كان سبب نزول الآية خاصًّا فإن العبرة بعموم اللفظ، وقد صرَّح الشوكاني بهذا العموم في قوله: «وفي هذه الآية عتاب للمتخلفين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي: لقد كان لكم في رسول الله حيث بذل نفسه للقتال وخرج إلى الخندق لنصرة دين الله؛ أسوةٌ، وهذه الآية وإن كان سببها خاصًّا فهي عامة في كل شيء»(٢). وكذلك قال الألوسي: «والآية وإن سيقت للاقتداء به عليه الصلاة والسلام في أمر الحرب من الثبات ونحوه، فهي عامة في كل أفعاله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ إذ لم يعلم أنها من خصوصياته كنكاح ما فوق أربع نسوة». وقال ابن عاشور: «وجعل متعلق الائتساء ذات الرسول صلى الله عليه وسلم دون وصف خاص ليشمل الائتساء به في أقواله بامتثال أوامره واجتناب ما يَنهى عنه، والائتساء بأفعاله من الصبر والشجاعة والثبات»(٣).

---

(١) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص (١٢/ ٦) .

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ص (٤/ ٣١١).

(٣) روح المعاني، الألوسي، ص (١١/ ١٦٥).

كذلك القول الثاني موافق لما سنَّه الله للمسلمين من التأسي بنبيه صلى الله عليه وسلم في كل خصاله[(١)]؛ ولذلك استشهد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية في مواطن مختلفة للدلالة على عموم التأسي به صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك ما رواه الشيخان: «عن عمرو، سألنا ابن عمر رضي الله عنهما: أيقع الرجل على امرأته في العمرة قبل أن يطوف بين الصفا والمروة؟ قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطاف بالبيت سبعًا، ثم صلى خلف المقام ركعتين، وطاف بين الصفا والمروة، وقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾»[(٢)].

وروى الشيخان كذلك: «عن نافع عن ابن عمر أنه أهلَّ وقال: إن حيل بيني وبينه لفعلتُ كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين حالت كفار قريش بينه، وتلا: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾» [(٣)].

ورويَا أيضًا: «عن يعلى بن حكيم، عن سعيد بن جبير، أنه أخبره: أنه سمع ابن عباس، يقول: إذا حرَّم امرأته ليس بشيء، وقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾» [(٤)].

---

(١) قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ [محمد:٣٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر:٧].

(٢) صحيح البخاري، (١٦٢٣) واللفظ له. صحيح مسلم، (١٢٣٤).

(٣) صحيح البخاري، (٤١٨٤) واللفظ له. صحيح مسلم، (١٢٣٠).

(٤) صحيح البخاري، (٥٢٦٦) واللفظ له. صحيح مسلم، (١٤٧٣).

فإذا كان المعدول عن التصريح به "أن رسول الله قدوة لهم" ونحوه، والمعدول إليه تجريد ذات أخرى من ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل القدوة نفسها[(١)]، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه التجريد من مبالغة وطرافة، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرط اتصافه بالقدوة تستطيع أن تلمسها فيه كأنها شاخصة أمامك بذاتها.

- ومن الأساليب الجمالية التي تدعم غرض المبالغة في الآية الكريمة: وصف الأسوة بأنها ﴿حَسَنَةٌ﴾ تأكيدًا ومبالغةً؛ وإلَّا فالقدوة في هذا السياق لا يكون إلا قدوة حسنة.

- ومن هذه الأساليب الجمالية كذلك: تصدير الجملة بمؤكدَين في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ﴾؛ مبالغةً في تأكيد المعنى.

- ومن تلك الأساليب الجمالية: ما في قوله تعالى: ﴿كَانَ﴾ من زمن ماضٍ يدل على رسوخ المعنى وثبوته، وأنه قُضي أمره واستقر.

- ولقد تكرر تجريد القدوة في القرآن الكريم في موضعين كليهما في حق نبي الله إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه:

– قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [(٢)].

---

(١) يقول الألوسي عن التجريد في الآية الكريمة: «وفي الكلام صنعة التجريد، وهو أن ينتزع من ذي صفة آخر مثله فيها؛ مبالغة في الاتصاف، نحو: لقيت منه أسدًا» روح المعاني، ص (١١/ ١٦٥). وانظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٢١ /٣٠٣).

(٢) [الممتحنة: ٤].

- وقـال تعـالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦﴾[1].

ومن شواهد الانزياح الكيفي بغرض المبالغة في القرآن الكريم:

- قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾[2].
- وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[3].
- وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾[4].
- وقوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾[5].
- وقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧﴾[6].

---

(١) [الممتحنة: ٦].

(٢) [البقرة: ١٩].

(٣) [البقرة: ٧٤].

(٤) [يوسف: ٨٢].

(٥) [الأحزاب: ٤٦].

(٦) [العلق: ١٧].

المبحث الرابع: بيان العاقبة

من أغراض الانزياح الكيفي في القرآن الكريم: بيان العاقبة، والمقصود من الانزياح الكيفي بغرض بيان العاقبة: العدول عن ذكر حقيقة الشيء إلى التعبير عنه بعاقبته.

ومن شواهد هذا الغرض في القرآن العظيم ما يلي:

📖 قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾[1].

معنى الآية: يبين الله عز وجل في هذه الآية مآل الذي يكتمون ما أنزله من الكتاب ويشترون به عوضًا حقيرًا، فأولئك مأواهم النار بما أكلوه لقاء كتمانهم، ولا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يطهرهم من الذنوب، ولهم عذاب أليم.

محل الانزياح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾.

المعنى الحرفي: أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن المجاز المرسل، غرضه بيان العاقبة.

المعنى المعدول عنه: أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا ثمن كتمانهم.

---

(١) [البقرة: ١٧٤].

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بحقيقة ما أخذوه، إلى التعبير عنه بعاقبة أخذه وهي "النار"، واستُلزم المقصود من السياق.

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو "ثمن كتمانهم" ونحوه، والمعدول إليه هو "النار"، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "النار" من بيانٍ للعاقبة.

وقد اتفق عامة المفسرين على ما في الآية الكريمة من بيانٍ للعاقبة، ثم اختلفوا في وجه هذه العاقبة على وجهين(1): الوجه الأول: أنه بيان لعاقبة الأموال المأكولة نفسها، فإنها تصير في الآخرة نارًا في بطونهم جزاءً وفاقًا. والوجه الآخر: أنه بيان لعاقبة آكليه حيث يدخلون النار لأكلهم السحت. والوجهان قريبان، والفرق بينهما في أيهما قصدته الآية بالأصالة: الأكل من النار أو دخولها. ولا خلاف أن أحدهما مفضٍ إلى الآخر.

وتكمن جمالية الانزياح في الآية الكريمة في بيان الظلم مشفوعًا بعاقبته، وكأنه يُشرَع للمخاطب بابًا يستشرف منه عاقبةَ هذا الفعل؛ تخويفًا له، وترهيبًا منه، وإقامة للحجة عليه.

---

(١) انظر: النكت والعيون، الماوردي، ص (١/ ٢٢٣). معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ص (١/ ١٨٤). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ص (١/ ١٢٠). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٢/ ١٢١). روح المعاني، الألوسي، ص (١/ ٤٤١).

◆ ومن الأساليب الجمالية التي دعمت غرض بيان العاقبة في الآية الكريمة: ما صحبه من حصرٍ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾؛ تأكيدًا على العاقبة، ونفيًا لأية ظنون حولها.

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية: استعمال اسم الإشارة للبعيد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، ففيه مناسبة لطيفة لما في بيان العاقبة من استشراف البعيد.

◆ ومن أمثال هذه الآية الكريمة وما فيها من انزياح لغرض بيان عاقبة أكل أموال الناس بالباطل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾[1].

📖 قال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[2].

معنى الآية: يدعو الله عز وجل عباده المؤمنين إلى المسارعة في فعل المأمورات وترك المنهيات؛ لينالوا مغفرةً من ربهم سبحانه وتعالى، وجنةً عرضها كعرض السموات والأرض هُيئت لعباده الذين يخشونه ويسارعون إلى العمل الصالح.

محل الانزياح: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

المعنى الحرفي: وسارعوا إلى مغفرة من ربكم.

---

(١) [النساء: ١٠].

(٢) [آل عمران: ١٣٣].

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن المجاز المرسل، غرضه بيان العاقبة.

المعنى المعدول عنه: وسارعوا إلى الأعمال الصالحة.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بحقيقة ما يسارعون إليه، إلى التعبير عنه بما يؤدي إليه وهو مغفرة الرب عز وجل، واستُلزم المقصود من السياق.

وعلى الرغم من اتفاق المفسرين على ما في الآية الكريمة من انزياح، فإنهم قد اختلفوا في حقيقة المعدول عنه على أقوالٍ جمعها ابن الجوزي في قوله: «وفي المراد بموجب المغفرة هاهنا عشرة أقوال: أحدها: أنه الإخلاص. والثاني: أداء الفرائض. والثالث: الإسلام. والرابع: التكبيرة الأولى من الصلاة. والخامس: الطاعة. والسادس: التوبة. والسابع: الهجرة. والثامن: الجهاد. والتاسع: الصلوات الخمس. والعاشر: الأعمال الصالحة»(١).

وقد سلك المرجّحون بين هذه الأقوال مسلكَينِ: الأول: «حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على التعيين والحصر»(٢). الثاني: حملها على إرادة التعيين، ومن ثم تضعيفها وترجيح كون الآية عامة، وأن المراد المسارعة إلى كل عمل صالح يؤدي إلى

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ص (١/ ٣٢٥) باختصار.

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٣/ ٣٤٥) بتصرف يسير. وانظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (١/ ٥٠٨).

مغفرة الرب سبحانه وتعالى، سواء أكان أداءَ واجبٍ ونفل أم تركَ نهي ومكروه[١].
ولا شك أن كون الآية عامة هو المناسب للفظها، وتخصيصها يحتاج إلى دليل سماعي.

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو "الأعمال الصالحة" ونحوه، والمعدول إليه هو "مغفرة الرب عز وجل"، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "المغفرة" من بيانٍ لعاقبة الأعمال الصالحة.

وقد اتفق عامة المفسرين على ما في الآية من بيان للعاقبة مع اختلاف عباراتهم الدالة عليه، فمن ذلك: قول الطبري: «﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: إلى ما يستر عليكم ذنوبكم من رحمته، وما يغطيها عليكم من عفوه عن عقوبتكم عليها»[٢]، وقول أبي منصور الماتريدي: «كأنه قال: بادروا إلى الأسباب التي بها تستوجبون المغفرة من ربكم»[٣]، وقول الواحدي: «وفي الكلام محذوف، والمعنى على: وسارعوا إلى موجب مغفرة من ربكم»[٤].

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ الاستلزام في بيان عاقبة الأعمال الصالحة: ما بين العمل "سارعوا" والعاقبة "مغفرة" من مناسبة لطيفة: فالمسارعة جيء بها على صيغة المفاعلة، مبالغةً في طلب الإسراع[٥]، والمغفرة

(١) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٩/ ٣٦٥). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٤/٢٠٣).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٧/ ٢٠٧).

(٣) تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (٢/ ٤٧٩).

(٤) التفسير البسيط، الواحدي، ص (٥/٥٩٠).

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٤/٨٩).

نُكرت ثم أضيفت للرب سبحانه وتعالى تعظيمًا وتضعيفًا لها(١).

◆ ومن جماليات بيان العاقبة في الآية الكريمة: ما فيه من دعوة وترغيب للمخاطب ببيان أثر عبادته وأوبته في حينها، فإن المسارعة ليست إلى العبادة والتوبة وإنما إلى المغفرة، فصار التوسل بالوسيلة هو بلوغ الغرض!

📖 قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾(٢).

معنى الآية: يأمر الله عز وجل في هذه الآية نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء المكذبين بالأدلة والبراهين التي ذُكرت في الآيات السابقة: قد جاءكم من الله ما يوجب الإيمان والتصديق لكل بصير، فمن اهتدى فلنفسه، ومن كفر بها فعليه كفره، وما أنا عليكم برقيب.

محل الانزياح: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾.

المعنى الحرفي: قد جاءكم بصائر من ربكم.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن المجاز المرسل، غرضه بيان العاقبة.

المعنى المعدول عنه: قد جاءكم براهين من ربكم.

---

(١) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان=تفسير النيسابوري، النيسابوري نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (المتوفى: ٨٥٠هـ)، ص (٢/٢٥٨). روح المعاني، الألوسي، ص (٢/ ٢٧١). التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٤/٨٩).

(٢) [الأنعام:١٠٤].

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بحقيقة ما جاءهم من الله، إلى التعبير عنه بالبصائر، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اتفق عامة المفسرين على أن المعنى المعدول عنه هو الحجج والبراهين ونحوه، فمن ذلك قول الطبري: «يعني بالبصيرة: الحجة البينة الظاهرة»(١)، وقول البغوي: «يعني: الحجج البينة التي تبصرون بها الهدى من الضلالة، والحق من الباطل»(٢)، وقول القرطبي: «أي: آيات وبراهين يُبصر بها ويُستدل»(٣).

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو "البراهين" ونحوه، والمعدول إليه هو "بصائر"، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "بصائر" من أن ما ذُكر من آيات وبراهين يفضي إلى التبصر بها والإذعان لها لا محالة. وفي هذا المعنى يقول الرازي: «فالبصائر جمع البصيرة، وكما أن البصر اسم للإدراك التام الكامل الحاصل بالعين التي في الرأس، فالبصيرة اسم للإدراك التام الحاصل في القلب، وأراد بقوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الآيات المتقدمة، وهي في أنفسها ليست بصائر إلا أنها لقوتها وجلالتها توجب البصائر لمن عرفها، ووقف على حقائقها، فلما كانت هذه الآيات أسبابًا لحصول البصائر سُمّيت هذه الآيات أنفسها بالبصائر»(٤).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٢/ ٢٤).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ص (٣/ ١٧٤-١٧٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٧/ ٥٧).

(٤) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (١٣/ ١٠٤-١٠٥). وانظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (٢/ ٣٣١). التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٧/ ٤١٨).

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ الاستلزام في بيان أن البراهين مفضية إلى التبصر: ما في تنكير ﴿بَصَآئِرُ﴾ وإضافتها إلى الرب عز وجل من تعظيم وشمول، فالأدلة والبراهين في أنفسهم وفيما حولهم[١]، وكذلك إسناد المجيء إلى البصائر مجاز لتفخيم شأنها إذ كانت بمنزلة الغائب المتوقع حضوره[٢]، فمثل هذه البراهين التي بتلك العظمة والشمول والفخامة لاشك أنها تفضي إلى التبصر.

📖 قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾[٣].

معنى الآية: يذكِّر الله سبحانه وتعالى بني آدم بنعمه عليهم، فقد منَّ عليهم بلباس يستر عوراتهم، ولباس يتزينون به، وخير اللباس لباس التقوى، فاللباس من آيات الله وفضله، ولعلهم يتذكرون نعم الله وفضله.

محل الانزياح: ﴿قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾.

المعنى الحرفي: قد أنزل الله سبحانه وتعالى على بني آدم لباسًا.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن المجاز المرسل، غرضه بيان العاقبة.

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ص (٢/ ٨٥). روح المعاني، الألوسي، ص (٤/ ٢٣٤).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٧/ ٥٧). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٤/ ٦٠٧). التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٧/ ٤١٨).

(٣) [الأعراف: ٢٦].

المعنى المعدول عنه: قد أنزل الله سبحانه وتعالى على بني آدم مطرًا.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بحقيقة ما أنزل الله، إلى التعبير عنه باللباس، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اختلف المفسرون في الآية الكريمة على قولين:

القول الأول: أنها من باب الحقيقة، ثم ذهبوا فيه أربعة مذاهب حكاهن أبو حيان الأندلسي بقوله: «﴿أَنزَلْنَا﴾ قيل: على حقيقته من الانحطاط من علو إلى سفل، فأنزل مع آدم وحواء شيئًا من اللباس مثالًا لغيره، ثم توسع بنوهما في الصنعة استنباطًا من ذلك المثال، أو أنزل من السماء أصل كل شيء عند إهباطهما، أو أنزل معه الحديد فاتُّخذ منه آلات الصنائع، أو أنزل المَلَك فعلَّم آدم النسج»[1].

القول الثاني: أنها من باب الانزياح، ثم اختلفوا فيه على وجوه حكاهن كذلك أبو حيان الأندلسي بقوله: «وقيل: الإنزال مجاز من إطلاق السبب على مسببه، فأنزل المطر وهو سبب ما يتهيأ منه اللباس، أو بمعنى "خلق" كقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾[2]، أو بمعنى "ألهم"، وقال الزمخشري: جعل ما في الأرض منزلًا من السماء لأنه قُضِي ثَمَّ وكُتِب»[3].

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٥/ ٣٠).

(٢) [الزمر:٦].

(٣) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٥/ ٣٠). وانظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٢/ ٩٧).

ويبدو من صنيع كثير من المفسرين أنهم قدَّموا القول بمجازية الآية عن المطر على غيره من الأقوال المجازية، حيث اقتصر بعضهم على هذا القول دون غيره[١]، وقدَّمه بعضهم في ترتيب ذكر الأقوال[٢]، وساق بعضهم بقية الأقوال بصيغة الاحتمال[٣].

فإذا كانت الآية الكريمة من باب الانزياح فإن المعنى المعدول عنه هو "المطر"، والمعدول إليه أحد مآلاتها وهو "اللباس"، أما المعنى المستلزم فيتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "اللباس" من دلالات، وتظهر جمالية هذه الدلالات من زاويتين: علاقة المطر باللباس، ومناسبة هذا الانزياح للسياق.

أما علاقة المطر باللباس فيبينها مكي بن أبي طالب بقوله: «لما كان حدوث الثياب من الكتان والقطن، والكتان والقطن إنما يكونان عن النبات بالماء، فالماء هو المنزَل، فسمَّي ما يحدث عنه منزَلًا أيضًا؛ لأنه عنه كان، وبه تمَّ ونما ونبت، وهذا يسمى "التدريج"؛ لأن الثياب عن الماء اندرجت»[٤].

---

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (٤/ ٢٣٢٢). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (١٤/ ٢٢١).

(٢) انظر: النكت والعيون، الماوردي، ص (٢/ ٢١٣). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، (٢/٣٨٨). روح المعاني، الألوسي، ص (٤/٣٤٣).

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ص (٣/ ٢٢١). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٧/١٨٤).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (٤/ ٢٣٢٢).

وأما مناسبة هذا الانزياح للسياق فمن وجهين ذكرهما فخر الدين الرازي بقوله: «الوجه الأول: أنه تعالى لما بيَّن أنه أمر آدم وحواء بالهبوط إلى الأرض وجعل الأرض لهما مستقرًّا[(١)]، بيَّن بعده أنه تعالى أنزل كل ما يحتاجون إليه في الدين والدنيا ومن جملتها اللباس الذي يحتاج إليه في الدين والدنيا. الوجه الثاني: أنه تعالى لما ذكر واقعة آدم في انكشاف العورة أنه كان يخصف الورق عليها[(٢)]، أتبعه بأن بين أنه خلق اللباس للخلق ليستروا بها عورتهم، ونبه به على المنة العظيمة على الخلق بسبب أنه أقدرهم على التستر»[(٣)].

📖 قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾[(٤)].

معنى الآية: تقص الآية الكريمة من نبأ يوسف عليه السلام، حين أُدخل السجن ظلمًا وافتراء من امرأة فرعون ونسوة المدينة. وفي السجن يستفتيه فتيان -لما رأيا من صلاحه وإحسانه- في رؤياهما، أما الأول فيرى نفسه يعصر عنبًا، وأما الآخر فرأى أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكله الطير منه.

محل الانزياح: ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾.

---

(١) قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٤].

(٢) قال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: ٢٢].

(٣) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (١٤/٢٢١).

(٤) [يوسف: ٣٦].

المعنى الحرفي: أعصر خمرًا.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن المجاز المرسل، غرضه بيان العاقبة.

المعنى المعدول عنه: أعصر عنبًا.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بحقيقة ما يُعصر وهو "العنب"، إلى التعبير عنه بلفظ "الخمر"، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اختلف المفسرون في الآية الكريمة على ثلاثة أقوال حكاهن الواحدي بقوله: «وذكر المفسرون وأهل المعاني في قوله: ﴿أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون المعنى: أعصر عنبَ خمرٍ، فحذف المضاف. والثاني: أن العرب تسمي الشيء باسم ما يؤول إليه. والقول الثالث: أن من العرب من يسمي العنب خمرا، وأن قريشًا نطقت بهذه اللغة وعرفتها»(١).

أما القول الأول فهو يحتاج إلى تقدير محذوف، وما لا يحتاج إلى تقدير محذوف أولى منه. وأما القول الثالث فلا يلجأ إلى التخريج على اللغات البعيدة إذا أمكن الحمل على اللغة الأشهر، فما بالنا وهذه اللغة الأشهر هي الأكثر بلاغة وجمالًا ومناسبة للسياق؛ لذلك كان القول الراجح هو القول الثاني، وهو قول أكثر المفسرين كما نص

---

(١) التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٢/١١٣- ١١٤). وانظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٦/٩٦-٩٧). النكت والعيون، الماوردي، ص (٣/ ٣٦). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٢/ ٤٦٨). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (١٨/ ٤٥٤).

عليه ابن الجوزي[١].

فإذا كانت الآية الكريمة من باب الانزياح فإن المعنى المعدول عنه هو "العنب"، والمعدول إليه هو "الخمر"، وأما المعنى المستلزم فيتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "الخمر" من بيان مآل العنب الذي يُعصر وغرض صاحبه من عصره بأوجز عبارة.

◆ وفي قوله تعالى: ﴿أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ إشارة لطيفة كذلك لمآل الفتى المسجون عاصر العنب، فسيؤول شأنه إلى أن يسقي ربَّه خمرًا بعد خروجه من السجن، وبهذا جاء تعبير يوسف عليه السلام لرؤياه: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾[٢].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ص (٢/ ٤٣٨).

(٢) [يوسف: ٤١].

المبحث الخامس: المجازاة

من أغراض الانزياح الكيفي في القرآن الكريم: المجازاة، وهي لغةً: مقابلة الفعل بآخر يكافئه(١)، وتستعمل في الخير والشر(٢). والمقصود من الانزياح الكيفي بغرض المجازاة: العدول عن ذكر حقيقة الشيء، إلى آخر مقابلةً ومكافئةً لمعنى آخر مذكور. وحقيقة هذا الغرض بيان أن الجزاء من جنس العمل.

ومن شواهد هذا الغرض في القرآن العظيم ما يلي:

📖 قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾(٣).

معنى الآية: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا يكون شرك بالله، وتكون العبادة والطاعة لله وحده، فإن انتهى الذين يقاتلونكم من الكفار عن قتالكم، ودخلوا في ملتكم، فدعوا الاعتداء

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص (١/٤٥٥). الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (١/٥٠). مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، ص (٩٣).

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ص (١٤/ ١٤٣).

(٣) [البقرة:١٩٣].

عليهم وقتالهم وجهادهم، فإنه لا ينبغي أن يعتدى إلا على الظالمين وهم المشركون بالله، والذين تركوا عبادته وعبدوا غير خالقهم»[١].

محل الانزياح: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

المعنى الحرفي: لا اعتداء إلا على الظالمين.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن المشاكلة، غرضه المجازاة.

المعنى المعدول عنه: لا قصاص إلا من الظالمين.

المعنى المستلزم وجمالياته:

- عُدل في الآية الكريمة عن وصف فعل المؤمنين تجاه الظالمين بالقصاص ونحوه، إلى وصفه بالعدوان، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اتفق عامة المفسرين على أن الآية الكريمة من باب الانزياح، مقابلةً للفعل بما يكافئه، أي: جزاء على عدوان الظالمين بمثله[٢].

ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «فلا عدوان: فلا سبيل»[٣]،

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٣/٥٧١-٥٧٢) باختصار.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٣/ ٥٧٣). تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (٢/٦٧). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (١/٦٣٨). التفسير البسيط، الواحدي، ص (٣/٦٢٧).

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ص (١/ ٢١٤). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٢/ ٢٤٨).

فإن صحَّ فلم يخرج عن القول الأول كما يقول أبو حيان الأندلسي[١]، فهو راجع لمعنى جزاء الظالم وإن اختلف تقدير المعنى المعدول عنه.

وأما قول ابن عاشور: «و"العدوان" هنا إما مصدر "عدا" بمعنى وثب وقاتل أي: فلا هجوم عليهم، وإما مصدر "عدا" بمعنى ظلم كاعتدى، فتكون تسميته عدوانًا مشاكلة»[٢]، ففي شطره الأول نظر، فإن مصدر "عدا" بمعنى أسرع: "عَدَوان"، بينما "عُدْوان" مصدر "عدا" بمعنى "ظلم"[٣].

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو "القصاص" ونحوه، والمعدول إليه هو "العدوان"، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "العدوان" من كونه مجازاة لفعلهم في العدوان مثلًا بمثل، فالجزاء من جنس العمل، وفيه ردع للظالم عن ظلمه بتخويفه من أن الظلم سيُدال عليه ليشرب من الكأس نفسه الذي أذاقه لمظلومه.

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ المجازاة: ما في الحصر من تقوية للمعنى وزيادة للرهبة في قلوب الظالمين، فإن كل ما يصح أن يطلق عليه عدوان لن يتوجه إلا إليهم. وكذلك حرف الجر ﴿عَلَى﴾ الذي يفيد بالإضافة إلى تحديد الوجهةِ العلوَّ علو العدوان والقتال عليهم.

---

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٢/ ٢٤٨).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٢/ ٢٠٩).

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ص (٢/ ٣١٤). لسان العرب، ابن منظور ص (١٥/٣١).

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية: ما في صيغة النفي في قوله تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ من مبالغةٍ في الزجر، «فهذا النفي العام يراد به النهي، أي: فلا تعتدوا، وذلك على سبيل المبالغة، إذا أرادوا المبالغة في ترك الشيء عدلوا فيه عن النهي إلى النفي المحض العام، وصار ألزم في المنع، إذ صار من الأشياء التي لا تقع أصلًا»(١).

📖 قال تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾(٢).

معنى الآية: يبين الله عز وجل في هذه الآية جواز القتال في الشهر الحرام إذا بدأ المشركون بالقتال فيه، وأن قتال المسلمين في هذه الحرمات من باب القصاص، فإن من اعتدى عليهم وجب أن يقاتلوه مثلًا بمثل، وليتقوا الله وليعلموا أن الله ينصر عباده المتقين.

محل الانزياح: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾.

المعنى الحرفي: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن المشاكلة، غرضه المجازاة.

المعنى المعدول عنه: فمن اعتدى عليكم فاقتصوا منه.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن وصف فعل المؤمنين تجاه المعتدين بالقصاص ونحوه، إلى وصفه بالعدوان، واستُلزم المقصود من السياق.

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٢/ ٢٤٨).

(٢) [البقرة:١٩٤].

وقد اتفق عامة المفسرين على ما في الآية الكريمة من انزياح، فمن ذلك قول الزجاج: «سُمِّي الثاني اعتداءً لأنه مجازاةُ اعتداءٍ فسُمِّي بمثل اسمه»(١).

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو "القصاص منهم" ونحوه، والمعدول إليه هو "الاعتداء عليهم"، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "الاعتداء" من أن قصاص المسلمين منهم مجازاة من جنس فعلهم.

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ المجازاة: ما في قوله تعالى: ﴿بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ من تأكيد على معنى المجازاة، وأنها مثل بمثل دون مجاوزة في المقدار أو في الأحوال(٢).

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية: ما في الآية الكريمة من زجرٍ للمعتدي عن اعتدائه إذا علم أن الاعتداء سيدور عليه، وأنه سيصير في الموقف نفسه الذي وضع فيه من اعتدى عليه.

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية: بناء جملة الاستلزام على الصيغة الشرطية التي يحيق جزاؤها بأهله حين يقع شرطها دون فصل، والتي يتجدد جزاؤها كلما تجدد شرطها، ففيه زجر شديد للمعتدي عن فعله.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (١/ ٢٦٥). وانظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ص (١/٢١٥). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (١/ ٢٦٤). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٥/ ٢٩٣). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٢/٣٥٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢/٢١١).

📖 قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) ﴾ (١).

معنى الآيتين: يبين الله سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين صفات أهل الإيمان التي منها أنهم ينتصرون ممن بغى عليهم مثلًا بمثل، وأن من يعف منهم ويصفح عن الانتصار من ظالمه ويصلح ما بينه وبينه فأجره عند الله، فإن الله عز وجل لا يحب البادئين بالظلم، ولا المتجاوزين في رده.

محل الانزياح: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾.

المعنى الحرفي: جزاء السيئة سيئة مثلها.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح كيفي، فن المشاكلة، غرضه المجازاة.

المعنى المعدول عنه: جزاء السيئة ردها بمثلها.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن وصف فعل المؤمنين تجاه المسيئين برد السيئة ونحوه، إلى وصفه بالسيئة، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اختلف المفسرون في الآية الكريمة على وجهين: الوجه الأول: أن الآية الكريمة على حقيقتها، والمراد بالسيئة: ما يسوء من تنزل به(٢). الوجه الثاني: أن الآية من باب الانزياح وأن السيئة في الآية: المعصية، وإطلاق لفظ السيئة على رد الإساءة

---

(١) [الشورى: ٣٩-٤٠].

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٢١/ ٥٤٧). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٤/ ٢٢٩). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢٧/ ٦٠٥).

بيان لكونه مجازاة على الإساءة بمثلها[(١)].

ولعل القول الثاني أرجح؛ لأن جعل السيئة الثانية من جنس السيئة الأُولى أَولى في النظم، والسيئة الأولى من المعصية، وليست مما يسوء من تنزل به، فإن المؤمن أمره كل خير ولا يسوؤه شيء، فإذا أصابه شر صبر فكان خيرًا له كما جاء في الحديث النبوي[(٢)].

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو "رد السيئة" ونحوه، والمعدول إليه هو "السيئة"، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "السيئة" من أن علة انتصار المؤمنين ممن بغى عليهم إساءةُ الظالمين لهم وظلمُهم، وأن هذا الانتصار من المؤمنين مجازاة للظالمين من جنس عملهم، وقد أُتبع هذا الجزاء بما يؤكد على معناه وأنه مثل بمثل دون تجاوز، وهو قوله تعالى: ﴿سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾.

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ الاستلزام في بيان المجازاة: بناء الجملة على الصيغة الاسمية، دلالةً على استقرار حكم الجزاء وثبوته في حق من أساء.

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية: توالي لفظي السيئتين ﴿سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾، إشارةً إلى ارتباطهما، ومن ثم ارتباط الإساءة بجزائها، وفيه ترهيب للمسيء؛ ففعله ملاصق لجزائه لا ينفك عنه.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٤/ ٤٠١). التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٩/ ٥٣١). معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ص (٧/ ١٩٨). زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ص (٤/ ٦٨). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (١٦/ ٤٠).

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له». صحيح مسلم، ح (٢٩٩٩).

خاتمة الفصل

وقد خَلَصَ البحثُ في هذا الفصل إلى ما يلي:

١- ثراء القرآن الكريم بأساليب الانزياح الكيفي.

٢- تنوع أساليب الانزياح الكيفي الواردة في القرآن الكريم إلى: الاستعارة المفردة والمركبة، والمجاز المرسل، والمجاز العقلي، والتشبيه البليغ، والمشاكلة، والتجريد.

٣- تعدد الأغراض الرئيسة التي جاءت أساليب الانزياح الكيفي الواردة في القرآن الكريم لتحقيقها إلى: الإيضاح، والتخصيص، والمبالغة، وبيان العاقبة، والمجازاة.

٤- غنى أساليب الانزياح الكيفي في القرآن الكريم بجملة من الجماليات المصاحبة لها والداعمة لمقصودها.

٥- لكل أسلوب من أساليب الانزياح الكيفي في القرآن الكريم جماليته المتميزة عن بقية الأساليب.



الفصل الرابع

انزياح المناسبة في القرآن الكريم

الفصل الرابع: انزياح المناسبة في القرآن الكريم

مدخل:

يتعاون المتكلم والمخاطب في إيصال مقصودهما ومن ثم نجاح الحوار، ويشمل هذا التعاونُ أربعَ قواعد فرعية متفقًا عليها بين المتكلم والمخاطب ضمنيًّا(١)، وبناء على مبدأ التعاون والالتزام بقواعده الأربعة يستطيع المتكلمُ أن يُوصل مقصودَه إلى المخاطب بطريق مباشر دون معوقات، فإذا أراد المتكلم أن يوصل مقصوده بطريق غير مباشر فسينزاح عن الالتزام بهذه القواعد الفرعية، ليجعل هذا الانزياحَ مستلزِمًا لمقصوده.

ويختص هذا الفصل بالانزياح عن إحدى القواعد الفرعية لمبدأ التعاون، وهي قاعدة المناسبة التي تُعنى بمناسبة المعلومات المقدمة للحوار.

فانزياح المناسبة هو: عدول المتكلم عن قولِ ما يناسب الحوار، مستلزِمًا لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويُفهم من السياق(٢).

وقد جاء انزياح المناسبة بأساليبه المتنوعة في القرآن الكريم ليؤدي أغراضًا جمالية وتداولية متنوعة، ومن هذه الأغراض الرئيسة ما انتظم في المباحث التالية:

المبحث الأول: بيان الأولى.

المبحث الثاني: الاستعطاف.

---

(١) عن مبدأ التعاون وقواعد الأربعة انظر: ص (٢٧) من هذا البحث.

(٢) لمزيد من التفصيل النظري حول هذا النوع من الانزياح انظر: ص (٤٠) من هذا البحث.

المبحث الأول: بيان الأولى

من أغراض انزياح المناسبة في القرآن الكريم: بيان الأولى، والمقصود من انزياح المناسبة بغرض بيان الأولى: العدول عن إجابة السائل بما يناسب سؤاله، إلى إجابته بما هو أولى منه؛ تنبيهًا له إلى ما هو أولى به أن يسأل عنه. ومن جماليات هذا الأسلوب العامة ما فيه من التفات لطيف لما هو أولى دون استطراد في نقاش ما هو دون الأولى.

ومن شواهد هذا الغرض في القرآن العظيم ما يلي:

📖 قال تعالى: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾[1].

معنى الآية: يَذكر الله عز وجل في هذه الآية الكريمة سؤال المسلمين لرسولهم محمد صلى الله عليه وسلم عن الأهلة وتغير أحوالها، فيأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم: إن تغير أحوالها علامات يَعرف بها الناسُ أوقات عبادتهم ومعاملاتهم لاسيما الحج. ثم تستطرد الآية في بيان شيء يتعلق بالحج، وهو ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من دخول البيوت من ظهورها إذا أحرموا، فهو ليس من البرِّ، وإنما البرُّ التقوى، فليدخلوا البيوت من أبوابها، وليخشوا الله عز وجل في أمورهم كلها؛ لعلهم يفلحون في الدنيا والآخرة.

---

(١) [البقرة:١٨٩].

محل الانزياح: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾.

المعنى الحرفي: يسألونك عن الأهلة، قل لهم: إنها مواقيت للناس والحج.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح المناسبة، فن أسلوب الحكيم، غرضه بيان الأولى.

المعنى المعدول عنه: يسألونك عن الأهلة، قل لهم: إن ذكر السبب لن ينفعهم في شيء.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن إجابتهم بأن سؤالهم ليس بذي نفع لهم، إلى الإجابة بأنها مواقيت للناس والحج، واستُلزم المقصود من السياق.

ولما كان المسؤول عنه غير مصرح بحقيقته اختلف المفسرون فيه على قولين:

القول الأول: أن الآية الكريمة على حقيقتها، والمسؤول عنه حكمة تغير الأهلة(١)، واستشهد له فخر الدين الرازي بقوله: «واعلم أن قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ ليس فيه بيان أنهم عن أي شيء سألوا، لكن الجواب كالدال على موضع

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٣/٥٥٣). التفسير البسيط، الواحدي، ص (٣/ ٦١٧). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (١/ ٢٣٤). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (١/ ٢٦١). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٢/ ٣٤١). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٢/ ٢٣٥).

السؤال؛ لأن قوله: ﴿قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ﴾ يدل على أن سؤالهم كان على وجه الفائدة والحكمة في تغير حال الأهلة في النقصان والزيادة»[١].

القول الثاني: أن الآية الكريمة من باب الانزياح، والمسؤول عنه سبب تغير الأهلة[٢]، وقد ذكر ابن عاشور وجه الاستدلال عليه بقوله: «وإلى هذا [أي: القول بكونه سؤالًا عن السبب] نحا صاحب "المفتاح"[٣]، وكأنه بناه على أنهم لا يظن بهم السؤال عن الحكمة في خلق الأهلة لظهورها، وعلى أن الوارد في قصة معاذ وثعلبة يشعر بأنهما سألا عن السبب إذ قالا: ما بال الهلال يبدو دقيقًا... إلخ[٤]»[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٥/ ٢٨١).

(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ص (١/ ٢١٨). روح المعاني، الألوسي، ص (١/ ٤٦٧). التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٢/١٩٤- ١٩٥).

(٣) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص (٣٢٧).

(٤) وتمام الحديث: «قالا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو فيطلع دقيقًا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يكون كما كان، لا يكون على حال واحدة؟! فنزلت هذه الآية». انظر: أسباب نزول القرآن، الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص (٥٣). لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت، ص (١٣٧).

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٢/ ١٩٥).

فإذا كانت الآية الكريمة من باب الانزياح فإن المعنى المعدول عنه هو إجابتهم بأن ذكر السبب لن ينفعهم، والمعدول إليه هو إجابتهم بأنها مواقيت للناس والحج، وأما المعنى المستلزم فيتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه إجابتهم بأنها مواقيت للناس والحج، من بيانٍ لما هو أولى بهم أن يسألوا عنه، وهو الحكمة من تغير أحوال الأهلة، فقد جعلها الله علامات يَعرف بها الناس أوقات عبادتهم ومعاملاتهم لاسيما الحج(١).

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ الاستلزام في بيان ما هو أولى: إبراز الضمير ﴿هِيَ﴾ تأكيدًا على كون الجواب هو الأَوْلى، فالحكمة من تغير الأجرام هي بلاشك الجواب الأَوْلى عن سؤالهم وإن سألوا عن غيرها.

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية: ما في قوله تعالى: ﴿مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ من تأكيد على أن هذا الجواب هو الأولى لهم سواء في دنياهم ومعاملاتهم أو في دينهم وعباداتهم.

📖 قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾(٢).

معنى الآية: يسأل المسلمون رسولهم محمدًا صلى الله عليه وسلم: أي شيء ينفقونه من أموالهم ابتغاء مرضات الله؟ فيأمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ص (١/ ٢١٨). روح المعاني، الألوسي، ص (١/ ٤٦٧). التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٢/١٩٤- ١٩٥).

(٢) [البقرة:٢١٥].

بأن يقول لهم: أعطوا ما يتيسر لكم من خير إلى الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين والمسافر الذي انقطع به السبيل. وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم.

محل الانزياح: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

المعنى الحرفي: يسألونك أي شيء ينفقونه؟ قل لهم: أعطوا ما تنفقون من خير للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين والمسافر الذي انقطع به السبيل.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح المناسبة، فن أسلوب الحكيم، غرضه بيان الأولى.

المعنى المعدول عنه: يسألونك أي شيء ينفقونه؟ قل لهم: أعطوا ما تقدرون عليه من الخير.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن إجابتهم بأن يعطوا ما يقدرون عليه، إلى الإجابة بأن يعطوا ما ينفقونه من خير للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين والمسافر الذي انقطع به السبيل، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اختلف المفسرون في الآية الكريمة على قولين:

القول الأول: أن الجواب مطابق للسؤال، ثم ذهبوا في كيفية المطابقة أربعة مذاهب: الأول: أن تكون "ماذا" بمعنى "من"(١). الثاني: أن السائلين سألوا سؤالين:

---

(١) انظر: تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (٢/ ١١١). التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٢/ ٣١٨).

عمَّا يُنفَق وعلى مَن يُنفَق، فذكر القرآن السؤال الأول ولم يجب عليه، وحذف السؤال الثاني وأجاب عليه، وهو فن من البلاغة(١)، ويشهد له ما رُوي في سبب نزول الآية الكريمة(٢). الثالث: أنه على حذف المضاف، والتقدير: مصرف ماذا ينفقون(٣). الرابع: أن الجواب تضمن الإشارة إلى بيان ما ينفقونه، وضُم إليه زيادة بيان عن المصرف(٤).

---

(١) انظر: تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (٢/ ١١١). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٢/ ٣٧٧). روح المعاني، الألوسي، ص (١/ ٥٠١).

(٢) رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أبي صالح قال: نزلت في عمرو بن الجموح الأنصاري، وكان شيخًا كبيرًا ذا مالٍ كثير، فقال: يا رسول الله، بماذا نتصدق؟ وعلى من ننفق؟ فنزلت هذه الآية. وعنه في رواية عطاء: نزلت الآية في رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن لي دينارًا. فقال: «أنفقه على نفسك». فقال: إن لي دينارين. فقال: «أنفقهما على أهلك». فقال: إن لي ثلاثة. فقال: «أنفقها على خادمك». فقال: إن لي أربعة. فقال: «أنفقها على والديك». فقال: إن لي خمسة. فقال: «أنفقها على قرابتك». فقال: إن لي ستة. فقال: «أنفقها في سبيل الله، وهو أحسنها». أسباب نزول القرآن، الواحدي، ص (٦٨). لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي، ص (١٣٧).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٦/ ٣٨٢). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٢/ ٣٧٧). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ص (٣٨٥/٢).

(٤) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٢٥٧/١). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٦/ ٣٨٢).

القول الثاني: أن الجواب غير مطابق للسؤال، والآية من باب الانزياح، وأنهم قد أُجيبوا بما هو أولى لهم أن يسألوا عنه.

أما الوجه الأول من القول الأول فضعيف، فإن السؤال بـ"ما" يختلف عنه إذا كان بـ"من". وأما الوجه الثاني فلا حجة في كون سبب النزول سؤالًا عمَّا يُنفَق وعلى مَن يُنفَق؛ إذ اقتصر القرآن الكريم على كون السؤال عمَّا يُنفَق فحسب. وأما الوجه الثالث فما لا يحتاج إلى حذف وتقدير أولى منه. وأما الوجه الرابع فإن لفظ ﴿خَيْرٍ﴾ عام يشمل الكثير والقليل والمفروض والمسنون من المال، وتعيينه إجابة لا فائدة فيه، ولئن صح فلا ينافي كونَ أصل الجواب غير مطابق للسؤال.

فإذا كانت الآية الكريمة من باب الانزياح فإن المعنى المعدول عنه هو إجابتهم بأن يعطوا ما يقدرون عليه من الخير، والمعدول إليه هو إجابتهم بأن يعطوا ما ينفقونه للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين والمسافر الذي انقطع به السبيل، وأما المعنى المستلزم فيتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه إجابتهم بأن يعطوا ما ينفقونه للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين والمسافر الذي انقطع به السبيل، مِن بيانٍ لما هو أولى بهم أن يَسألوا عنه، وهو السؤال عن المستحقين للإنفاق؛ إذ الإنفاق يكون حسب القدرة والاستطاعة وهو مختلف من شخص إلى آخر، وإنما الشأن كل الشأن فيمن هو مستحق لها وأولى بها.

ومن أقوال المفسرين في كون الجواب بيانًا للأولى: قول الواحدي: «وإنما عدل عن المطابق لحاجة السائل إلى بيان يجمع الدلالة على ما سأل وعلى غيره. ويحسن من المعلم الحكيم الذي يُعلم الناس ويبصرهم أن يضمِّن الجواب مع الدلالة على المسؤول عنه الدلالةَ على ما يحتاج إليه السائل في ذلك المعنى مما أغفله وترك السؤال

عنه»[١]. وقال الزمخشري: «وبُني الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف؛ لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها»[٢]. وقال الرازي: «فكأنهم قيل لهم: هذا السؤال فاسد، أنفِق أي شيء كان، ولكن بشرط أن يكون مالًا حلالًا، وبشرط أن يكون مصروفًا إلى المصرف، وهذا مثل ما إذا كان الإنسان صحيح المزاج لا يضره أكل أي طعام كان، فقال للطبيب: ماذا آكل؟ فيقول الطبيب: كُلْ في اليوم مرتين، كان المعنى: كل ما شئت لكن بهذا الشرط، كذا هاهنا المعنى: أنفق أي شيء أردت بشرط أن يكون المصرف ذلك»[٣].

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ الاستلزام في بيان ما هو أولى: بناء الجملة على الشرط؛ تأكيدًا لأولوية صرف المنفَق على الأصناف المبينة دون غيرهم.

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية: تنكير ﴿خَيْرٍ﴾ وجرُّها بمن البيانية؛ إشارةً لتضمنه كلَّ خير صغيرًا كان أو كبيرًا، وأن تخصيصه -كما سألوا- ليس بالأَوْلى.

◆ ومن المناسبات اللطيفة لغرض بيان الأولى في الآية: ترتيب الجواب كذلك على الأَوْلى فالأَوْلى: ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، ويوضحه فخر الدين الرازي بقوله: «اعلم أنه تعالى راعى الترتيب في الإنفاق: فقدَّم الوالدين؛ وذلك لأنهما كالمُخرِج له من العدم إلى الوجود في عالم الأسباب، ثم ربَّياه في الحال الذي كان في غاية الضعف، فكان إنعامهما على الابن أعظم من إنعام غيرهما عليه، ثم

(١) التفسير البسيط، الواحدي، ص (٤/١٢٨-١٢٩).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (١/٢٥٧).

(٣) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٦/٣٨٢).

ذكر تعالى بعد الوالدين الأقربين، والسبب فيه أن الإنسان لا يمكنه أن يقوم بمصالح جميع الفقراء، بل لابد وأن يرجح البعض على البعض، والترجيح لابد له من مرجّح، والقرابة تصلح أن تكون سببًا للترجيح، ثم إن الله تعالى ذكر بعد الأقربين اليتامى؛ وذلك لأنهم لصغرهم لا يقدرون على الاكتساب، ولكونهم يتامى ليس لهم أحد يكتسب لهم، ثم ذكر تعالى بعدهم المساكين، وحاجة هؤلاء أقل من حاجة اليتامى؛ لأن قدرتهم على التحصيل أكثر من قدرة اليتامى، ثم ذكر تعالى بعدهم ابن السبيل، فإنه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع في الاحتياج والفقر»[1].

📖 قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝٧٥﴾[2].

معنى الآية: تقص الآية الكريمة من نبأ نبي الله صالح عليه السلام ودعوته قومه إلى عبادة الله وحده، إذ يستهزئ المستكبرون من قومه بضعفائهم المؤمنين ويحاولون أن يصرفوهم عن الإيمان به، فيسألونهم عن صحة إرسال صالح عليه السلام من ربه، فيجيبهم المؤمنون المستضعفون بيقين جازم بأنهم مؤمنون بما أرسل به صالح عليه السلام.

محل الانزياح: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

المعنى الحرفي: يقول المستكبرون للذين استضعفوا: هل تعلمون أن صالحًا مرسل من ربه؟ فأجابوهم بقولهم: إنا مؤمنون بالذي أُرسل به صالح.

---

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٦/٣٨٢-٣٨٣) باختصار.

(٢) [الأعراف:٧٥].

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح المناسبة، فن أسلوب الحكيم، غرضه بيان الأولى.

المعنى المعدول عنه: يقول المستكبرون للذين استضعفوا: هل تعلمون أن صالحًا مرسل من ربه؟ فأجابوهم بقولهم: نعم، نعلم أنه مرسل من ربه.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن إجابتهم بأنهم يعلمون أن صالحًا عليه السلام مرسل من ربه، إلى الإجابة بأنهم مؤمنون بالذي أُرسل به صالح عليه السلام، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اختلف المفسرون في الآية الكريمة على قولين:

القول الأول: أن الآية الكريمة من باب الانزياح، وأن الجواب غير مطابق للسؤال، فقد سُئلوا عن علمهم بإرسال صالح عليه السلام، فأجابوا بإيمانهم بما أرسل به(١).

القول الثاني: أن الآية على حقيقتها، والجواب مطابق للسؤال، واستدل عليه أبو منصور الماتريدي بقوله: «يجوز أن يكنى بالعِلْم عن الإيمان، فكأنهم قالوا لهم: تؤمنون بصالح وتصدقونه؟ والثاني: كأنهم قالوا: بل علمنا أنه مرسل من ربه، وإنا بما

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٢/ ١٢٣). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٥/٩٤). غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، (٣/٢٧٥). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ص (٣/٢٤٣). فتح القدير، الشوكاني، ص (٢/٢٥١). روح المعاني، الألوسي، ص (٤/٤٠٢).

أرسل به مؤمنون»(١).

أما الحجة الأولى للقول الثاني فغير معهودة، وهي خلاف الأصل. وأما الحجة الثانية فكون قولهم المقدر "بل علمنا أنه مرسل من ربه" مستفادًا من السياق، لا ينافي أن الجواب المذكور لا يطابق السؤال.

فإذا كانت الآية الكريمة من باب الانزياح فإن المعنى المعدول عنه هو إجابتهم بأنهم يعلمون أن صالحًا عليه السلام مرسل من ربه، والمعدول إليه هو إجابتهم بأنهم مؤمنون بالذي أُرسل به صالح عليه السلام، وأما المعنى المستلزم فيتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه إجابتهم بأنهم مؤمنون بالذي أُرسل به صالح عليه السلام، مِن بيانٍ لما هو أولى بهم أن يسألوا عنه، وكأن المسلمين بجوابهم هذا على الكفار يقولون لهم: الأولى أن تسألونا عمَّا يخصنا وهو إيماننا به، أما صحة رسالة صالح عليه السلام فهي ثابتة بنا أو دوننا. فإعراضهم عن سؤالهم والتأكيد على إيمانهم بصالح عليه السلام فيه إشارة واضحة على قطعية ثبوت رسالة صالح عليه السلام، وأنها ليست محل سؤال وجواب.

وقد فصَّل الزمخشري غرض الانزياح في بيان الأولى بقوله: «فإن قلت: كيف صحَّ قولهم: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ جوابًا عنه؟ قلت: سألوهم عن العلم بإرساله، فجعلوا إرساله أمرًا معلومًا مكشوفًا مسلَّمًا لا يدخله ريب، كأنهم قالوا: العلم بإرساله وبما أُرسل به مما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وإنارته، وإنما الكلام

---

(١) تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (٤/ ٤٨٢). وانظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٨/ ٢٢٣).

في وجوب الإيمان به، فنخبركم أنَّا به مؤمنون؛ ولذلك كان جواب الكفرة: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾[1] فوضعوا ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ موضع ﴿أُرْسِلَ بِهِۦ﴾ ردًّا لما جعله المؤمنون معلومًا وأخذوه مسلمًا»[2].

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ الاستلزام في بيان ما هو أولى: تصدير الجواب بـ(إنَّ)، تأكيدًا على الأَوْلى وأولويته.

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية: بناء الجملة على الاسمية، ترسيخًا لأولوية هذا الجواب وثبوته.

◆ ومن تلك الأساليب: تقديم الجار والمجرور ﴿بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ﴾ تعريضًا بسؤالهم عن صحة الإرسال، وإشارةً لهم أن جواب سؤالهم مضمن في هذا الجواب استلزامًا.

---

(١) [الأعراف:٧٦].

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٢/ ١٢٣).

المبحث الثاني: الاستعطاف

من أغراض انزياح المناسبة في القرآن الكريم: الاستعطاف، وهو لغة: طلب الرحمة[(١)]. والمقصود من انزياح المناسبة بغرض الاستعطاف: العدول عن صيغة الدعاء المباشرة إلى ذكر ما يُستدر به العطف والرحمة. ومنه استعطاف المرءِ ربَّه عز وجل معرِّضًا بضعفه وفقره دون التصريح بحاجته.

ومن شواهد هذا الغرض في القرآن العظيم ما يلي:

📖 قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾﴾[(٢)].

معنى الآيات: تحكي الآيات الكريمة قصة رحمة الله بنبيه وعبده زكريا عليه السلام حين ناجى ربه سرًّا مستعطفًا بكِبَرِه وضعف قوته وشيبه، وأنه لم يخب دعاؤه لربه من قبل، وبخوفه من قرابته من بعده، وكون امرأته عاقرًا لا تلد؛ أن يهبه ولدًا يرثه ويرث النبوة.

محل الانزياح: ﴿إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ الآية.

---

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ص (١/ ٥٥١). لسان العرب، ابن منظور، ص (٩/ ٢٤٩).

(٢) [مريم: ٢-٥].

المعنى الحرفي: يخبر زكريا عليه السلام ربه عز وجل -وهو أعلم به- بضعف قوته وكبره وشيبه، وأنه لم يخب دعاؤه لربه من قبل، وبخوفه من قرابته من بعده، وكون امرأته عاقرًا لا تلد.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح المناسبة، فن التعريض، غرضه الاستعطاف.

المعنى المعدول عنه: يدعو زكريا عليه السلام ربه سبحانه وتعالى أن يرزقه بولد.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بطلب الولد، إلى التعريض عنه بذكر ضعف قوته وكبره وشيبه، وأنه لم يخب دعاؤه لربه من قبل، وخوفه من قرابته من بعده، وكون امرأته عاقرًا لا تلد. واستُلزم المقصود من السياق.

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو طلب الولد، والمعدول إليه هو ذكر حاله وحال امرأته، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر حاله وحال امرأته، من التضرع بحاله الداعي إلى إجابته، وهو أدب نبوي في دعاء الله عز وجل والتذلل والخضوع له.

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ الاستلزام في الاستعطاف: ما في فاتحة دعاء زكريا عليه السلام: ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾، من عمومٍ لآثار الضعف قُدِّم فيه شديد الأثر على ما دونه، ويوضح ذلك فخر الدين الرازي بقوله: «أثر الضعف إما أن يظهر في الباطن أو في الظاهر، والضعف الذي يظهر في الباطن يكون أقوى مما يظهر في الظاهر؛ فلهذا السبب ابتدأ ببيان الضعف الذي في الباطن وهو قوله: ﴿وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ﴾، وأما أثر الضعف في الظاهر فذلك استيلاء الشيب على الرأس، فثبت أن هذا الكلام يدل على استيلاء الضعف

على الباطن والظاهر، وذلك مما يزيد الدعاء توكيدًا لما فيه من الارتكان على حول الله وقوته والتبري عن الأسباب الظاهرة»[(١)]، والتبرؤ من الحول والقوة والأسباب قمة الاستعطاف والتذلل لله عز وجل.

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية: بدء الجملة بـ ﴿إِنِّي﴾ تأكيدًا على الاستعطاف وإلحاحًا عليه، وإبرازًا لكمال الاعتناء به[(٢)]، وهو أدب نبوي في الدعاء والاستعطاف.

◆ ومنها: ذكر العظم دون غيره من أعضاء البدن، فهو أبلغ في الضعف والاستعطاف؛ وفيه يقول الزمخشري: «وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن»[(٣)].

◆ ومنها: إفراد العظم، ليشمل الوهن كل عظمة من عظام بدنه، وهو أبلغ في الاستعطاف، وفيه يقول السكاكي: «ترك جمع "العظم" إلى الإفراد لطلب شمول الوهن العظام فردًا فردًا»[(٤)]، وقال الزمخشري: «ووحّده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية»[(٥)]، وقال الألوسي: «ولو جمع لم يتعين ذلك؛ لصحة وهنت العظام عند حصول الوهن لبعض منها دون كل فرد»[(٦)].

---

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢١/ ٥٠٩).

(٢) انظر: روح المعاني، الألوسي، ص (٨/ ٣٨٠).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٣/ ٤).

(٤) مفتاح العلوم، السكاكي، ص (٢٨٦) بتصرف يسير.

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٣/ ٤).

(٦) روح المعاني، الألوسي، ص (٨/ ٣٨٠).

◆ ومنها: فصل ضمير المتكلم وإلحاقه بمن البيانية ﴿مِنِّي﴾ بدلًا من قول "عظمي"؛ زيادة في الاستعطاف، فإن العظم الذي ضعف في جسده هو منه دون غيره، وفيه زيادة في تفصيل الحال استعطافًا وتذلُّلًا(١).

◆ ومنها: تصوير فشو البياض في الشعر باشتعال النار وانتشار شواظها؛ مبالغةً في المقصود، وإلحاحًا في الاستعطاف، وكأن تصويره للنار وشواظها وسرعة انتشارها استعطاف إلى الله سبحانه أن يطفئها بإجابة دعائه وتضرعه.

◆ ومنها: ما في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ من استحضارٍ لنعم الله السابقة عليه واستعطافٍ بمدح المنعم سبحانه وتعالى، وما أشبهه بقول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾(٢) حيث استعطف ربه عز وجل بذكر خيراته السابقة عليه.

ويوضح فخر الدين الرازي ما في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ من جمالية التوسل بقوله: «ووجه التوسل به من وجهين: أحدهما: أنه إذا قبله أولًا فلو أنه ردَّه ثانيًا لكان الرد محبطًا للإنعام الأول، والمنعِم لا يسعى في إحباط إنعامه. والثاني: وهو أن مخالفة العادة شاقة على النفس، فإذا تعود الإنسان إجابة الدعاء فلو صار مردودًا بعد ذلك لكان في غاية المشقة، ولأن الجفاء ممن يتوقع منه الإنعام يكون أشق، فقال زكريا عليه السلام: إنك ما رددتني في أول الأمر مع أني ما تعودت لطفك وكنت قوي البدن قوي القلب، فلو رددتني الآن بعد ما عودتني القبول مع نهاية ضعفي لكان ذلك بالغًا إلى الغاية القصوى في ألم القلب»(٣).

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي، ص (٨/ ٣٨٠).

(٢) [القصص:٢٤].

(٣) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢١/ ٥٠٩).

◆ ومنها: ما في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَاءِي﴾ من استعطاف لله عز وجل بكون المطلوب منتفعًا به في الدين[١]، فقد خاف زكريا عليه السلام من أقربائه أن يضيعوا الدين وينبذوه[٢]، وأما القول بأن خوف زكريا عليه السلام كان من أن يرثه أقرباؤه[٣]، ففيه نظر، فإن الخوف على الإرث وحطام الدنيا لا يليق بأخلاق النبوة ومكانتها[٤].

◆ ومنها: التعبير بالماضي ﴿خِفْتُ﴾ على الرغم من استمرار خوفه منهم أثناء دعائه؛ دلالةً على شدة خوفه منهم ورسوخه في قلبه، ففيه تأكيد على الاستعطاف ودواعيه.

📖 قال تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾[٥].

معنى الآية: يأمر الله تعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يذكر أيوب عليه السلام حين ابتُلي فدعَا ربَّه بأنه أصابه البلاء وأن الله هو أرحم الراحمين.

محل الانزياح: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢١/ ٥٠٩).

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ص (٣/١١٧).

(٣) انظر: السابق.

(٤) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٧/ ٢٤٠).

(٥) [الأنبياء:٨٣].

المعنى الحرفي: يخبر أيوب عليه السلام ربه عز وجل -وهو أعلم به- بأنه أصابه البلاء، وأنه تعالى هو أرحم الراحمين.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح المناسبة، فن التعريض، غرضه الاستعطاف.

المعنى المعدول عنه: يدعو أيوب عليه السلام ربه أن يكشف عنه ضره.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بطلب كشف الضر، إلى التعريض عنه بذكر ضُرِّه، واستُلزم المقصود من السياق.

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو طلب كشف الضر ونحوه، والمعدول إليه هو ذكر ضُرِّه، فإن المعنى المستلزم يتألف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر الضُرِّ من التضرع بمرضه وضعفه؛ استمطارًا لسحائب رحمة الله عز وجل.

ومن أقوال المفسرين في بيان الاستعطاف بالتعريض في الآية الكريمة: قول الواحدي: «وهذا تعريض منه بمسألة الرحمة؛ إذ أثنى عليه بأنه الأرحم وسكت»[1]، وقال الزمخشري: «أَلْطَفَ في السؤال حيث ذَكَرَ نفسَه بما يوجب الرحمة، وذكر ربَّه بغاية الرحمة، ولم يصرح بالمطلوب»[2].

---

(١) التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٥/ ١٤٧).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٣/ ١٣٠). وانظر: تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (٧/ ٣٦٧). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢٢/ ١٧٥). روح المعاني، الألوسي، ص (٩/ ٧٦).

واستعطاف أيوب ربه بذكر حالِه ومرضه ليس جزعًا، وإنما من الشكوى إلى الله وحده؛ ولذلك قال ابن قيم الجوزية: «فالشكوى إليه سبحانه لا تنافي الصبر الجميل، بل إعراض عبده عن الشكوى إلى غيره جملةً، وجعل الشكوى إليه وحده؛ هو الصبر. والله تعالى يبتلي عبده ليسمع شكواه وتضرعه ودعاءه، وقد ذمَّ الله سبحانه من لم يتضرع إليه ولم يستكن له وقت البلاء، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾[1]، والعبد أضعف من أن يتجلد على ربه، والرب تعالى لم يرد من عبده أن يتجلد عليه، بل أراد منه أن يستكين له ويتضرع إليه، وهو تعالى يمقت من يشكوه إلى خلقه، ويحب من يشكو ما به إليه»[2].

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ الاستلزام في الاستعطاف: ما في قوله تعالى: ﴿ٱلضُّرُّ﴾ من تعريف بأل جنسية؛ ليعم الضرر في البدن والأهل والمال[3]، استعطافًا من نبي الله أيوب عليه السلام لربه عز وجل، وبيانًا لحاله. ويشهد لهذا العموم ما جاء في بعض الإسرائيليات من أن الضر قد أصابه في بدنه وماله وأهله[4]، كذلك قد يُفهم هذا العموم من الآية التالية: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾[5] فالجزاء يدل على أنه قد ابتلي فيما عُوفي منه.

---

(١) [المؤمنون:٧٦].

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ومكتبة دار التراث، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص (٣٦)

(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٧/ ٤٦٠).

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٨/٤٨٣-٥٠٦).

(٥) [الأنبياء:٨٤].

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية: تأكيد نبي الله أيوب عليه السلام استعطافه بقوله: ﴿أَنِّي﴾ إلحاحًا في دعائه وتضرعه.

◆ ومنها: قوله تعالى: ﴿مَسَّنِيَ﴾، ففيه كمال أدب نبي الله أيوب عليه السلام، وفيه يقول ابن عاشور: «والمس: الإصابة الخفيفة، والتعبير به حكاية لما سلكه أيوب في دعائه من الأدب مع الله؛ إذ جعل ما حلَّ به من الضر كالمس الخفيف»(١).

◆ ومنها: قوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، فقد أتبع نبي الله أيوب عليه السلام استعطافه بالثناء على ربه بصفة الرحمة، إمعانًا في الاسترحام وإلحاحًا عليه.

◆ ومن أمثال هذه الآية الكريمة وما فيها من انزياح لغرض الاستعطاف: قوله تعالى في سورة (ص): ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾(٢)، وفيه من جماليات الانزياح لغرض الاستعطاف ما في آية سورة (الأنبياء) السابقة.

📖 قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾(٣).

معنى الآيتين: تحكي الآيتان الكريمتان قصة خروج موسى عليه السلام من مصر بعد أن ائتمر عليه الملأ ليقتلوه بعد أن قتل نفسًا منهم، ولما وصل إلى بئر مدين

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (١٧/ ١٢٦).

(٢) [ص: ٤١].

(٣) [القصص: ٢٣-٢٤].

وجد عنده قومًا يسقون مواشيهم، ووجد من بينهم امرأتين تحبسان أغنامهما عن الماء، فسألهما موسى عليه السلام عن شأنهما هذا، فقالا له: لا نسقي أغنامنا حتى ينصرف الرعاء بمواشيهم عن الماء، وأبونا شيخ كبير لا يستطيع أن يسقي، فسقى لهما نبي الله موسى عليه السلام، ثم آوى إلى الظل وناجى ربه بفقره إلى خيراته، وحاجته إلى جوده وكرمه.

محل الانزياح: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

المعنى الحرفي: يخبر نبي الله موسى عليه السلام ربه سبحانه وتعالى -وهو أعلم به- بفقره لما أنزله إليه من خير.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح المناسبة، فن التعريض، غرضه الاستعطاف.

المعنى المعدول عنه: يدعو نبي الله موسى عليه السلام ربه سبحانه وتعالى بأن ينزل عليه من خيراته.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بطلب إنزال الخير، إلى التعريض عنه بذكر فقره لما أنزله الله إليه من خير، واستُلزم المقصود من السياق.

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو طلب إنزال الخير ونحوه، والمعدول إليه هو ذكر فقره لما أنزله الله إليه من خير، فإن المعنى المستلزم يتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "فقره لما أنزله الله إليه من خير" من التضرع إلى الله عز وجل بفقره الداعي إلى رحمة ربه، استعطافًا لربه عز وجل وتذلُّلًا إليه، وهو أدب نبوي عالٍ جاء في كثير من أدعية الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

وقد ذكر ابن جرير الطبري أن قول موسى عليه السلام تعريض للمرأتين ليطعماه، فقد قال: «وذُكِرَ أن نبي الله موسى عليه السلام قال هذا القول وهو بجهد شديد، وعَرَّض ذلك للمرأتين تعريضًا لهما، لعلهما أن تطعماه مما به من شدة الجوع»(١)، ثم روى مثل ذلك عن عطاء بن السائب قال: «بلغني أن موسى قالها وأسمع المرأة»(٢).

وفي قول الطبري وروايته نظر، فإن موسى عليه السلام صدَّر قوله بنداء ربه: ﴿رَبِّ﴾، وفيه دلالة أنه يناجي ربه ويستعطفه ويُعرِّض بحاجته إليه لا إلى المرأتين، فضلًا عن أنه يتعارض مع أخلاق النبوة وأدابها؛ ولذلك قال الرازي: «أما رفع الصوت بذلك لإسماع المرأتين وطلب الطعام فذاك لا يليق بموسى عليه السلام البتة، فلا تقبل تلك الرواية»(٣)، وكذا قال النيسابوري: «ضُعفت الرواية بأن هذا نوع من الدناءة وضعف اليقين بالله، فلا يليق بالنبي»(٤).

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ الاستلزام في الاستعطاف: ما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي﴾ من تأكيد وإلحاح في الدعاء والاستعطاف(٥).

◆ ومن تلك الأساليب الجمالية: ما في قوله تعالى: ﴿لِمَآ أَنزَلْتَ﴾ من ترشيح لما في الانزياح من الاستعطاف والدعاء، حيث عُدِّي ﴿فَقِيرٌ﴾ باللام؛ تضمينًا لمعنى

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٩/ ٥٥٦).

(٢) السابق.

(٣) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢٤/ ٥٨٩).

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، ص (٥/ ٣٣٨).

(٥) انظر: روح المعاني، الألوسي، ص (١٠/ ٢٧٣).

سائل وطالب[١].

◆ ومنها: مجيء قوله تعالى: ﴿أَنزَلْتَ﴾ بلفظ الماضي؛ استعطافًا بذكر خيرات الله السابقة عليه[٢].

◆ ومنها: العموم في قوله تعالى: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾، فالخير جنس عام يشمل كل ما هو ضد الشر؛ وفيه مناسبة للاستعطاف واستنزال الخيرات بجميع أصنافها؛ لذلك ضَعُفَ قول من قال: إن الخير في الآية يراد به الطعام[٣]، ويُستدل على ضعفه كذلك بما ذكره ابن عاشور في قوله: «والخير: ما فيه نفع وملاءمة لمن يتعلق هو به، فمنه خير الدنيا ومنه خير الآخرة، وقد أراد النوعين كما يرمز إلى ذلك التعبير عن إيتائه الخير بفعل ﴿أَنزَلْتَ﴾ المشعر برفعة المعطَى»[٤].

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٣/ ٤٠٢).

(٢) انظر: روح المعاني، الألوسي، ص (١٠/ ٢٧٣).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٩/٥٥٦). النكت والعيون، الماوردي، ص (٤/٢٤٦). التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٧/٣٧٣). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (٤/٢٨٤).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٢٠/ ١٠٢) باختصار.

خاتمة الفصل

وقد خَلَصَ البحثُ في هذا الفصل إلى ما يلي:

١- ثراء القرآن الكريم بأساليب انزياح المناسبة.

٢- تنوع أساليب انزياح المناسبة الواردة في القرآن الكريم إلى: أسلوب الحكيم، والتعريض.

٣- تعدد الأغراض الرئيسة التي جاءت أساليب انزياح المناسبة الواردة في القرآن الكريم لتحقيقها إلى: بيان الأولى، والاستعطاف.

٤- غنى أساليب انزياح المناسبة في القرآن الكريم بجملة من الجماليات المصاحبة لها والداعمة لمقصودها.

٥- لكل أسلوب من أساليب انزياح المناسبة في القرآن الكريم جماليته المتميزة عن بقية الأساليب.



الفصل الخامس

انزياح الأسلوب في القرآن الكريم

الفصل الخامس: انزياح الأسلوب في القرآن الكريم

مدخل:

يتعاون المتكلم والمخاطب في إيصال مقصودهما ومن ثم نجاح الحوار، ويشمل هذا التعاونُ أربعَ قواعد فرعية متفقًا عليها بين المتكلم والمخاطب ضمنيًّا(١)، وبناء على مبدأ التعاون والالتزام بقواعده الأربعة يستطيع المتكلمُ أن يوصل مقصودَه إلى المخاطب بطريق مباشر دون معوقات، فإذا أراد المتكلم أن يوصل مقصوده بطريق غير مباشر فسينزاح عن الالتزام بهذه القواعد الفرعية، ليجعل هذا الانزياحَ مستلزِمًا لمقصوده.

ويختص هذا الفصل بالانزياح عن إحدى القواعد الفرعية لمبدأ التعاون، وهي قاعدة الأسلوب التي تُعنى بوضوح المعلومات المقدمة للمخاطب.

فانزياح الأسلوب هو: عدول المتكلم عن القول الواضح، مستلزِمًا لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويُفهم من السياق(٢).

وقد جاء انزياح الأسلوب بطرائقه المتنوعة في القرآن الكريم ليؤدي أغراضًا جمالية وتداولية متنوعة، ومن هذه الأغراض الرئيسة ما انتظم في المباحث التالية:

---

(١) عن مبدأ التعاون وقواعد الأربعة انظر: ص (٢٧) من هذا البحث.

(٢) لمزيد من التفصيل النظري حول هذا النوع من الانزياح انظر: ص (٤٠) من هذا البحث.

المبحث الأول: التلطف.

المبحث الثاني: الإيضاح.

المبحث الثاني: التكثير.

المبحث الأول: التلطف

من أغراض انزياح الأسلوب في القرآن الكريم: التلطف، وهو لغة: الترفُّق، واللطيف: «الذي يوصل إليك أَرَبَك في رفق، واللطيف من الكلام: ما غَمُضَ معناه وخفي»[(١)]. والمقصود من الانزياح بغرض التلطف: العدول عن التصريح ببعض الألفاظ التي يجمُل طيُّ ذكرها كالجماع ونحوه، إلى ذكر لازمها، وترك استنتاج المعنى المستلزم المراد إلى المخاطب استدلالًا بالسياق؛ تلطُّفًا في العبارة وتهذُّبًا.

ويقول أبو العباس الجرجاني: «واعلم أن الأصل في الكنايات عبارة الإنسان عن الأفعال التي تُستر عن العيون عادةً مِن قضاء الحاجة والجماع وما يجري معهما وما يقرب منهما، بألفاظ تدل عليها، غير موضوعة لها؛ تنزهًا عن إيرادها على جهتها، وتحرزًا عمَّا صيغ لأجلها؛ إذ الحاجة إلى ستر أقوالها كالحاجة إلى ستر أفعالها، فالكناية عنها خدر لمعانيها يُستتر به عوارُها، ويُحتجب عن الأسماع شَنارُها»[(٢)].

ومن شواهد هذا الغرض في القرآن العظيم ما يلي:

---

(١) تهذيب اللغة، الأزهري، ص (١٣/٢٣٥) باختصار. وانظر: لسان العرب، ابن منظور، ص (٩/٣١٦).

(٢) كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، القاضي أبو العباس الجرجاني أحمد بن محمد (المتوفى: ٤٨٢هـ)، تحقيق: د. محمود شاكر القطان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣م، ص (٤١).

📖 قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾(١).

معنى الآية: يبين الله عز وجل في هذه الآية الكريمة حكمًا من أحكام الصيام، وهو جواز الجماع في ليلة الصيام، فقد «كان الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصوم الصيام بالنهار، فإذا أمسى أكل وشرب وجامع النساء، فإذا رَقَد حُرِّم ذلك كله عليه إلى مثلها من القابلة»(٢)، فنسخ الله هذا الحكم وأحلَّ للمسلمين في ليلة صيامهم جماع نسائهم، فهن ستر وإعفاف لأزواجهم، وكذلك أزواجهم لهن. وهذا الحكم تخفيف من الله بعد أن علم أن بعضهم كانوا يفعلون ما نُهوا عنه، فتاب عليهم وغفر لهم، فالآن فليأتوا أزواجهم وليطلبوا ما أباحه الله لهم، وليأكلوا وليشربوا حتى طلوع الفجر، ثم ليصوموا إلى غروب الشمس. ثم بيَّن الله عز وجل حكمًا آخر يتعلق بالاعتكاف، وهو حرمة الجماع أثناء الاعتكاف في المساجد. ثم خُتمت الآية بتحذير المسلمين من الاعتداء على أحكام الله وأوامره، وكذلك يبين الله آياته لعل الناس يتقون محارمه ويخافون عقابه.

محل الانزياح: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾.

---

(١) [البقرة:١٨٧].

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١/٤٩٨).

المعنى الحرفي: أُحِلَّ لكم ليلة صيامكم التحدثُ إلى أزواجكم بكلام الجماع.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح الأسلوب، فن الكناية، غرضه التلطف.

المعنى المعدول عنه: أُحِلَّ لكم ليلة صيامكم جماعُ نسائكم.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بلفظ الجماع، إلى التعبير عنه بأحد لوازمه وهو الرفث، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اختلف المفسرون في الآية الكريمة على قولين: القول الأول: أن الآية الكريمة من باب الانزياح، وأن الرفث كناية عن الجماع، وهو قول عامة المفسرين[١]. القول الثاني: أن الآية على حقيقتها، وأن الرفث حقيقة في الجماع[٢].

والراجح قول عامة المفسرين أن الآية من باب الانزياح؛ لوجوه:

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٣/ ٤٨٧). معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ص (١/ ٢٥٥). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (١/ ٦١٥). التفسير البسيط، الواحدي، ص (٣/ ٥٩٦). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (١/ ٢٣٠). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (١/ ٢٥٦).

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (٢/ ٤٩). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٢/ ١٧٥). التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (١٨٢/٢).

الأول: أن اللغة تشهد له، فإن أصل الرفث: الفُحْش في القول[١].

الثاني: أن ما استُدل به من الشعر على كون الرفث حقيقة في الجماع لا حجة فيه، وقد فنده أبو حيان الأندلسي بقوله: «وقيل: الرفث: الجماع، واستدل على ذلك بقول الشاعر: [بحر الكامل]

وَيُرَيْنَ مِنْ أُنْسِ الحَدِيثِ زَوَانِيًا ... وَلَهُنَّ عَنْ رَفَثِ الرِّجَالِ نِفَارُ

وبقول الآخر: [بحر الوافر]

فَبَاتُوا يَرْفُثُونَ وَباتَ مِنَّا ... رِجَالٌ في سِلاحِهِمُ رُكُوبا

وبقول الآخر: [بحر المتقارب]

فَظَلْنا هُنالك[٢] في نِعْمَةٍ ... وَكُلِّ اللَّذاذَةِ غَيْرَ الرَّفَثْ

ولا دلالة في ذلك؛ إذ يحتمل أن يكون أراد المقدمات: كالقبلة والنظرة والملاعبة»[٣].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ص (١٥/٥٨). لسان العرب، ابن منظور، ص (٢/١٥٣).

(٢) في الأصل: "هناك". والوزن لا يستقيم عليه، ولعله تصحيف من الناسخ أو خطأ من المحقق. والتصويب من: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: مجموعة، إشراف: د. صلاح باعثمان وآخرين، دار التفسير، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص (٤/ ٥٣١).

(٣) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٢/ ١٧٦). وانظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ص (٤/ ٥٣١).

الثالث: لعل مرجع القول بأن الرفث حقيقة في الجماع إلى لبس في الفهم، فقد قال أبو الحسن الماتريدي في تفسير الآية: «قيل: (الرفث): الجماع، وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه»[1]، وإنما مراد ابن عباس رضي الله عنهما أن الرفث في الآية يُراد به الجماع، لا أنه حقيقة فيه، بدليل ما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى مفصلة قال: «الرفث: الجماع، ولكن الله كريم يكني»[2]؛ ولذلك حكى مكي بن أبي طالب الإجماع على أن الرفث كناية في الجماع[3].

فإذا كانت الآية الكريمة من باب الانزياح فإن المعنى المعدول عنه هو لفظ "الجماع" ونحوه، والمعدول إليه هو "الرفث"، أما المعنى المستلزم فيتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر الرفث من دلالات، وتظهر جمالية هذه الدلالات من ثلاث جهات: الأولى: مسوغ نيابة الرفث عن الجماع. والثانية: الغرض من هذا الانزياح. والثالثة: مناسبة هذا الانزياح للسياق.

أما مسوغات نيابة الرفث عن الجماع فإن الجماع لا يكاد يخلو من رفث، وقد اختُلف في معنى الرفث على قولين حكاهما الألوسي بقوله: «الرفث: يحتمل أن يكون قولًا، وأن يكون فعلًا»[4]، فإن كان قولًا فيُقصد به: ما يُتكلم به عند النساء من

---

(١) تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (٢/ ٤٩).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (١/ ٦١٥). وانظر: التفسير البسيط، الواحدي، ص (٣/ ٥٩٧). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (٢٥٦/١). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٢/ ٣١٥).

(٣) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (١/ ٦١٥).

(٤) روح المعاني، الألوسي، ص (١/ ٤٦١).

معاني الإفضاء[١]، وإن كان فعلًا فيُقصد به: المقدمات: كالقبلة والنظرة والملاعبة[٢].

وأما الغرض من هذه الانزياح فالتلطف في العبارة عن الجماع، وهو أدب عظيم من آداب القرآن الكريم في الأفعال التي يجب سترها عن الأعين كالجماع وقضاء الحاجة ونحوه[٣].

وأما مناسبة الرفث للسياق دون غيره من كنايات الجماع فيوضحه الزمخشري بقوله: «فإن قلت: لِمَ كُني عنه هاهنا بلفظ "الرفث" الدال على معنى القبح، بخلاف قوله: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[٤]، ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾[٥]، ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾[٦]، ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[٧]، ﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾[٨]، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾[٩]، ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾[١٠]،

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٥/ ٢٦٩).

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٢/ ١٧٦).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بدر الدين (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، القاهرة، ص (٢/٣٠٤).

(٤) [النساء:٢١].

(٥) [الأعراف:١٨٩].

(٦) [البقرة:١٨٧].

(٧) [النساء:٤٣]، [المائدة:٦].

(٨) [النساء:٢٣].

(٩) [البقرة:٢٢٣].

(١٠) [البقرة:٢٣٧]، [الأحزاب:٤٩].

﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾[(١)]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾[(٢)]؟ قلت: استهجاناً لما وُجد منهم قبل الإباحة، كما سماه اختياناً لأنفسهم»[(٣)].

◆ وفي التعبير بالرفث دون ما هو ألطف منه نكتةٌ أخرى، وهي أنه لما أُحِلَّ لهم الرفث في ليلة الصيام كان ذلك دعوة إلى تركه في نهار الصيام، كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «**إذا كان يومُ صومِ أحدِكم فلا يَرْفُثْ ولا يَصْخَبْ**»[(٤)].

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ الاستلزام في التلطف: ما في قوله تعالى: ﴿نِسَآئِكُمْ﴾ من متابعةٍ لما في الانزياح في قوله: ﴿ٱلرَّفَثُ﴾ من التلطف في العبارة والتهذب، وتأكيدٍ عليه، فكما كُني عن الجماع بلفظ غير مباشر، فكذلك كُني عن الزوجات بلفظ غير مباشر.

📖 قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾[(٥)].

معنى الآية: ينهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن يُصَلُّوا وهم سكارى

---

(١) [النساء:٢٤].

(٢) [البقرة:٢٢٢].

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (١/٢٣٠). وانظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٥/ ٢٦٩).

(٤) صحيح البخاري، (١٩٠٤) واللفظ له. صحيح مسلم، (١١٥١).

(٥) [النساء:٤٣].

حتى يفيقوا من سكرهم ويعوا ما يقولون، وكان هذا قبل تحريم الخمر. ولا يصلوا كذلك إذا أحدثوا حدثًا أكبر حتى يغتسلوا، إلا إذا كانوا مسافرين فليتمموا. وإن كانوا مرضى يضرهم الماء، أو مسافرين، أو أحدثوا حدثًا أصغر، أو جامعوا نساءهم، ولم يجدوا ماءً للوضوء والاغتسال؛ فليقصدوا إلى تراب طاهر، وليمسحوا منه وجوههم وأيديهم، إن الله كان عفوًّا غفورًا.

محل الانزياح: ﴿لَمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾.

المعنى الحرفي: ملامسة النساء.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح الأسلوب، فن الكناية، غرضه التلطف.

المعنى المعدول عنه: جماع النساء.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بلفظ الجماع ونحوه، إلى التعبير عنه بإحدى لوازمه وهي الملامسة، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اختلف المفسرون في الآية الكريمة على قولين(١): القول الأول: أن الآية الكريمة من باب الانزياح، وأن الملامسة كناية عن الجماع. القول الثاني: أن الآية على

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٨/ ٣٨٩). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (٢/ ١٣٤٢). النكت والعيون، الماوردي، ص (١/ ٤٩١). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (٢/ ٥٨). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٥/ ٢٢٣). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٣/ ٦٥٣).

حقيقتها، والمراد من الملامسة اللمس بالأيدي أو ببعض الجسد.

والراجح القول الأول: أن الآية الكريمة من باب الانزياح، وأن الملامسة كناية عن الجماع؛ لوجوه:

الأول: ما رواه الطبري عن «سعيد بن جبير قال: اختلفت أنا وعطاء وعبيد بن عمير في قوله: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾، فقال عبيد بن عمير: هو الجماع. وقلت أنا وعطاء: هو اللمس. قال: فدخلنا على ابن عباس فسألناه، فقال: غُلِبَ فريق الموالي، وأصابت العربُ، هو الجماع، ولكن الله يعفُّ ويُكني»(١).

الثاني: قول الرازي: «واحتج من قال: المراد باللمس الجماع، بأن لفظ اللمس والمس وردا في القرآن بمعنى الجماع، قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾(٢)، وقال في آية الظهار: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾(٣)، وعن ابن عباس أنه قال: إن الله حيي كريم يعفُّ ويُكني، فعبَّر عن المباشرة بالملامسة. وأيضا الحدث نوعان: الأصغر، وهو المراد بقوله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾، فلو حملنا قوله: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ على الحدث الأصغر لما بقي للحدث الأكبر ذكر في الآية، فوجب حمله على الحدث الأكبر»(٤).

الثالث: قول ابن عاشور: «إنما لم يُستغن عن ﴿لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ بقوله آنفًا: ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ لأن ذلك ذكر في معرض الأمر بالاغتسال، وهذا ذُكر في معرض الإذن بالتيمم الرخصة. والمقام مقام تشريع يناسبه عدم الاكتفاء بدلالة الالتزام، وبذلك يكون وجه

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٨/٣٩٠).

(٢) [البقرة: ٢٣٧].

(٣) [المجادلة: ٣].

(٤) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (١٠/ ٨٩).

لذكره وجيه»[١].

فإذا كانت الآية الكريمة من باب الانزياح فإن المعنى المعدول عنه هو لفظ "الجماع" ونحوه، والمعدول إليه هو "الملامسة"، أما المعنى المستلزم فيتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر الملامسة من دلالات، وتظهر جمالية هذه الدلالات من ثلاث جهات: الأولى: مسوغ نيابة الملامسة عن الجماع. الثانية: الغرض من هذا الانزياح. الثالثة: مناسبة هذا الانزياح للسياق.

أما مسوغ نيابة الملامسة عن الجماع فإن الملامسة إحدى لوازم الجماع ومقدماته، وأما الغرض من هذا الانزياح فالتلطف في العبارة والتأدب في صون اللسان عما يُكره التصريح به، وأما مناسبة الملامسة للسياق دون غيرها من كنايات الجماع فإن المقام مقام عبادة وصلاة، فناسبه ألطف كنايات الجماع وهي الملامسة.

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ الاستلزام في التلطف: ما في قوله تعالى: ﴿ٱلنِّسَآءَ﴾ من متابعة لما في الانزياح في قوله: ﴿لَـٰمَسۡتُمُ﴾ من التلطف في العبارة والتهذب، والتأكيد عليه، فكما كُني عن الجماع بلفظ غير مباشر، فكذلك كُني عن الزوجات بلفظ غير مباشر.

◆ ومن العدول عن لفظ الجماع ونحوه إلى الملامسة كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَـٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٥/ ٦٧).

عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾[(١)].

📖 قال تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾[(٢)].

معنى الآية: تقص الآية الكريمة من نبأ مريم عليها السلام، إذ جاءها رسول ربها ليبشرها بغلام زكي، فقالت: كيف يكون لي غلام ولم أتزوج ولم أكن زانية؟!

محل الانزياح: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾.

المعنى الحرفي: ولم يمسسني بشر.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح الأسلوب، فن الكناية، غرضه التلطف.

المعنى المعدول عنه: ولم ينكحني زوج.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بلفظ النكاح ونحوه، إلى التعبير عنه بأحد لوازمه وهو المسُّ، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اتفق عامة المفسرين على ما في الآية الكريمة من انزياح[(٣)]، ثم اختلفوا في

---

(١) [المائدة:٦].

(٢) [مريم:٢٠].

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٨/ ١٦٥). معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ص (٣/ ٣٢٣). تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (٧/ ٢٢٨). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (٧/ ٤٥١٢). الكشاف عن

المعنى المعدول عنه على قولين: الأول: أن المعنى المعدول عنه هو النكاح الحلال. الثاني: أنه النكاح سواء أكان حلالًا أم حرامًا.

والراجح القول الأول؛ لوجوه:

الأول: عطف ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ على ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ يعضد اختلافهما، ليختص الأول بالنكاح الحلال، والثاني بالسِّفاح الحرام[1]. أما على القول الثاني فهو من باب عطف الخاص على العام، والأول أبلغ.

الثاني: أن النكاح الحلال مما يَحسن التكنيةُ عنه، كما في قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾[2]، وقوله: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[3]، بينما السِّفاح ليس كذلك، وإنما يقال فيه: فجر بها وخبث بها وما أشبه ذلك، وليس بقَمِنٍ أن تُراعى فيه الكنايات والآداب[4].

الثالث: ما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير الآية: «تريد: ليس لي زوج، ولست بزانية»[5].

حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٣/ ١٠). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢١/ ٥٢٣). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٩١/١١). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٧/ ٢٤٩).

(١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ص (٤/ ٨).

(٢) [البقرة: ٢٣٧].

(٣) [النساء:٤٣]، [المائدة:٦].

(٤) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٣/ ١٠).

(٥) التفسير البسيط، الواحدي، ص (٢١٥/١٤). وقد علَّقه عن ابن عباس ولم يسنده، ولم أقف عليه مسندًا.

الرابع: أن ما في قوله تعالى في "سورة آل عمران": ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾[(١)] من اقتصار على المس لا حجة فيه على أن المس يشمل النكاح والسفاح؛ إذ الاقتصار على النكاح في "سورة آل عمران" مقصودٌ لمناسبته لسياقه، وكذلك عطف السفاح على النكاح في "سورة مريم"، ويوضحه الألوسي بقوله: «استُوعبت الأقسام هاهنا [أي: في سورة مريم] لأنه مقام البسط، واقتصرت على نفي النكاح ثَمَّ [أي: في سورة آل عمران] لعدم التهمة، ولعلمها أنهم ملائكة يُنادُون لا يَتخيلون فيها التهمة، بخلاف هذه الحالة، فإن جبريل عليه السلام كان قد أتاها في صورة شاب أمرد؛ ولهذا تعوذت منه، ولم يكن قد سكن روعها بالكلية، إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾[(٢)]، على أنه قيل: إن في "آل عمران" من الاكتفاء وترك الاكتفاء في هذه لأنه تقدم نزولها، فهي محل التفصيل، بخلاف تلك لسبق العلم»[(٣)].

فإذا كانت الآية الكريمة من باب الانزياح فإن المعنى المعدول عنه هو لفظ "النكاح" ونحوه، والمعدول إليه هو "المس"، أما المعنى المستلزم فيتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر المس من دلالات، وتظهر جمالية هذه الدلالات من ثلاث جهات: الأولى: مسوغ نيابة الملامسة عن النكاح. الثانية: الغرض من هذا الانزياح. الثالثة: مناسبة هذا الانزياح للسياق.

أما مسوغ نيابة المس عن النكاح فإن المس أحد لوازم النكاح، وأما الغرض من هذا الانزياح فالتلطف في العبارة والتأدب في صون اللسان، وأما مناسبة المس للسياق دون غيره من كنايات النكاح، ففيه مناسبة لحال المتكلم، وهي مريم العذراء العفيفة

(١) [آل عمران:٤٧].

(٢) [مريم: ١٩].

(٣) روح المعاني، الألوسي، ص (٨/ ٣٩٧).

التي لم يسبق أن مسها مخلوق.

وإذا كانت الملامسة في الآية السابقة ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾(١) من ألطف الكنايات في بابها، فإن المس ألطفهن وأكثرها تهذبًا.

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ الاستلزام في التلطف: ما في قوله تعالى: ﴿بَشَرٌ﴾ من متابعة لما في الانزياح في قوله: ﴿يَمْسَسْنِى﴾ من التلطف في العبارة والتهذب، والتأكيد عليه، فكما كُني عن النكاح بلفظ غير مباشر، فكذلك كُني عن الزوج بلفظ غير مباشر.

◆ ومن العدول عن لفظ النكاح إلى المس كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾(٣).

---

(١) [النساء:٤٣].

(٢) [آل عمران:٤٧].

(٣) [البقرة:٢٣٦].

المبحث الثاني: الإيضاح

من أغراض انزياح الأسلوب في القرآن الكريم: الإيضاح، والمقصود من انزياح الأسلوب بغرض الإيضاح: العدول عن ذكر حقيقة المشاعر النفسية للإنسان إلى التعبير عنها بآثارها ولوازمها المشاهدة، بغية إيضاح هذه المشاعر الغيبية والتأكيد على حقيقتها ووقوعها، فليس أصدق ولا أوضح من أن ترى الشيء الغيبي في دليله وما يلزم عنه.

ومن شواهد هذا الغرض في القرآن العظيم ما يلي:

📖 قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾(١).

معنى الآيتين: تحكي الآيتان الشريفتان من نبأ موسى عليه السلام مع قومه بني إسرائيل، حيث ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه، فاتخذ قومه من بعد ذهابه صنمًا من حليِّهم على هيئة عجل له صوت، ألم يروا أن هذا العجل لا يكلمهم ولا يرشدهم طريقًا؟! لقد عبدوه فظلموا أنفسهم، ولما ندموا وظهر لهم ضلال ما فعلوا قالوا: لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا اتخاذنا العجل وعبادته لنكونن من الخاسرين.

---

(١) [الأعراف:١٤٨-١٤٩].

محل الانزياح: ﴿سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾.

المعنى الحرفي: سقطوا في يد خصمهم.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح الأسلوب، فن الكناية، غرضه الإيضاح.

المعنى المعدول عنه: ندموا.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بالتحسر والندم ونحوه، إلى التعبير عنه بأحد لوازمه وهو السقوط في الأيدي، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اتفق المفسرون -كما حكاه الرازي[1]- على أن المعنى المعدول عنه هو الندم، ثم اختلفوا في حقيقة المعنى المعدول إليه (السقوط في الأيدي) على أربعة وجوه:

الوجه الأول: قال الطبري: «وأصله من الاستئسار، وذلك أن يضرب الرجلُ الرجلَ أو يصرعه، فيرمي به من يديه إلى الأرض ليأسره، فيكتفه، فالمرمي به مسقوط في يدي الساقط به، فقيل لكل عاجزٍ عن شيء وضارعٍ لعجزه متندمٍ على ما قاله: سُقط في يديه»[2].

---

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (١٥/ ٣٦٩). وانظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٣/١١٩). التفسير البسيط، الواحدي، ص (٩/٣٦٣). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (١/ ٤٣٣). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٥/ ١٧٩). روح المعاني، الألوسي، ص (٥/ ٦٢).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٣/١١٩).

الوجه الثاني: قال الواحدي: «ومعنى ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: سقط الندمُ في أيديهم، ولم يُذكر الندمُ وقيل: ﴿سُقِطَ﴾ على ما لم يُسم فاعله»[(١)].

الوجه الثالث: قال الزمخشري: «﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ ﴾: ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل؛ لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غمًّا، فتصير يدُه مسقوطًا فيها؛ لأن فاه قد وقع فيها. و﴿سُقِطَ﴾ مسند إلى ﴿فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾، وهو من باب الكناية»[(٢)].

الوجه الرابع: قال الرازي: «إن من عادة النادم أن يطأطئ رأسه ويضعه على يده معتمدًا عليه، وتارةً يضعها تحت ذقنه وشطر من وجه على هيئة لو نزعت يده لسقط على وجه، فكانت اليد مسقوطًا فيها لتمكن السقوط فيها، ويكون قوله: ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ بمعنى: سقط على أيديهم، كقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[(٣)] أي: عليها. والله أعلم»[(٤)].

ولعل قوله تعالى: ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ أحاط بكل هذا الهيئات والكيفيات الناتجة عن الندم، وهذا من بلاغة القرآن المعجزة وجمالية أسلوبه وتعدد معانيه؛ لذلك قال فيه أبو القاسم الزجاجي: «نظم لم يسمع قبل القرآن ولا عرفته العرب»[(٥)].

---

(١) التفسير البسيط، الواحدي، ص (٣٦٣/٩).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (١/ ٤٣٣).

(٣) [طه: ٧١].

(٤) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٣٧٠/١٥).

(٥) التفسير البسيط، الواحدي، ص (٩/ ٣٦١). ولم أقف عليه فيما وقفت عليه من كتب أبي القاسم الزجاجي.

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو "الندم" ونحوه، والمعدول إليه هو "السقوط في الأيدي، فإن المعنى المستلزم يتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر السقوط في الأيدي من دلالات، وتظهر جمالية هذه الدلالات من ثلاث جهات: الأولى: مسوغ تعبير السقوط في الأيدي عن الندم. الثانية: الغرض من هذا الانزياح. الثالثة: مناسبة هذا الانزياح للسياق.

أما مسوغ تعبير السقوط في الأيدي عن الندم فكونه إحدى لوازمه حسبما بُيِّن في الوجوه الأربعة السابقة، وأما الغرض من هذا الانزياح فإيضاح عاطفة الندم بصورة حسية مشاهدة، وأما مناسبة السقوط في الأيدي للسياق دون غيره من كنايات الندم فلصنعهم الصنم بأيديهم، فناسبه السقوط في الأيدي، وقيل: «خُصت اليد بالذكر لأن مباشرة الذنوب بها، فاللائمة ترجع عليها؛ لأنها هي الجارحة العظمى»[1].

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ الاستلزام في إيضاح عاطفة الندم: تقديم قوله تعالى: ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ على قوله: ﴿وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾، فالندم لا يكون إلا بعد أن يتبين المرءُ ضلالَه؛ وإنما قُدِّم «للمسارعة إلى بيانه، والإشعار بغاية سرعته، كأنه سابق على الرؤية»[2]؛ «موعظةً للسامعين لكيلا يعجلوا في التحول عن سنتهم، حتى يتبينوا عواقب ما هم متحولون إليه»[3]. وقيل: «يمكن تقدم الندم على تبين الضلال لأن الإنسان إذا شك في العمل الذي أقدم

---

(١) التفسير البسيط، الواحدي، ص (٩/ ٣٦٣).

(٢) روح المعاني، الألوسي، ص (٥/ ٦٢).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص (٩/ ١١١).

عليه أهو صواب أو خطأ حصل له الندم، ثم بعدُ يتكامل النظر والفكر فيعلم أن ذلك خطأ»[(١)].

📖 قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾[(٢)].

معنى الآية: تقص الآية الكريمة خاتمة صاحب الجنتين الذي أتاه الله جنتين من أعناب ونخيل وزروع يجري بينهما نهر، فتكبر على صاحبه المؤمن وافتخر عليه بكثرة أمواله وأولاده، وأنكر الساعة والبعث، وقد سعى صاحبه المؤمن إلى رده عن كفره وتكبره فلم يفلح، فكان عقابه وخاتمة أمره ما قصته الآية الكريمة، إذ أهلك الله عز وجل ثمار الجنتين، ووقف صاحبُهما بينهما متحسرًا نادمًا على ما بذل في عمارتها، وهي خاوية قد سقط بعضها على بعض، وهو يقول: يا ليتني لم أشرك بربي أحدًا!

محل الانزياح: ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾.

المعنى الحرفي: يقلِّب كفيه ظهرًا لبطنٍ.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح الأسلوب، فن الكناية، غرضه الإيضاح.

المعنى المعدول عنه: يتحسَّر نادمًا.

المعنى المستلزم وجمالياته:

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٥/ ١٧٩).

(٢) [الكهف:٤٢].

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بالتحسر والندم ونحوه، إلى التعبير عنه بأحد لوازمه وهو تقليب الكفين ظهرًا لبطن، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اتفق عامة المفسرين على ما في الآية الكريمة من انزياح، وأن المراد من تقليب الكفين التحسر والندم والتلهف والأسف[١].

وقال أبو الحسن الماوردي في تفسير الآية: «﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾: يحتمل وجهين: أحدهما: يقلب كفيه ندمًا على ما أنفق فيها وأسفًا على ما تلف. الثاني: يقلب ملكه فلا يرى فيه عوض ما أنفق وهلك؛ لأن الملك قد يعبر عنه باليد، من قولهم: في يده مال، أي: في ملكه»[٢]. والوجه الثاني ضعيف، ولم يذكر أبو الحسن الماوردي شواهد عليه، ولعله ذكره من باب جمعه كل الاحتمالات الجائزة وإن كان بعضها ضعيفًا عنده حسب ما انتهجه في تفسيره. وقد تعقب الشوكاني هذا الرأي بقوله: «وقيل: المعنى: يقلب ملكه فلا يرى فيه عوض ما أنفق؛ لأن الملك قد يعبر عنه باليد من قولهم: في يده مال، وهو بعيد جدًّا»[٣].

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٨/ ٢٧). تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (٧/ ١٧٣). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (٦/ ٤٣٨٨). التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٤/ ٢٨). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٢/ ٧٢٤). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢١/ ٤٦٥). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (٧/ ١٨١).

(٢) النكت والعيون، الماوردي، ص (٣/ ٣٠٨). وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (١٠/ ٤١٠). فتح القدير، الشوكاني، ص (٣/ ٣٤١).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، ص (٣/ ٣٤١).

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو الندم والحسرة ونحوه، والمعدول إليه هو تقليب الكفين، فإن المعنى المستلزم يتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر تقليب الكفين من دلالات، وتظهر جمالية هذه الدلالات من ثلاث جهات: الأولى: مسوغ دلالة تقليب الكفين على الندم والحسرة. الثانية: الغرض من هذا الانزياح. الثالثة: مناسبة هذا الانزياح للسياق.

أما مسوغ دلالة تقليب الكفين على الندم والحسرة فإن تقليب الكفين إحدى لوازم الندم والحسرة، «فهكذا عادة الناس أنهم إذا أصابهم خسران أو مصيبة يقلبون كفهم بعضهم على بعض؛ على الندم والحسرة على ما فات»(١)، كذلك في تقليب الكفين «إيحاء لطيف يناسب الحالة النفسية للمتحسر يتمثل في حركتهما التي توحي بفراغ الكفين بعد قبضهما على شيء، وكأن تقليبهما إعلان عن هذا، فضلًا عن الندم والتحسر عليه»(٢).

وأما الغرض من هذا الانزياح فإيضاح هذه العاطفة ببيان آثارها على الجسد، فترى المعنوي في ثوب مادي.

وأما مناسبته للسياق دون غيره من كنايات الندم فلكون كفيه ويديه هي مَن زرعت ورعت، وكذلك لمناسبتها لقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ فهي التي تنفق، فناسبها أن تكون أول المتحسرين على ضياع جهدها وما أنفقته.

---

(١) تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (١٧٣/٧). وانظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٢٧/١٨). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (٤٥١٢/٧). التفسير البسيط، الواحدي، ص (٢٨/١٤).

(٢) الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية، د. أحمد فتحي الحياني، دار غيداء، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص (١٤٢) بتصرف يسير.

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ الاستلزام في إيضاح عاطفة الندم والحسرة: تعليق ضرب الكفين (الندم والحسرة) بما أنفقه وبذله من جهد ومال دون هلاك الثمار وخراب الجنتين الماثل أمام عينيه؛ مبالغةً في الحسرة والندم بتأنيب النفس على اختيارها الإنفاق على الجنتين دون غيره من وجوه التجارة والربح. ويوضح الألوسي علة تأنيبه نفسه بقوله: «لأن ما أنفق في عمارتها كان يمكن صيانته عن طوارق الحَدَثان وقد صرفه إلى مصالحها؛ رجاءً أن يتمتع بها أكثر مما يتمتع به، وكان يرى أنه لا تنالها أيدي الردى؛ ولذلك قال: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾[1]، فلما ظهر له أنها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من إنفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال»[2].

📖 قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾[3].

معنى الآية: جاءت هذه الآية الكريمة في ثنايا ذكر صفات عباد الرحمن، فمن صفاتهم التي بينتها هذه الآية: أنهم يدعون الله سبحانه وتعالى أن يمنَّ عليهم بأزواج وأبناء مرضيين لهم مسرورين بهم، وأن يجعلهم أئمة للمتقين.

محل الانزياح: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

المعنى الحرفي: ما تسكن به أعينهم.

---

(١) [الكهف: ٣٥].

(٢) روح المعاني، الألوسي، ص (٨/ ٢٦٩).

(٣) [الفرقان: ٧٤].

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح الأسلوب، فن الكناية، غرضه الإيضاح.

المعنى المعدول عنه: ما يرضونه ويسرون به.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بالرضا والسرور، إلى التعبير عنه بإحدى لوازمه وهي قرة الأعين، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اتفق المفسرون على دلالة المعنى المعدول عنه (قرة الأعين) على الرضا والسرور[١]، ثم اختلفوا في حقيقة "القرة" ومن ثم كيفية دلالتها على معنى الرضا والسرور، على قولين حكاهما المفضل بن سلمة بقوله: «قال الأصمعي: المعنى: أبرد الله دمعته؛ لأن دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن حارة. و"أقر" مشتق من القَرُور، وهو الماء البارد. وقال غيره: معنى أقر الله عينك أي: صادفت ما يرضيك فتقر عينك من النظر إلى غيره»[٢]، وذكر أبو عمرو الشيباني وجهًا ثانيًا في توجيه كيفية دلالة القول الثاني على الرضا والسرور، فقال: «أقر الله عينه: والمعنى: صادف سرورًا أذهب سهره؛ فنام»[٣].

---

(١) انظر: النكت والعيون، الماوردي، ص (٤/ ١٦١). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٣/ ٢٩٦). مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢٤/ ٤٨٦). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (٨٢/١٣). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ص (٤/ ١٣١). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (١٣٣/٨).

(٢) الفاخر، المفضل بن سلمة بن عاصم أبو طالب (المتوفى: نحو ٢٩٠هـ)، تحقيق: عبدالعليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ، ص (٦).

(٣) السابق.

ولا يمنع أن يُراد بـ"قرة الأعين" كلَّ حال تَقر به الأعينُ وتُسرُّ، سواء أكان ذلك دمعًا باردًا أم سكونًا أم نومًا أم غير ذلك، وهذا من بلاغة القرآن العظيم وتعدد معانيه.

وكذلك اختلف المفسرون في مراد المؤمنين من دعوتهم وأي شيء تحصل به سعادتهم: فقال الطبري: «يقول تعالى ذكره: والذين يرغبون إلى الله في دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقر به أعيننا من أن تُريناهم يعملون بطاعتك»(١)، وقال الزمخشري: «سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجًا وأعقابًا عمّالًا لله، يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم»(٢)، وقال الرازي: «لا شبهة أن المراد أن يكون قرة أعين لهم في الدين، لا في الأمور الدنيوية من المال والجمال»(٣).

ولعل تغييب كنه ما تقر به الأعين وما هو سبب رضاهم وسرورهم لما كان الداعون كُثرًا وتختلف حاجاتهم وما يسعدهم من أبنائهم وأزواجهم؛ ولذلك فإطلاقه أجمل وأبلغ من تقييد عامة المفسرين له.

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو الرضا والسرور ونحوه، والمعدول إليه هو "قرة أعين"، فإن المعنى المستلزم يتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "قرة أعين" من دلالات، وتظهر جمالية هذه الدلالات من ثلاث جهات: الأولى: مسوغ دلالة "قرة أعين" على الرضا والسرور. الثانية: الغرض من هذا الانزياح. الثالثة: مناسبة هذا الانزياح للسياق.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (١٩/ ٣١٨).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٣/ ٢٩٦).

(٣) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢٤/ ٤٨٦).

أما دلالة "قرة أعين" على الرضا والسرور فإنها إحدى لوازم السرور سواء أكانت بمعنى برد العين وهدوئها أم سكونها وطمأنيتها. وتكمن جمالية هذا الانزياح في غرضه التوضيحي حيث شُخصت عاطفة الرضا والسرور عيانًا في إحدى لوازمها. وأما مناسبة "قرة أعين" للسياق دون غيره من كنايات السرور فلقد ذكر القرآن الكريم في مواضع عديدة أن من صفات المؤمنين بكاءهم خشيةً وخشوعًا(١)، فلمَّا كانت الآيات هنا في وصف عباده المؤمنين ناسبه التكنية عن السرور بقرة الأعين، وفيه إشارة لطيفة إلى أن الجزاء من جنس العمل، فكما بكوا خشوعًا لله جزاهم الله بقرة أعينهم.

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة المصاحبة للاستلزام الحواري: جمع قوله تعالى: ﴿أَعْيُنٍ﴾ جمع قلة؛ بيانًا لحال الداعين من حيث الكثرة والقلة، فإن أعين المتقين قليلة بالنسبة إلى غيرهم مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾(٢)(٣).

---

(١) قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم:٥٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩].

(٢) [سبأ:١٣].

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ص (٢٤/ ٤٨٧). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ص (٤/ ١٣١). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ص (٦/ ٢٣١).

◆ ومن العدول عن لفظ الرضا والسرور إلى لفظ "قرة أعين" كذلك: ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

📖 قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾[2].

معنى الآية: يوصي لقمان عليه السلام ابنه بعدة وصايا، من بينهن ما جاء في هذه الآية الكريمة من حثٍّ على التواضع ونهي عن التكبر والإعجاب بالنفس، فالله سبحانه وتعالى لا يحب كلَّ متكبر فخور.

محل الانزياح: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾.

المعنى الحرفي: ولا تُمل خدك للناس.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح الأسلوب، فن الكناية، غرضه الإيضاح.

المعنى المعدول عنه: لا تتكبر على الناس.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التصريح بلفظ التكبر ونحوه، إلى التعبير عنه بإحدى لوازمه وهي تلك المشية المعوجة حيث إمالة الخد، واستُلزم المقصود من السياق.

---

(١) [السجدة:١٧].

(٢) [لقمان:١٨].

وأصل لفظ "الصَّعَر": «مَيَل في العنق، وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين»[١]، وقيل: أصله: «داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تَلْفِتَ أعناقَها عن رؤوسها»[٢].

وقد اتفق عامة المفسرين على ما في الآية الكريمة من انزياح[٣]، ثم اختلفوا في المعنى المعدول عنه على قولين: الأول: أنه الكِبْر، حيث يلوي الشخص عنقه ويعرض بوجهه استكبارًا. والثاني: أنه التشدق، «وهو أن تلوي شدقك إذا ذكر الرجل عندك كأنك تحتقره»[٤]. وجمع الطبري بين المعنيين فقال: «وتأويل الكلام: ولا تعرض بوجهك عمن كلمته تكبرًا واستحقارًا لمن تكلمه»[٥]، وهو جمع جيد لولا أن سياق اللف والنشر المرتب في الآية يشهد للأول، حيث جُمِع بين المصعر خده والماشي مرحًا، ثم وُصِفا على الترتيب بالمختال والفخور[٦].

---

(١) كتاب العين، الخليل، ص (١/ ٢٩٨). وانظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ص (٢/ ٧١٢). لسان العرب، ابن منظور، ص (٤/ ٤٥٦).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٢٠/ ١٤٣).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٢٠/ ١٤٣). تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (٨/ ٣٠٧). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (٩/ ٥٧٢٩). النكت والعيون، الماوردي، ص (٤/ ٣٣٩). التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٨/ ١١٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (١٤/ ٧٠). وانظر: النكت والعيون، الماوردي، ص (٤/٣٣٩).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٢٠/ ١٤٣).

(٦) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٣/ ٤٩٧). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص (٤/ ٣٥١). روح المعاني، الألوسي، ص (١١/ ٨٩).

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو "التكبر" ونحوه، والمعدول إليه هو "تصعير الخدين"، فإن المعنى المستلزم يتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر "تصعير الخدين" من دلالات، وتظهر جمالية هذه الدلالات من ثلاث جهات: الأولى: مسوغ دلالة "تصعير الخدين" على التكبر. الثانية: الغرض من هذا الانزياح. الثالثة: مناسبة هذا الانزياح للسياق.

أما مسوغ دلالة "تصعير الخدين" على التكبر فإنه من لوازمه، حيث يلوي المتكبر عنقه على أحد جانبي خده رافعًا للجانب الآخر شامخًا بأنفه. وأما الغرض من هذا الانزياح فإيضاح خلق الكبرياء وتجسيده من خلال إحدى لوازمه التي لا يختلف اثنان على قبحها وهي تصعير الخدين. وأما مناسبة "تصعير الخدين" للسياق دون غيره من كنايات التكبر فلمناسبتها لمشية المختال الفرح المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾.

◆ ومن الأساليب الجمالية في الآية الكريمة التي دعمت غرضَ الاستلزام في إيضاح خلق الكبرياء: مجيء قوله تعالى: ﴿تُصَعِّرْ﴾ على وزن "تفعّل" الدال على المبالغة؛ تصويرًا للمبالغة في هذه الهيئة وتكلفها[1].

📖 قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾[2].

معنى الآيات: الآيات الكريمة «تفريع على قوله: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾﴾[3]،

---

(١) انظر: التفسير البسيط، الواحدي، ص (١٨/ ١١٣). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (١٤/ ٧٠).

(٢) [القيامة: ٣١-٣٣].

(٣) [القيامة: ٦].

فالضمير عائد إلى الإنسان في قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾[(١)] أي: لجهله البعث لم يستعد له»، فلم يصدق بما أمره الله به، ولا صلَّى ما افترضه الله عليه، وإنما كذَّب به وأعرض عنه، ثم مضى إلى أهله متبخترًا في مشيته.

محل الانزياح: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾.

المعنى الحرفي: ذهب إلى أهله ممدِّدًا خطواته موسّعًا بينهم، أو ملويًا ظهره متمايلًا بيديه.

نوع الانزياح وأسلوبه وغرضه: انزياح الأسلوب، فن الكناية، غرضه الإيضاح.

المعنى المعدول عنه: ذهب إلى أهله معجبًا بنفسه وبصنيعه.

المعنى المستلزم وجمالياته:

◆ عُدل في الآية الكريمة عن التعبير عن العجب بالنفس ونحوه بلفظه المباشر، إلى التعبير عنه بأحد لوازمه وهو التبختر في المشية (التمطي)، واستُلزم المقصود من السياق.

وقد اختُلف في هيئة التمطي على وجهين: فقيل: أصله من المطا وهو الظهر، وتمطيه تلويته متمايلًا بيديه، وقيل: أصله يتمطط فقلبت طاؤه ياءً أي: يتمدد، وتمطيه توسعته خطواته[(٢)].

---

(١) [القيامة:٣].

(٢) انظر: كتاب العين، الخليل، ص (٧/ ٤٦٣). تهذيب اللغة، الأزهري، ص (١٣/ ٢١٠). لسان العرب، ابن منظور، (١٥/ ٢٨٥). جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٢٤/ ٨١). زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ص (٤/ ٣٧٢). مفاتيح الغيب،

وقد اتفق عامة المفسرين على ما في الآية الكريمة من انزياح، كما اتفقوا على أن المعنى المعدول عنه هو العجب والكبر[1].

فإذا كان المعنى المعدول عنه هو العجب والكبر ونحوه، والمعدول إليه هو مشية المتمطي، فإن المعنى المستلزم يتألَّف من هذا المعنى المعدول عنه مزيدًا عليه ما أضافه ذكر مشية المتمطي من دلالات، وتظهر جمالية هذه الدلالات من ثلاث جهات: الأولى: مسوغ دلالة مشية المتمطي على العجب والكبر. الثانية: الغرض من هذا الانزياح. الثالثة: مناسبة هذا الانزياح للسياق.

أما مسوغ دلالة مشية المتمطي على العجب والكبر فإنها إحدى لوازمه، وأما الغرض من هذا الانزياح فإيضاح هذه الخُلق وتجسيده في إحدى سلوكياته المستهجنة، وأما مناسبة مشية المتمطي للسياق دون غيره من كنايات العجب، فلكونها فعلًا حركيًا يناسب حركية فعل الجملة ﴿ذَهَبَ﴾.

فخر الدين الرازي، ص (٣٠/ ٧٣٦). البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ص (١٠/ ٣٤٢).

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص (٢٤/ ٨١). تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص (١٠/ ٣٥٤). الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ص (١٢/ ٧٨٩٤). النكت والعيون، الماوردي، ص (٦/ ١٥٩). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ص (٤/ ٦٦٤). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص (١٥/ ١١٤).

خاتمة الفصل

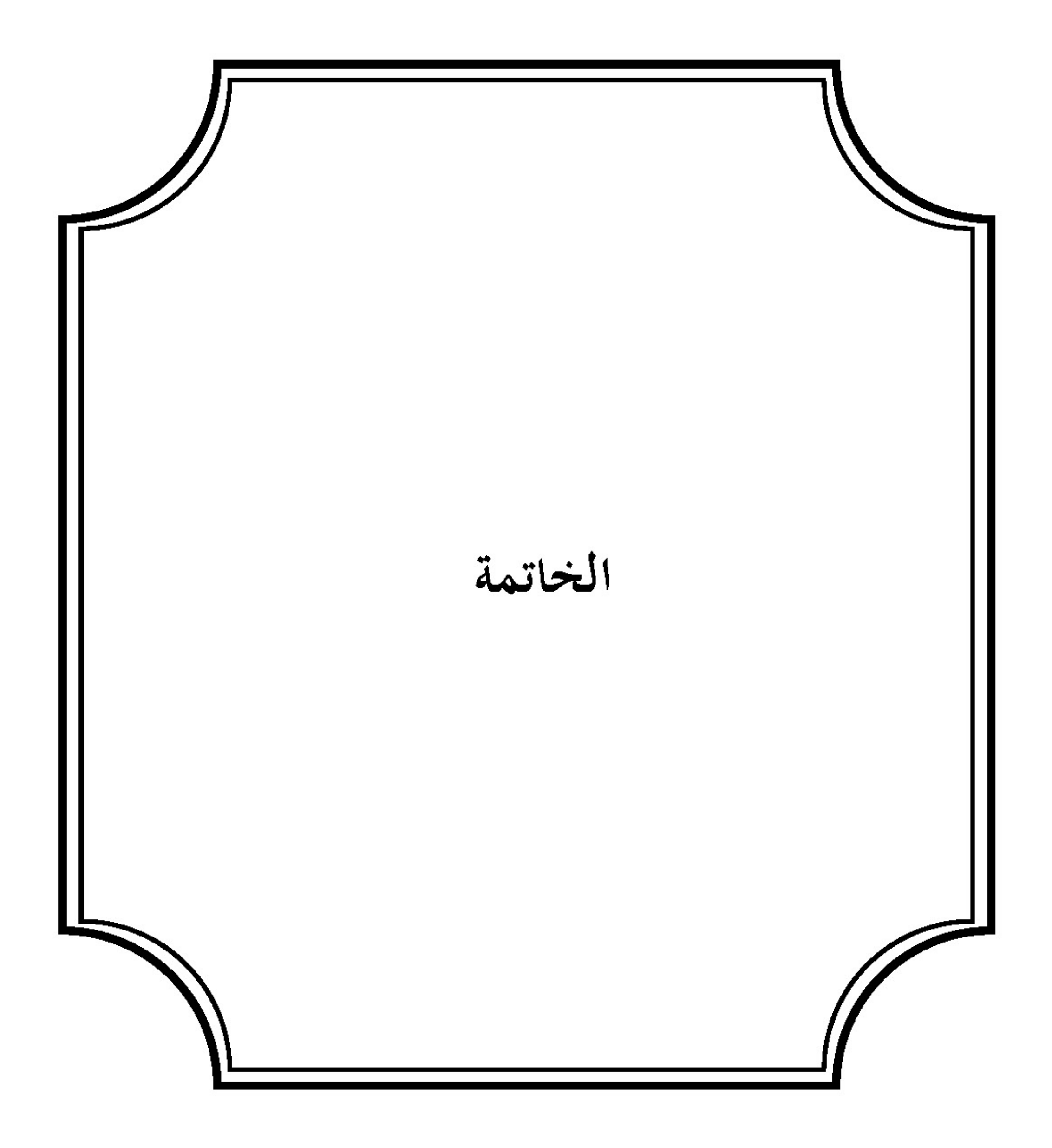
وقد خَلَصَ البحثُ في هذا الفصل إلى ما يلي:

١- ثراء القرآن الكريم بأساليب انزياح الأسلوب.

٢- جاء في القرآن الكريم من أساليب انزياح الأسلوب: أسلوب الكناية.

٣- تعدد الأغراض الرئيسة التي جاءت أساليب انزياح الأسلوب الواردة في القرآن الكريم لتحقيقها إلى: التلطف، والإيضاح.

٤- غنى أساليب انزياح المناسبة في القرآن الكريم بجملة من الجماليات المصاحبة لها والداعمة لمقصودها.



الخاتمة

الخاتمة

خَلَصَ البحثُ خلال فصوله الخمسة إلى ما يلي:

١- الاستلزام الحواري انزياح استبدالي له طبيعته الخاصة وجمالياته التأثيرية.

٢- الأفعال الكلامية غير المباشرة ليست من الاستلزام الحواري.

٣- فن "التعريض" البلاغي ليس معادلًا للاستلزام الحواري، وإنما هو جزء منه فحسب.

٤- فنون "إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر" ليست من الاستلزام الحواري، إلا أسلوب الحكيم فهو منه.

٥- خلو القرآن العظيم من الانزياح الكمي بالزيادة؛ لعدم مناسبته لمقام القرآن العظيم وإعجازه وبلاغته.

٦- خطأ استشهادات بعض الباحثين على الانزياح الكمي بالزيادة في القرآن الكريم، وخروجها إلى باب الإطناب، أو انزياح المناسبة، أو كونها من أصل الكلام وتتمته.

٧- ثراء القرآن الكريم بأساليب انزياح الاستلزام الحواري الأربعة: الانزياح الكمي بالنقصان، والانزياح الكيفي، وانزياح المناسبة، وانزياح الأسلوب.

٨- لكل أسلوب من أساليب الاستلزام الحواري في القرآن الكريم جماليته المتميزة عن بقية الأساليب.

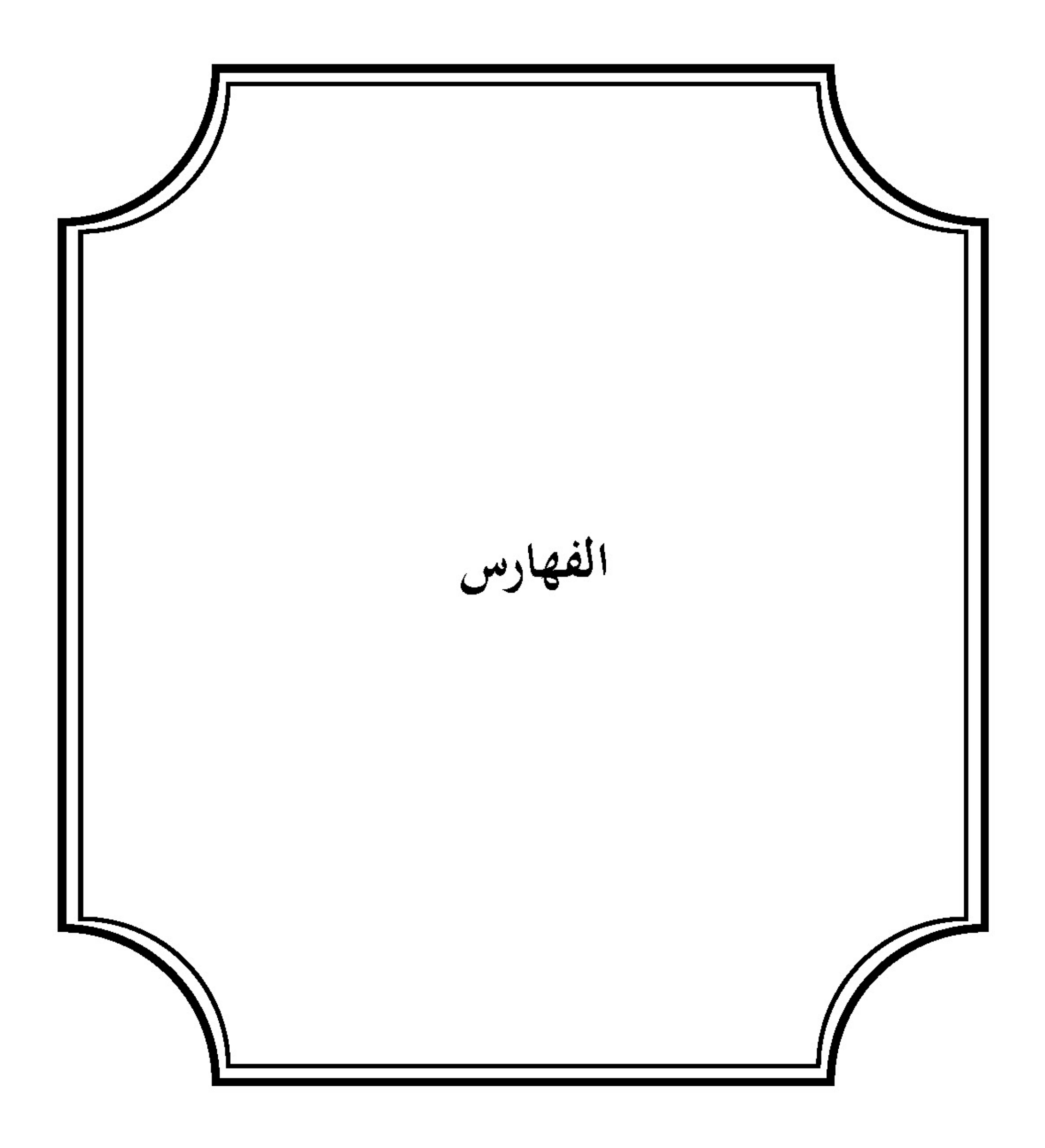
٩- غنى أساليب الاستلزام الحواري في القرآن الكريم بجملة من الجماليات المصاحبة لها والداعمة لمقصودها.

١٠- تنوعت أساليب الانزياح الكمي بالنقصان الواردة في القرآن الكريم إلى: أسلوب ما التعظيمية، وحذف جواب الشرط، وحذف جواب القسم، وحذف المعادل في الجملة الاستفهامية. وتعددت الأغراض الرئيسة لهذه الأساليب إلى: التعظيم، والتكثير، والذم.

١١- جاء في القرآن الكريم من أساليب الانزياح الكيفي: الاستعارة المفردة والمركبة، والمجاز المرسل، والمجاز العقلي، والتشبيه البليغ، والمشاكلة، والتجريد. وتنوعت الأغراض الرئيسة لهذه الأساليب إلى: الإيضاح، والتخصيص، والمبالغة، وبيان العاقبة، والمجازاة.

١٢- أساليب انزياح المناسبة الواردة في القرآن الكريم هي: أسلوب الحكيم، والتعريض. والأغراض الرئيسة لهذه الأساليب هي: بيان الأولى، والاستعطاف.

١٣- أتى في القرآن الكريم من أساليب انزياح الأسلوب: أسلوب الكناية. والأغراض الرئيسة لهذا الأسلوب هي: التلطف، والإيضاح.



الفهارس

فهرس المصادر والمراجع

أولًا: المصادر

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل= تفسير البيضاوي، البيضاوي أبو سعيد عبد الله بن عمر ناصر الدين (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- بحر العلوم=تفسير السمرقندي، السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: ٣٧٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف أثير الدين (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت،١٤٢٠هـ.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد= التحرير والتنوير، لابن عاشور محمد الطاهر بن محمد التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم محمد بن أحمد الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- التفسير البسيط، الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: مجموعة، إشراف د. عبد العزيز بن بسطام ود. تركي بن سهو، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

- تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، ابن أبي حاتم الرازي أبو محمد عبد الرحمن (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم=تفسير ابن كثير، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير (المتوفى: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن=تفسير الطبري، الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن=تفسير القرطبي، القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان=تفسير النيسابوري، النيسابوري نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (المتوفى: ٨٥٠هـ).
- فتح القدير، الشوكاني محمد بن علي اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل أبو حفص سراج الدين عمر بن علي (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن=تفسير البغوي، البغوي محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- معانى القرآن، الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة (المتوفى: ٢١٥هـ)، تحقيق: د.هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (المتوفى:٣١١هـ)، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- مفاتيح الغيب=التفسير الكبير=تفسير الرازي، فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
- النكت والعيون =تفسير الماوردي، الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب أبو محمد حَمّوش بن محمد القيرواني (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة، إشراف: د.الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

ثانيًا: المراجع:

- أسباب نزول القرآن، الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الاستدلال البلاغي، د. شكري المبخوت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، منشورات الاختلاف، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، د. مصطفى شاهر مخلوف، دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م.
- الأسلوبية، بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.
- الاقتضاء في التداول اللساني، د. عادل الفاخوري، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، ١٩٨٩م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري عبدالرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف (المتوفى: ٧٦١هـ)، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م.

- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين (المتوفى: ٧٣٩هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م.
- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، السعودية.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بدر الدين (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، القاهرة.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، القاهرة، ١٩٩٢م.
- بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، مكتبة الأدب المغربي، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- تأويلات أهل السنة=تفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي محمد بن محمد بن محمود (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- التداولية اليوم، آن روبول وجاك موشلار، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس ود. محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، للمنذري عبد العظيم بن عبد القوي (المتوفى: ٦٥٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- التشبيه البليغ هل يرقى إلى درجة المجاز؟ (عرض ونقد)، د. عبدالعظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة.

- تلخيص المفتاح، القزويني جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مكتبة البشرى، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- تهذيب اللغة، الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- التورية وخلو القرآن الكريم منها، محمد جابر فياض، دار المنارة، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
- الجامع الكبير=سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة (المتوفى: ٢٧٩هـ)، دار التأصيل، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه= صحيح البخاري، البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن الطبعة السلطانية المطبوعة سنة ١٣١٢هـ، بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي)، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- جملية النص الأدبي ووجوه توظيفها، عبدالله الصولة، مجلة علامات في النقد الأدبي، جدة، المجلد العاشر، العدد السابع والثلاثون، سبتمبر، ٢٠٠٠م.
- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، محمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.
- الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبدالسلام، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- الحواشي النقية على كتاب البلاغة لنخبة الأفاضل الأزهرية، محمد علي بن حسين المالكي (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، اعتنى به: إلياس قبلان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأول، ٢٠١٢م.

- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م/١٤١٣هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، د.محمد عبد الخالق عضيمة (المتوفى: ١٤٠٤هـ)، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد (المتوفى: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة/جدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني=تفسير الألوسي، الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن (المتوفى: ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار التراث ودار مصر للطباعة، القاهرة، الطبعة العشرون، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ومكتبة دار التراث، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي أبو حامد أحمد بن علي بن عبدالكافي (المتوفى: ٧٧٣هـ)، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته)، د. صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف، دار آفاق عربية، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.
- الفاخر، المفضل بن سلمة بن عاصم أبو طالب (المتوفى: نحو ٢٩٠هـ)، تحقيق: عبدالعليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،
- كتاب العين، الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل=تفسير الزمخشري، الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: مجموعة، إشراف: د. صلاح باعثمان وآخرين، دار التفسير، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، القاضي أبو العباس الجرجاني أحمد بن محمد (المتوفى: ٤٨٢هـ)، تحقيق: د. محمود شاكر القطان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣ م.

- الكناية في القرآن الكريم (موضوعاتها ودلالاتها البلاغية)، د. أحمد فتحي الحياني، دار غيداء، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص (١١٠، ١١٦، ١١٩).
- الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية، د. أحمد فتحي الحياني، دار غيداء، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
- لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت.
- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم بن على الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز= تفسير ابن عطية، لابن عطية الأندلسي أبو محمد عبدالحق (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله بن محمد (المتوفى: ٤٠٥هـ)، دار التأصيل، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم= صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، السعد التفتازني سعد الدين مسعود بن عمر (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠١٣م.

- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- معنى المعنى عند عبدالقاهر الجرجاني قراءة تداولية، محمد لمين مقرود، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، الجزائر، المجلد الحادي عشر، العدد الأول.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق وشرح: د. عبداللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- مفتاح العلوم، السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (المتوفى: ٦٢٦هـ)، تحرير: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- المفصل في علوم البلاغة العربية، د.عيسى العاكوب، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- المقاربة التداولية، فارنسواز أمينكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ١٩٨٧م،
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، ابن الزبير الغرناطي أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحرير: عبدالغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المنطق والمحادثة، بول جرايس، ترجمة: د. محمد الشيباني ود.سيف الدين دغفوس، ضمن كتاب إطلالات على النظرية اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- نظرية التلويح الحواري، هشام عبدالله خليفة، مكتبة لبنان ناشرون، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

ثالثًا: الرسائل العلمية:

- الاستلزام الحواري في سورة البقرة في القرآن الكريم (دراسة وصفية تحليلية تداولية)، حجر نورما وحيدة، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والثقافة، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية، مالانج، أندونيسيا، ٢٠١٠م.
- الاستلزام الحواري في سورة الحجرات (دراسة تحليلية تداولية)، لينة عفة الرفقي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة مولانا إبراهيم، إندونيسيا، ٢٠١٧م.
- الاستلزام الحواري في كتاب إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول للشوكاني، زهوة عاشور، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٤م.
- الاستلزام الحواري من خلال خطابات سيدنا إبراهيم عليه السلام (دراسة تداولية)، حمو كوثر، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، الجزائر، ٢٠١٧م.
- الاستلزام الحواري من خلال خطابات سيدنا إبراهيم عليه السلام (دراسة تداولية)، حمو كوثر، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح-ورقلة، الجزائر، ٢٠١٧م.
- أسلوب الحذف وأثره على المعنى نماذج من قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م.
- تعدد المعنى في النص القرآني (دراسة دلالية في تفسير مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي "ت٦٠٦هـ")، إيهاب سعيد النجمي، رسالة ماجستير، جامعة المنوفية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٥م.
- دلالة الاستلزام الحواري في القرآن الكريم (سورة الكهف أنموذجًا)، بابا حيدة زليخة وبوتدراة حسناء، رسالة ماجستير مشتركة، كلية الآداب واللغات، جامعة أدرار، ٢٠١٧م.
- الصور البيانية في القرآن الكريم (سورة يوسف أنموذجًا)، حداد صليحة وبوزايدي إلهام، رسالة ماجستير مشتركة، معهد الآداب واللغات، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، الجزائر، ٢٠١١م.

رابعًا: الدوريات:

- أساليب المبالغة في القرآن الكريم، د. عباس الأوسي، مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الكوفة، المجلد الأول، العدد التاسع عشر، ٢٠١٤م.
- الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني (مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة)، عيسى تومي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد الثامن، العدد الأول، ٢٠١٩م.
- الاستلزام الحواري في الدرس اللساني الحديث (طه عبدالرحمن أنموذجًا)، د. ليلى كادة، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، الجزائر، العدد الثلاثون، ٢٠١٤م.
- الاستلزام الحواري في القرآن الكريم (آيات من سورة مريم أنموذجًا)، د. سامية محصول، مجلة اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ربيع الأول ١٤٣٩، ديسمبر ٢٠١٧م.
- الاستلزام الحواري في رائية عمر بن أبي ربيعة (دراسة تداولية)، د. عبدالباقي يوسف، حولية كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، مصر، العدد الثاني والثلاثون، المجلد الثالث.
- الاستلزام الحواري في سورة طه (تحليل تداولي وفق نظرية غرايس)، ميرود سعاد، مجلة المدونة، الجزائر، العدد الأول، المجلد الخامس، شهر يونيو، ٢٠١٨م، ص (٣١٩-٣٣٨).
- الاستلزام الحواري وأثره في اتساع المعنى القرآني، زينب سليم عيدان، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة واسط، العراق، شباط، ٢٠١٩.
- الاستلزام الحواري وطاقاته الحجاجية في حوار موسى صلى الله عليه وسلم مع فرعون (سورة الشعراء: ١٠-٣١) (مقاربة تداولية بلاغية)، د. أحمد يوسف، حولية كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، العدد السابع والثلاثون، المجلد الأول، يوليو، ٢٠١٤.
- الاقتضاء التخاطبي (دراسة تداولية في آيات من سورة الأنعام)، د. نور وليد، مجلة التداولية في البحث اللغوي والنقدي، تحرير: د. بشرى البستاني، مؤسسة السياب، لندن، العدد الأول، ٢٠١٢م.

- الاقتضاء في التداول اللساني، د. عادل الفاخوري، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، ١٩٨٩م
- الانزياح في القواميس العربية والفرنسية، زكية يحياوي، مجلة الممارسات اللغوية، الجزائر، المجلد السادس، العدد الثاني والثلاثون.
- خروج الطلب إلى الخبر، د. ياسر بن محمد بابطين، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد الحادي عشر، ٢٠١٥م.
- قواعد التخاطب اللساني في كتاب معاني القرآن للنحاس (ت ٣٨٨هـ) (مقاربة تداولية)، د. علاء سامي، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، العدد التاسع عشر، المجلد العاشر، ٢٠١٦م.
- قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧ هـ) (دراسة تداولية)، زينب عادل الشَّمريّ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، كلية الدراسات القرآنية، جامعة بابل، العدد الثاني والثلاثون، نيسان، ٢٠١٧م.
- مبدأ التعاون عند غريس وتجليات حضوره عند السكاكي (خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر نموذجًا)، د. يوسف رحايمي، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، الجزائر، العدد الثاني والثلاثون، يوليو، ٢٠١٧م.
- نظرات في أسلوب العدول في النص القرآني لدى البلاغيين، د. حسن منديل العكيلي، مجلة المعرفة، العدد السابع عشر، السنة التاسعة، ١٧ ديسمبر، ٢٠١٤م.
- النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، صلاح إسماعيل، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، الحولية الخامسة والعشرون، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

خامسًا: المراجع الأجنبية:

- Critique of pure reason, Immanuel Kant (1724-1804), translated and edited by Paul Guyer and Allen W. Wood, cambridge university press, first published, 1998.
- Expression and Meaning, John R. Searle (1932-), Cambridge university press, first published, 1979.
- How to do Things with Words, J.L. Austin (1911-1960), Ed by J.O. Urmson and Marina Sbisa, Harvard university press, second edition, 1975.
- Logic and Conversation, H. P. Grice, in Studies in the Way of Word, the president and fellows Harvard college, 1995.
- Meaning, H. P. Grice (1913-1988), in The Philosophical Review, Vol. 66, No. 3., Jul., 1957.
- Minimization and Conversational Inference, Stephen C. Levinson (1947-), in Pragmatics Critical Concepts, vol IV, Edited by Asa Kasher, Routledge, London., 2011.
- The Handbook of Pragmatics, Edited by Laurence R. Horn, and Gregory Ward, Blackwell Publishing, U.K., 2006.
- The Oxford Dictionary of Philosophy, Simon Blackburn, Oxford University Press, 2 Edition, 2008.
- Utterer's meaning, sentence-meaning, and word-meaning, H. P. Grice (1913-1988), Philosophy, Language, and Artificial intelligence, Kluwer Academic Publishers, 1968.

فهرس الآيات القرآنية

سورة آل عمران

سورة المائدة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾	٨٩	١٩٠

سورة الأنعام

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٧)﴾	٢٧	١١٣
﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (٢٨) وَقَالُوٓا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩)﴾	٢٨-٢٩	١١٥
﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥٢)﴾	٥٢	١٨٥
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)﴾	٩٣	١١٦، ١١٧، ١١٨
﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾	٩٤	١١٨
﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾	٩٤	١١٨
﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤)﴾	١٠٤	٢٠٩

سورة النمل

سورة القصص

سورة القمر

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة الصف

سورة الجمعة

سورة الحاقة

سورة المدثر

٢٤-٣٠	﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾	١٣٢

سورة القيامة

٣	﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾	٢٨٢
٦	﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾﴾	٢٨١
٣١-٣٣	﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾	٢٨١

سورة الإنسان

١٩	﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾	١٤٦

سورة المرسلات

١١-١٤	﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾﴾	١٣١
١٦-١٨	﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾	٨٤

سورة النبأ

٤٠	﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾	١٨٣

سورة التكوير

١٨-١٩	﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾	١٧٨

سورة المطففين

١-٨	﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾	١٣٣، ١٣٥
٧-٨	﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾	١٣١
١٨	﴿كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾	١٣٥
١٨-١٩	﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾﴾	١٣١، ١٣٣

فهرس المحتويات

ملخص

يدور هذا البحث حول دراسة جماليات التعبير عن المقصود بطريق غير مباشر (الاستلزام الحواري) في القرآن الكريم. وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن ينقسم البحث إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة:

الفصل الأول: الاستلزام الحواري في الدرس اللساني والبلاغي.

الفصل الثاني: الانزياح الكمي في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: الانزياح الكيفي في القرآن الكريم.

الفصل الرابع: انزياح المناسبة في القرآن الكريم.

الفصل الخامس: انزياح الأسلوب في القرآن الكريم.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي:

١- الاستلزام الحواري انزياح استبدالي له طبيعته الخاصة وجمالياته التأثيرية.

٢- خلو القرآن العظيم من الانزياح الكمي بالزيادة؛ لعدم مناسبته لمقام القرآن العظيم وإعجازه وبلاغته.

٣- ثراء القرآن الكريم بأساليب انزياح الاستلزام الحواري الأربعة: الانزياح الكمي بالنقصان، والانزياح الكيفي، وانزياح المناسبة، وانزياح الأسلوب.

٤- لكل أسلوب من أساليب الاستلزام الحواري في القرآن الكريم جماليته المتميزة عن بقية الأساليب.

٥- غنى أساليب الاستلزام الحواري في القرآن الكريم بجملة من الجماليات المصاحبة لها والداعمة لمقصودها.

Abstract

This paper revolves around the study of the aesthetics of conversational implicature (indirectly expressing the intended meaning) in the holy Quran. In accordance with the study's nature, the research comprises an introduction, five chapters, and a conclusion:

Chapter One: Conversational Implicature in linguistics and Rhetoric.

Chapter Two: Quantitative Linguistic Deviation in the Holy Quran.

Chapter Three: Qualitative Linguistic Deviation in the Holy Quran.

Chapter Four: Contextual Deviation in the Holy Quran.

Chapter Five: Stylistic Deviation in the Holy Quran.

Major Findings:

1- Conversational Implicature is a semantic substitution deviation that has its own nature and aesthetic effects.

2- The Quran is devoid of quantitative linguistic deviation that is based on stronger characterization, as this type does not befit the status, miraculousness, and eloquence of the holy Quran.

3- The holy Quran is rich in the four Conversational Implicature Deviation techniques: Weaker quantitative deviation, qualitative deviation, contextual deviation, and stylistic deviation.

4- Each Conversational Implicature style in the holy Quran has its own distinct aesthetic value.



Ain Shams University

Faculty of Arts

Department of Arabic Language and Literature

Aesthetics of Conversational Implicature in the Holy Quran

A Pragmatic Stylistic Study

Submitted by

Abdel Moneim Abdullah Abdel Moneim Mahmoud

Supervisors

Prof. Ibrahim Mahmoud Awad

Professor of Literature and Criticism

Faculty of Arts, Ain Shams University

Dr. Hoda Attia Abdel Ghaffar

Lecturer of Literature and Criticism

Faculty of Arts, Ain Shams University

2020